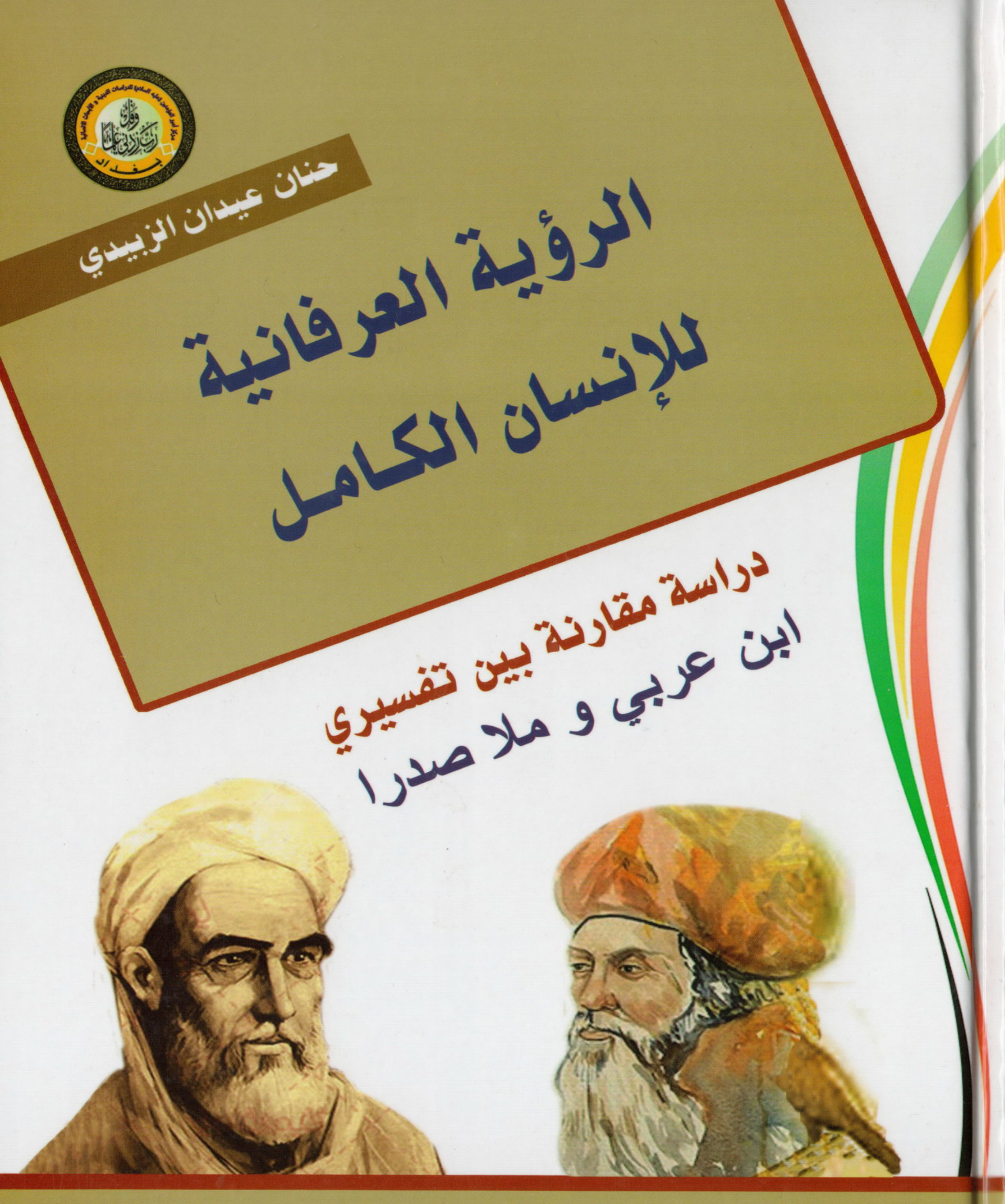


تقديم

الشيخ علي حسّون - محمد الربيعي

منشورات كلمة الحق



الرؤية العرفانية للإنسان الكامل

(دراسة مقارنة بين تفسيري ابن عربي وملا صدرا)

المؤلف: حنان عيدان الزبيدي
العنوان: الرؤية العرفانية للإنسان الكامل؛ دراسة مقارنة بين تفسيري ابن عربي و ملاصدرا
الناشر: قم، كلمة الحق ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م
الترقيم الدولي: ٥ ـ ٥٣ ـ ٢٦٧٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
الموضوع: الانسان الكامل ـ الرؤية العرفانية
التسلسل الدولي: BP٢٨٧/٢
تسلسل ديوي: ٢٩٧/٨٣
رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية: ٨٤٤٢٦١٣

مركز أمير المؤمنين عليه السلام

للدراسات الدينية والأبحاث الإنسانية

العنوان . الرؤية العرفانية للإنسان الكامل؛ دراسة مقارنة بين تفسيري ابن عربي و ملاصدرا
المؤلف ....حنان عيدان الزبيدي
تقديم .... الشيخ علي حسون
التدقيق اللغوي ....دكتورة بشرى عبد عطيه
الناشر .... كلمة الحق
الطبعة .... الأولى: ١٤٤٣هـ . ق / ٢٠٢١م
المطبعة .... الوردي ـ قم
عدد النسخ ....٥٠٠ نسخة
الترقيم الدولي .... ٥ ـ ٥٣ ـ ٢٦٧٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

العنوان: قم ــ شارع المعلم ــ مجمع ناشران ــ رقم ٦١٠
تليفون: ٣٧٧٤٤٩٧٠ (٩٨٢٥+)

الرؤية العرفانية للإنسان الكامل

دراسة مقارنة

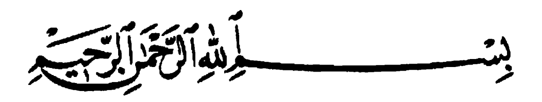
بين تفسيري ابن عربي وملا صدرا

حنان عيدان الزبيدي

تقديم

الشيخ علي حسون

محمد الربيعي



﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة ـ الآية (٣٠)

تقديم

الشيخ علي حسون



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المنتجبين..

التراكم المعرفي المتسارع للمنظومات الفكرية والعلمية بدأ يُحرج الباحث من أن يتناول ملفات متعددة فضلاً عن أبواب ذات الوان ومناهج مختلفة في بحث واحد، بل جعله يبحث عن مفردة من المفردات ومتابعة ذلك (التكون والصيرورة) ومن ثم آثارها ومآلاتها في ملفات ومفاصل معرفية في فن أو فنون أُخرى وفق التداخل المعرفي الذي نؤمن به (راجع مقدمة كتابنا تمهيد القواعد بقلم ولدنا الشيخ محمد جبر) بينا بشكل مجمل مرادنا من التداخل المعرفي، الذي له أثر كبير في تطويرأو تقديم منظومة تناسب السياق الزمكاني وهذا شئ واضح بسبب التسارع الكبير في جميع المفاصل المعرفية والذي يفرض على الباحث التخصص أو البحث المعمق

في مفردة من المفردات والتنوع والتخصص في أكثر من فن وأخذ النتائج وتقديم قراءة تؤتي أكُلها على باقي المنظومة هذا صعب جداً إلا للأوحدي وسيأتي علية عن قريب حتى له صعب بل محال، والعرفان النظري واحداً من تلك الفنون والمدارس الفكرية التي تراكم البحث حولها وبدأ الباحثون المتخصصون بتشريح مفرداته وأسسه درساً وتحليلاً أما المجال النقدي، الذي به حياة الفنون وتقدمها، فما زال دون المستوى المطلوب إن لم يكن منعدماً وفق ما نؤمن به (القراءة الداخلية).

العرفان والتصوف سواء كان إسلامي المنشأ أم لا وبينا ذلك في كتابنا تمهيد القواعد، يتمحور حول مفصلين وبعدين أساسين:-

الأول: التوحيد الحقيقي ما هو

الثاني: الموحد الحقيقي من هو

والتوحيد الحقيقي أس المطالب العرفانية والمعبر عنه في كلماتهم بـ (الوحدة الشخصية، وحدة الوجود، وحدة الشهود) على الاختلاف الموجود بينها أم لا، وان كان الكل متفقون على تحقق الكثرة والمراد بها الكثرة الشأنية كثرة الشؤون والمظاهر (الغيرية الصفتية لا العزلية)ولا يؤمن هؤلاء بعدم ما سوى الله وإن وجدت في بعض الفاظهم مفردة العدم أرادوا به العدم العرفاني لا الفلسفي (فهم المصطلح وفق المدرسة الواحدة فضلاً عن المدارس المتعددة ومراحلها من أهم مفاتيح فهم المباني والأسس تحت مسمى القراءة الداخلية، وعلى أساس هذا الأُس وهو التوحيد تعددت المدارس والمشارب بل تعددت بيانات أصحاب هذه المدرسة في بيان

الوحدة الشخصية والمقام يضيق عن بيان ذلك.

ولعل صعوبة وسعة هذا المفصل تجنبت الباحثة الخوص فية على مستوى هذه المرحلة من الدارسة وخاصه انها دراسة وصفيه تناسب الماجستير بشكل عام، وكذلك انحصار المقارنة بين تفسيري كل من ابن عربي والملاصدرا ، وإن كانت الباحثة قد تطرقت إلى تراثهما المجموعي كون التفسيران ماهما إلا جمع من تراثهما من الفصوص والفتوحات عند الشيخ الأكبر وكذلك الأسفار الأربعة وشرح أصول الكافي عند صدرا.

الأس الآخر والبعد الثاني للعرفان النظري ألا وهو (الموحد الحقيقي من هو)وهو المسمى في كلماتهم بأسماء متعددة من أبرزها الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، حاولت الباحثه بشكل جاد أن تتناول هذا البعد الثاني رغم المساحة المطلوب منها تناولها بحسب الدراسة والبحث، تناولت ذلك وفق فصول قسمتها إلى أربعة فصول تحت كل فصل مطالب مهمه يجدها القارئ بنفسة.

تناولت الباحثة في الفصل الأول من خلال بحوث تمهيدية مركزه على أهم التعاريف اللغوية والاصطلاحية ومن ثم تناولت بشكل موجز أبرز المحطات من حياة كلا من الشيخ وملا صدرا، منها الجوانب العلمية وخاصه المنهج المتبع في بيان أو تطبيق النص القرآني وكذا أهم الإبداعات التي نُسبت لملاصدرا والتي أوضحنا في كتابنا (قراءة جديدة لأس المفاصل المعرفية لملاصدرا) بقلم ولدنا الشيخ محمد عباس بينا وأثبتنا إن صدرا لا يوجد عنده أبداع على مستوى الأسس بل وحتى أبسط الجزيئات وكان

همه عقلنة النص الحاتمي وكذا لا نؤمن أن منهجه مركب كما قيل بل هدفة منهجه فقط هو النص العرفاني وخاصه ابن عربي لكن هذه العقلنة تحتاج إلى بعد تعقلي ومؤيد ديني فطرح ذلك، وهنا نختلف مع الباحثه لذا ندعوها في دراسات أعلى أن تعيد النظر بشكل جاد في بعض ما نسبته من مباني وإبداعات لصدرا كما هي القراءه التي نسج خيالها السبزاروي (رحمه الله).

بعد جولة موجزة انتقلت في الفصل الثاني: وبدأت وفق التسلسل الزمني بالشيخ تناولته ضمن مطالب متعدده منها تركيزها على بيان الأسماء لتلك الحقيقة الواحدة وهذه الأسماء إنما تعددت للحيثيات المتنوعه والآثار الصادرة منها وعلى ذلك وصفت بأسماء متعددة (أشار لبعض ذلك وأسبابه السيد الحيدري في أواخر كتاب التوحيد الجزء الثاني)، لم تتوقف الباحثة عن بيان أهم الأسماء بل انتقلت في هذا الفصل لمطلب يعتبر من المطالب الأساسية عن أعلام هذه المدرسة وهو خصائص الإنسان الكامل على اختلاف مراتب وشؤون ما سوى الله، الوجودية والمعرفية والأخلاقية، ببيان جيد والتفصيل تركته الباحثة لمجال آخر أوسع وأدق، ومن أهم الإشارات ظهور الإنسان الكامل في النشآت العلمية والعينية وقبل ذلك ، وتوقفت مع أهم خصوصياته ألا وهي واسطة الفيض وحفظه لهذا العالم كما يعتقد أصحاب هذه المدرسة، يقول الشيخ في كتابه الفصوص الجزء الأول صفحة_٢٤٧_(لأنه تعالى به الحافظ خلقه، كما تحفظ بالختم الخزائن، فما دام ختم الملك عليها، لا يجسر أحد على فتحها إلا بإذنه، فأستخلفه في حفظ العالم، فلا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل، ألا تراه

إذا زال وفك من خزانة الدنيا لم يبق فيها ما اختزنه الحق فيها...) يقول القيصري: فما دام هذا الإنسان موجوداً في العالم، يكون محفوظاً بوجوده وتصرفه في عوالمه العلوية والسفلية....لأنه هو صاحب الاسم الأعظم، الذي به يربّي العالم كله، فلا يخرج من الباطن إلى الظاهر معنى من المعاني إلا بحكمة ولا يدخل من الظاهر في الباطن شيء إلا بأمره.

ويقول العلامة الآلوسي في ذيل الآية/٣٠ من سورة البقرة وعند أهل الله تعالى المراد بالخليفة (وركزت الباحثة على هذا المصطلح أيضاً) آدم وهو عليه السلام. ...... ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه.

وفصل أيضاً الدكتور محسن جهانكيري في كتابة القيم محي الدين بن عربي صفحة ٤٥٤ فما بعد بحث الموضوع بشكل موسع ، وكذا كتاب المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم وغير ذلك من كتابات تخصصت في بحث الإنسان الكامل

(ما نعتقد به وأشرنا له في بعض دراستنا حاكمية المبنى على النص) نسأل الله أن نوفق في دراسة مستقلة.

بعد ذلك انتقلت الباحثه بعد وقوفها عند مقامات الإنسان الكامل بشكل جيد وكذا مقامه في يوم الحشر وخاصه مسألة الشفاعة وإن لم تفصل في الشفاعة التي يعتقد بها هؤلاء وهي حاكمية الإنسان الكامل على

الأسماء والصفات راجع كتاب الشفاعة للسيد الحيدري فصل ذلك، بعد ذلك انتقلت الباحثه إلى الفصل الثالث تناولت بنفس الطريقة ما يعتقد به صدرا وإن لم يكن مغايرا للشيخ لكن مقتصى الدراسة لعلها تتطلب ذلك.

الفصل الرابع والأخير حاولت الباحثة بشكل جاد أن تبرز أهم المشاركات والاختلافات بين الشيخ وصدرا، لكن ما نؤمن به على خلاف الباحثه أنه لا اختلاف بينها بل لا يمكن عد ملا صدرا قبال الشيخ بل هو مؤمن وشارح لأفكاره بأسلوب تعقلي في أول الطريق ومن ثم الرجوع إلى أبيه الروحي في وسط وآخر الطريق حتى لا يمل طلابه رواده وبعده عن الطباع غالباً حيث يقول في الأسفار الجزء الأول صفحه ٧١ (ومما يجب أن يعلم إن أثباتنا لمراتب الوجودات المتكثرة، ومواضعتنا في مراتب البحث والتعليم على تعددها وتكثرها لا ينافي ما نحن بصدده من ذي قبل إن شاء الله من إثبات وحدة الوجود والموجود ذاتاً وحقيقةً، كما هو مذهب الأولياء والعرفاء من عظاء أهل الكشف واليقين وسنقيم البرهان القطعي على إن الوجودات وإن تكثرت وتمايزت إلا أنها من مراتب تعينات الحق الأول وظهورات نوره وشؤونات ذاته، لا أنها أمور مستقلة وذوات منفصلة، وليكن عندك حكاية هذا المطلب إلى أن يرد عليك برهانه) وفصل في أواخر الجزء الثاني وفصلنا ذلك في كتابات قراءة جديدة لأس المفاصل المعرفية لملا صدرا بقلم ولدنا الشيخ محمد عباس.

بعد الجهد المبارك من الباحثة ختمت رسالتها ببعض التوصيات المهمه

لا يسعنا إلا أن أبارك باسم مركز أمير المؤمنين عليه السلام للباحثة في مشوارها العلمي لنيل أعلى مراتبه لتكون مع أخواتها وأخوتها في مركزهم سرج علمية وفق أسس معاصره أهمها النقد والتأسيس وفق السياق الزمكاني والمعرفي.

لم نحب أن نبين تفاصل ومحطات أهم ما جاء في رسالة الباحثة حتى لا نصنع للقارئ ما نريد ولا نحرمه من لذة متابعة ذلك بنفسة.

نسال الله دوام التوفيق والنجاح للباحثة وجميع من في مركز امير المؤمنين عليه السلام

الشيخ علي حسون

٢٠٢١/٤/٨

تقديم

محمد الربيعي



وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

يُعدّ العرفان الإسلامي إسهامً ثراً وغيّاً من إسهامات المحقّقين المسلمين التي رفدوا بها المسيرة العليمة والعملية في العالم برمّته؛ إذ لا يقتصر هذا الجهد الجبّار على الجانب العلمي والمعرفي فحسب، بل إنّ له تأثراً بالغاً في الجانب العملي والسلوكي لكثير من المجتعات في العالم.

ولكن مما يؤسف له أن يضل هذا المنجز الإسلامي حبيس بطون كتب دوّنت في عصورٍ سالفة لها لغتها ومقتضياتها وهواجسها، وصدور مجموعة من المحقّقين والمهتمّين قد لا تتجاوز أعدادهم العشرات، والطموح هو أن تنتشر هذه المعارف والحقائق العرفانية حتّى تشكّل ثقافة واسعة راسخة يتنفّس بها الناس بمختلف ألوانهم واتجاهاتهم ومذاهبهم.

إن العرفان الإسلامي يرتكز على ركنين أساسيين هما التوحيد والموحّد، وقد خاض العرفان في كِلا الركنين مُشكّلاً منظومة معرفية متكاملة حاول عرضها والدفاع عنها بمختلف الأساليب العلمية كالبيان والجدل والبرهان.

ولكلٍ من ذينك المسألتين نتائج وثمرات علمية وعملية غزيرة.

ولنتكلّم هنا عن ثمرات الركن الثاني، أي الموحّد أو ما يُعرف بالاصطلاح العرفاني بـ>الإنسان الكامل<؛ فإن تنقيح هذا الركن وتشييده وتسديده والتفريع عليه ثمرات يمكن لها أن تظهر في مجالات وميادين مختلفة، ومنها:

١. تفسير النصوص الدينية ـ قرآن وسنّة ـ بالاستناد إلى حقيقة الإنسان الكامل في العرفان، والإفادة من الجهد الذي بذله العرفاء في موضوع الإنسان الكامل وخليفة الله ومحاولة تمحيصه وتوظيفه في فهم القرآن وتفسيره وإنهاء القطيعة التي دامت طويلاً لهذا التيّار الفكري العريق.

٢. بيان رؤية أهل البيت (عليهم السلام) حول الإنسان الكامل الذي يتشخّص بالإمام على مذهب الشيعة الاثني عشرية.

٣. وضع مسألة الإنسان الكامل والإمامة في الإسلام في مكانها الطبيعي ومكانتها الحقيقية.

٤. تنقيح مجموعة من القواعد والأصول والمباني التي لها دور كبير في فهم كثير من الأحاديث والروايات والزيارات الواردة في باب الإمامة والحجّة ومقامات الأئمة (عليهم السلام).

٥. إبراز الجانب المعنوي (الروحي) والوجودي الكوني (غير التشريعي والتنصيبي) لمسألة الولاية والخلافة الإلهية وهو الجانب الذي طالما ظل مغفولاً عنه.

٦. استكشاف منهج جديد في بحث الإمامة من شأنه أن يبعد هذه المسألة والبحث فيها عن المهاترات الطائفية والجدل العقيم وتحويل البحث إلى بعده الوجودي.

٧. التعرّف على المُنجز العرفاني ومقارنته بالمنجز الكلامي والفلسفي في بحث الإمامة والولاية.

٨. الاقتراب من المجتمعات الصوفية التي تعتقد بمسألة الإنسان الكامل والعمل على تصحيح الرؤية وتكميل النواقص وبيان المصداق الحقيقي للإنسان الكامل وفق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

٩. ردّ شبهات بعض المفكّرين العرب والغربيين فيما يتعلّق بموضوع العرفان والإنسان الكامل على وجه التحديد.

١٠. رسم معالم واضحة لنظرية السير والسلوك العرفاني الموصل إلى الكمال الحقيقي.

تلك عشرة كاملة، وهناك ثمرات أخرى تتعلّق بالبُعد السياسي والاقتصادي لهذه المسألة لعلّنا نتطرقّ لها في فرصة أخرى.

أما بعد... فإن هذا البحث الذي بين يديك أيها القارئ، هو نص الرسالة التي كتبتها يُراع الأخت حنان عيدان الزبيدي، وقد بذلتْ ـ على

امتداد سنوات من الدرس والبحث والتحقيق ـ جُهداً محموداً أسفر عن هذا الكتاب، حاولتْ فيه لم أطراف مسألة الإنسان الكامل قرآنياً، وتتقصّي شواردها في تفسيرين هما من أعقد التفاسير القرآنية التي دوّنت في الفكر الإسلامي، ألا وهما تفسير ابن عربي وتفسير صدر المتألهين، وهما ـ كما هو غير خافٍ على مطّلع ـ من أكابر علماء الأمّة وجهابذة مفكّريها الذين تركوا أثراً عظيماً على مسار التاريخ العلمي والفكري في العالم أجمع.

وأنا إذ أقدّم لطبع هذه الرسالة، أسألُ الباري تعالى أن يوفّق الأخت الباحثة لمواصلة البحث والتحقيق في هذا اللون من المعارف، كما وأحثّ الأخوة والأخوات من أهل الاختصاص والاهتمام، على العمل والاشتغال في هذه المواضيع وإخراجها من مهجوريّتها ليعمّ النفع والفائدة، وسدّ الفراغ في المكتبات العربية.

والحمد لله أولاً وآخراً

محمد الربيعي

٢٣ من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٢ هـ. ق

قم المقدّسة

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى الإنسان الكامل، وتجلي المظهر الأتم للحقيقة الحقة مولانا صاحب العصر والزمان (عليه السلام) الذي ببركته تتم الأعمال، إذ إنه من الخلق غايته وعلته، ومن العالم روحه ومن الأرض خليفتها ومن السماء عمودها، وأتمنى أن تكون بين يديه الشريفتين وهو الذي يقيمها، فعلى أثركم تسير الروح ولأجلكم تغربنا وتركنا الأهل والديار ولنظرتكم تركنا الراحة وأجتهدنا، أطلبكم سيدي بهذا الجهد البسيط، وكأن بيوتكم سادتي من زجاج ننظر إليكم من خلال تلك الأعمال فلعلها خالصة فتتضح الرؤية.

وأهديها إلى روح والدي العزيز رحمه الله تعالى.

شكرٌ وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

- أول من يستحق الشكر والامتنان الحق عزوجل الذي مَنَّ عليّ بكل من يستحق شكري وإمتناني.

- كل الشكر والتقدير إلى جامعة المصطفى (ص) العالمية بكوادرها التدريسية والإدارية لاحتضانها الطلاب ولما بذلوه معهم من جهد يستحق الشكر والامتنان وفقهم الله تعالى.

- شكري إلى أستاذي الذي علمني ألف باء علوم أهل البيت (عليهم السلام) ولازال سماحة الشيخ الأستاذ علي حسون الرسيتماوي المشرف على مركز أمير المؤمنين (عليه السلام) للدراسات الدينية والأبحاث الإنسانية في بغداد.

- شكرٌ وامتنان إلى من فتح لي نوافذ وأبواب الولوج في هذه الدراسة والعيش معها، وساعدني كي أحصل على العنوان الذي أرغب به ودافع عنه ماعلمت به وما لم أعلم، وهيئ كل مستلزمات قبول تلك الرسالة، فلقد كان سنداً لطالب العلم مشجعاً له، وأشكر أنتخابه القيم للمشرف، له جزيل الشكر والامتنان، ودعوات مستمرة لاتنقطع سماحة الشيخ الأستاذ (الدكتور

طلال الحسن) حفظه الله تعالى ووفقه .

• أشكر الأستاذ المشرف سماحة الشيخ (الدكتور محمد الربيعي) لموافقته على الإشراف على رسالتي على الرغم من إنشغاله وأشكر توجيهاته وأرشاداته وتوصياته ، وأنه كان لايهمل أي سؤال أوجهه إليه ولم يتأخرعن الإجابة أبداً وكان حريصاً على أن تكون الرسالة بأتم شكل وأن تكون مثمرة (وفقه الله تعالى).

• أشكر كل من ساعدني في الحصول على المصادر(المكتبات الألكترونية).

• كما وأشكر عائلتي زوجي وأولادي فقد تحملوا كثيراً بما يعجز اللسان عن ذكره .

• أشكر كل من آزرني ووقف معي ودعمني وقدم لي يد العون من أخوة وأخوات وفقهم الله تعالى.

المُستَخلَص

يُشكل موضوع الإنسان الكامل ركناً أساسياً في المنظومة العرفانية؛ كونها تتكون من ركنيين أساسيين هما التوحيد والموحد الحقيقي هو (الإنسان الكامل)، فهو عند العرفاء قطب دائرة الوجود والغاية التي خُلق من أجلها العالم، وهو خليفة الله في أرضه، وهذه الدراسة تهتم ببيان الرؤية العرفانية للإنسان الكامل من خلال استقصاء مضانها القرآنية في تفسيري الشيخ الأكبر (ابن عربي) والحكيم صدر الدين الشيرزاي(ملاصدرا) على وفق المنهج الوصفي المقارن مع تحليل للمعاني والمفاهيم ذات العلاقة.

لقد وقفتْ على معنى الإنسان الكامل عند العَلَمين عن طريق أبراز معالم النظرية من التعريف والخصائص والمقامات التي ذكراها له، وبيان نقاط التشابه والاختلاف والمنهج المتبع، وقد برزت معالم هذه النظرية في تفسير الآيات القرآنية الخاصة بتلك الرؤية عند ابن عربي و ملاصدرا، ولاسيما في تفسير الآية القرآنية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

ومن أهم ما توصلنا إليه هو الشبه الكبير بين رؤية ملا صدرا و ابن

عربي؛ إذ أن أصل وقواعد النظرية متشابه تماماً لأنها اعتمدت على القواعد العرفانية المسلّم بها عندهما إلا أن ملاصدرا أكثر من استخدام المصطلحات الفلسفية وهو ما يكشف عن محاولة منه لبناء نظرية الإنسان الكامل بناءً عقلياً فلسفياً مستهدياً بالنص الديني والكشف العرفاني، وهو ما ظهرت نتائجه بتوسعته دائرة مصاديق النظرية حتى شملت وبشكل صريح الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وقد اعتمدتُ في بحثي على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج التوصيفي.

الكلماتُ المفتاحية: العرفان، الإنسان، الكامل، المظهر الأتم، تفسير ابن عربي، تفسير ملا صدرا

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الإنسان خلاصة مملكة الكيان وزهرة شجرة الحيوان، وتلخيص كتاب الأكوان أودع فيه بمحكم تقديره وبديع لطفه وتدبيره أسرار الظلمات والنور والظل والحرور والعدل والعدوان والطاعة والعصيان، فما في العالم شئ مرئي بالعيان أومتصور في الأذهان إلا وهو مندرج في ذاته جل من قادر حكيم وعز من فاطر عليم، والصلاة على عبده وحبيبه وخليله وأمينه ودليله، صدر الأنبياء وبدرهم ونقش فصهم من قُرِنَت طاعتهُ بطاعة الله و مبايعته بمبايعة الله ، رحمة للملأ الأقصى والأدنى، وعلى آله أشعة نوره وورثته الطاهرين وصحبه المنتجبين. لعل من أهم المباحث التي تناولها القرآن هي الإنسان، فقد كان محل نظر الله فسخر كل شئ له، وكرمه، فهو الموجود الوحيد الذي يسعى إلى الكمال فيبلغ به أعلى المراتب والكمالات وليس المقصود هنا الكمال الأخلاقي إنما الكمال الأخلاقي ماهو إلا مظهر من مظاهر الكمال الوجودي، فكان الإنسان الكامل صورة للحق و كما يجب أن يكون الإنسان كما أراده الحق، فصار الولي والعبد والخليفة والمظهر الأتم وقطب عالم الإمكان، به تكلم الله عزوجل مع العالم، وبه نظر اليهم وبواسطته فاض عليهم، هو الإنسان الكامل، العالم

الصغير الذي كان مختصر الكتب الإلهية غاية الخلق وعمد السماء. وإن القرآن الكريم قد وضح وبين معنى الإنسان وأي مرتبة ممكن أن يصل بكماله فيكون بهذا الكمال خليفة ووليًا وعبدًا. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/٣٠.

موضوع البحث

أما موضوع البحث فهو الرؤية العرفانية للإنسان الكامل دراسة مقارنة في تفسير ابن عربي وملاصدرا، تبيّن الدراسة الرؤية العرفانية للإنسان الكامل من خلال الوقوف على أبرز نقاط النظرية من تعاريف وخصائص ومقامات في تفسيريهما وكذلك التطرق إلى بعض تراثهم المجموعي كون تفسيرهم قد جمع من ذلك التراث.

إشكالية البحث

إن الدراسة التي بين يدينا هي عقد مقارنة بين تفسيرين عرفانيين يعتمدان الكشف والشهود، فمن خلال توضيح الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند تفسير ابن عربي وملاصدرا يتضح لنا مدى قرب هذان التفسيران من ظواهر القرآن من خلال الوقوف على تلك النظرية في التفسيرين المذكورين وبيان كيفية استلهامهما من القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

١- أول من تناول هذا الموضوع (الإنسان الكامل لعزيز الدين

النسفي)(٦٣٠-٧٠٠ هـ- ق)، تناول هذا الكتاب عدة رسائل في معرفة الإنسان، وخلق الأرواح والأجسام منازل السائرين والوحي والإلهام والولاية والنبوة وخلافة الإنسان ، وقد سمى بعض فصوله (الإنسان الكامل) ولم تكن هناك علاقة تامة بين موضوعه وبحثنا إلا في بعض المعاني للإنسان الكامل فهو ليس منسجماً تماماً.

٢- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلاني (٧٦٧-٨٧١ هـ- ق). يتالف من جزأين، جزء يتكلم عن صفات الله تعالى والقرآن والتوراة والزبور، والجزء الثاني عن الإنسان الكامل محمد (صلى الله عليه واله) مقابلاً للحق والخلق، والإنسان الكامل هو القطب وهو واحد، وأنه نسخة الحق ومرآته، فهي غير كافية لبيان جميع أبعاد الإنسان الكامل ولاسيما أن دراستنا قرآنية مقارنة تبحث في البعد الوجودي للإنسان الكامل وهذا الكتاب كان أقرب للبعد الأخلاقي.

٣- الإنسان الكامل في نهج البلاغة للشيخ حسن زادة آملي(١٩٩٥م) تناول هذا الكتاب الإنسان الكامل في خطب نهج البلاغة من حيث خصائصه ومقاماته التي وصل اليها، إذ ان هناك علاقة بين هذا الكتاب وبين بحثنا من حيث خصائص ومقامات الإنسان الكامل لكن ليس بشكل تام كون بحثنا قرآنياً تفسيرياً.

٤- الإنسان الكامل في النصوص العرفانية الإسلامية، للدكتور أبي الحسن مخزن الموسوي(٢٠٠٧م)، تناول موضوع الإنسان الكامل في الرؤية العرفانية في كل الأديان وبين من جهة أُخرى معاني الإنسان الكامل

وخصائصه وشؤونه، وهو قريب من الدراسة في خصائص وشؤون الإنسان الكامل إلا ان بحثنا قرآنياً مقارناً بين تفسيرين .

منهج البحث

اعتمدتُ المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج التوصيفي من خلال تفسير الآيات القرآنية الخاصة بالرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ابن عربي وملاصدرا وعمل مقارنة بينهما حول الرؤية العرفانية والخروج بنتائج، ليتضح لنا الأقرب في التفسير إلى ظاهر القرآن الكريم.

أسئلة البحث

السؤال الرئيسي

ماهي الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ابن عربي وملاصدرا؟

الأسئلة الفرعية

١- ماهي الرؤية العرفانية للإنسان الكامل في تفسير ابن عربي؟

٢- ماهي الرؤية العرفانية للإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا؟

٣- ماهي نقاط التشابه والاختلاف بين الرؤيتين؟

فرضيات البحث

الفرضية الأصلية

ترتكز الرؤية العرفانية للإنسان الكامل على إنه المظهر الأتم ، وأنه خليفة الله الجامع لجميع الأسماء الإلهية والكونية.

الفرضيات الفرعية

الفرضية الأولى- اعتمد ابن عربي في صياغة رؤيته على الكشف والشهود، بينما اعتمد ملاصدرا كثيراً على النصوص الدينية.

الفرضية الثاتية- إن الرؤية العرفانية عند ابن عربي وملاصدرا متشابهة إلى حد كبير.

أهداف البحث

١- بيان الرؤية العرفانية للإنسان الكامل.

٢- الوقوف على أبرز نقاط التشابه والاختلاف بين تفسيري ابن عربي وملاصدرا من خلال الرؤية العرفانية للإنسان الكامل.

الجديد في البحث

١- الوقوف على أهم معالم رؤيتي ابن عربي وملاصدرا، للإنسان الكامل وهذا لم يتطرق له أحدٌ من قبل.

٢- فضلاً عن إبراز نقاط التشابه والاختلاف في تلك الرؤية.

٣- بيان كيفية الاستلهام من القرآن الكريم في دعم رؤيتهما.

هيكلية البحث

الفصل الأول: الكليات

المبحث الأول: التعاريف اللغوية والاصطلاحية للبحث.

المبحث الثاني: نبذة عن حياة ابن عربي ومنهجه في فهم القرآن

المبحث الثالث: نبذة عن حياة ملا صدرا ومنهجه في فهم القرآن

الفصل الثاني: الرؤية العرفانية للإنسان الكامل في تفسير ابن عربي

مقدمة: تعريف الإنسان الكامل عند ابن عربي

المبحث الثاني: خصائص الإنسان الكامل عند ابن عربي.

المبحث الثالث: مقامات الإنسان الكامل عند ابن عربي.

الفصل الثالث: الرؤية العرفانية للإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا.

مقدمة: تعريف الإنسان الكامل عند ملا صدرا.

المبحث الثاني: خصائص الإنسان الكامل عند ملا صدرا.

المبحث الثالث: مقامات الإنسان الكامل عند ملا صدرا.

الفصل الرابع: مقارنة بين رؤية ابن عربي ورؤية ملاصدرا تجاه الإنسان الكامل

المبحث الأوّل: نقاط التشابه بين الرؤيتين والمحاكمة بينهما

المبحث الثاني: نقاط الاختلاف بين الرؤيتين والمحاكمة بينهما.

الخاتمة

النتائج

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

- ۞ المبحث الأول: التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفردات العنوان
- ۞ المبحث الثاني: نبذة مُختصرة عن حياة ابن عربي ومنهجه في فهم القرآن
- ۞ المبحث الثاني: نبذة مُختصرة عن حياة ملاصدرا ومنهجه في فهم القرآن

المقدمة

يهتم هذا الفصل بتعريف أهم المصطلحات المطلوبة في مفردات العنوان، والمسائل المتعلقة به، ثم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث متفرعة كما يأتي:

المبحث الأول: التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمفردات العنوان البالغ عددها أربعة.

المبحث الثاني: نبذة مختصرة عن حياة ابن عربي والتعريف بتفسيره ومنهجه في فهم القرآن.

المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن حياة ملاصدرا والتعريف بتفسيره ومنهجه في فهم القرآن.

وستتم دراسة المباحث مفصلةً كما يأتي:-

المبحث الأول:

التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفردات العنوان

المطلب الأول: مفهوم العرفان لغةً واصطلاحاً

عُرف العرفان في اللغةِ والاصطلاح تعريفات عدّة أخترنا أهمها:

أولاً: العرفان لغةً

مشتق من مادة (عَرَفَ) فهو والمعرفة بمعنى واحد، قال أبن منظور ما ملخصه: عرف: العرفان: العلم.. عَرَفَه.. يَعرفُهُ.. عَرَفَه عِرفة وعرفانًا وعرفانًا ومعرفة، ورجل عروف: عارف يعرفُ الأمور، ولا ينكر أحدًا رآه مرة، والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم... والجمع عُرفاء والذي حصلناه للائمة: رجل عارف أي صبور: وعريف القوم: سيدهم، لمعرفته بسياسة القوم، والعريفُ النقيبُ وهو دون الرئيس والجمع عرفاء والعارف والعروف والعروفة: الصابرة ونفس عروفة: حاملة صبورة إذا حُملت على أمر أحتملته[1]. يتضح من التعاريف عند أهل اللغة إن العرفان هو (المعرفة).

---

١. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٩، ص٢٣٦.

ثانياً: العرفان في الاصطلاح

وأمّا اصطلاحًا فقد ذكر للعرفان عدة تعريفات في بيان مفهومه ومعناه منها:

ما ذكره لنا القيصري «هو العلم بالله سبحانه من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره وأحوال المبدأ والمعاد وبحقائق العالم وبكيفية رجوعها إلى حقيقة واحدة هي الذات الإلهية ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس من مضائق القيود الجزئية واتصالها إلى مبدئها واتصافها بنعت الإطلاق والكلية»[١]

وماذكره عبد الرزاق القاشاني في تعريف العارف بأنه «من أشهد الله ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث عن شهود»[٢]

خلاصة المطلب: إننا يمكن أن نُعرف العرفان بأنه: هو المعرفة الذوقية التي حصل عليها العارف نتيجة تَخلّقه بأخلاق الله تعالى فكان كالذي عَرَّفَ العسل بذوقه لاكالذي عرّفه بعناصره فأعطى لدائرة المعارف منهجاً آخر لمعرفة الحقيقة عن طريق التزكية وتهذيب النفس فتصبح كمرآة مجلوة

---

١. القيصري، داود، رسائل القيصري، ص٧؛ انظر: مقدمة القيصري على شرح تائية ابن الفارض، ص٣٢؛ انظر: العرفان النظري، يحى يثربي، ص٢٧-٢٨. انظر: الحيدري، كمال، الرؤية الكونية، ص٢١. انظر: الريستماوي، علي، تمهيد القواعد، ج١، ص٦٢.

٢. الكاشاني، عبد الرزاق، اصطلاحات الصوفية، ج١، ص٤٤؛ الشيراوني، علي، الدين العرفاني والعرفان الديني، ص٩.

تنفذ فيها أشعة الحق من غير نقص، حسب درجة كماله، فتُشاهِد وتذوق ثم تفيض لغيرها.

المطلب الثاني: تعريف الإنسان لغةً واصطلاحاً

حول كلمة الإنسان اختلف علماء المعاجم، وهذا الاختلاف يعود إلى طريقة اشتقاق الكلمات.

أولاً: الإنسان في اللغة

عرف أصحاب الفن والاختصاص علماء اللغة الإنسان تعريفات عِدَّة منها:-

١- أنس: الهمزة والنون والسكون أصل واحد وهو ظهور الشئ. قالوا: الإنس خلاف الجن، وسموا كذلك لظهورهم. والإنس: أَنِسَ الإنسان بالشئ اذا لم يستوحش منه.[١]

٢- « (الإِنْسَانُ) من النَّاسِ اسمُ جِنْسٍ يقعُ على الذكَرِ و الأُنْثى و الْوَاحِدِ و الْجَمْعِ »[٢]

٣- الإِنْسُ: جماعة النَّاسِ، وهم الأَنَسُ، [تقول]: رأيت بمكان كذا أَنَساً كثيرا، أي: نَاساً. وإِنْسِيُ القوس: ما أقبل عليك، والوحشي: ما أدبر عنك،

١. انظر: ابن فارس، احمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة انس؛ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٦، ص١٢

٢. الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير، ج٢، ص٢٦.

وإِنْسِيُ الإِنْسَانِ: شقه الأيسر، ووحشيه: شقه الأيمن، وكذلك في كل شيء، والاسْتِئْنَاسُ والأنسُ والتأنُّسُ واحد، وقد أَنِسْتُ بفلان، وقيل: إذا جاء الليل اسْتَأْنَسَ كل وحشي، واستوحش كل إِنْسِي. والآنِسَةُ: الجارية الطيبة النفس التي تحب قربها وحديثها، وآنَسْتُ فزعا وأنَّسْتُهُ، إذا أحسست ذاك ووجدته في نفسك[1]

٤- إن الأصل الواحد في هذه المادة هو القرب والظهور بعنوان الاستئناس، في مقابل النفور والوحشة والبعد وهذا المعنى محفوظ وموجود في جميع صيغ مشتقاتها ممابنفر من الوحوش والحيوان، ما لا يظهر ولايستأنس كالحب.[2]

يعتقد بعض علماء اللغة إن الإنسان مشتق من النسيان وبعظهم قالوا من الأنس، و(الأنس) هو أحد الأبعاد الروحية للإنسان فهو أكثر إنسجاماً مع جانبه الروحي وكماله وفضيلته، لذا لم نذكر ما اشتُق من النسيان لبعده عن بحثنا، ومن التعاريف المميزة هنا هو التعريف الثالث (اسم جنس يقع على الذكر والأنثى) إذ إن الإنسان بإنسانيته لا بجنسهِ، فالكمال يخص الذكر والأُنثى، وأن الروح والنفس واحدة، فسمي الإنسان إنساناً بإنسانيته .إذن الإنسان: هو المفكر المتأله وهو المعنى الشامل للذكورة و الأنوثة، فالإنسان إنسان بعقله وفكره وقلبه، وهذه متساوية لدى الذكر والأُنثى.

---

١. انظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، ج٧، ص٣٠٨

٢. انظر: الخراساني، محمد واعظ ومجموعة من المؤلفين، المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج٣، ص٨٣١

ثانياً: الإنسان في الاصطلاح

لقد عَرف العرفاء الإنسان بتعاريف عدَّة منها :-

١- «عُرف الإنسان في علم الميزان بأنّه حيوان ناطق وهذا التعريف عند المنطقي مايميز الإنسان عن الحيوان - تعريف تام وكامل- إذ إن الإنسان نوع من أنواع الحيوان ، ايضاً ويميزه عن سائر الحيوانات الناطقية. إذا أرتفعنا إلى كتب الحكمة وخصوصاً الحكمة المتعالية وبالأخص الصحف العرفانية الأصيلة، لوجدنا إن الوجود مساوق للحق، وأنه الفصل الحقيقي لجميع أنواع وأشخاص الموجودات من المجرد والمادي وصورها جميعاً، ولأمضينا التعريف المنطقي ايضاً وعرفنا الإنسان بأنه حيوان ناطق ولكن مع هذا الفرق هو أنه صاحب قوة ومِنة، لياقةٍ وقابلية إذا ما أوصلها بالفعلية فسيكون حينئذ إنساناً حقيقياً، فالإنسان الحقيقي عند العرفاء: «هو ذلك الشخص الذي وصل إلى مقام الفعلية وأتصف بصفات الربوبية، ومحاسن الأخلاق ومحمامد الآداب وإلا فهو حيوان ناطق ليس إلا» .[1]

٢- الإنسان نصفان، نصفه خَلّق، والثاني خُلُق. فإذا صلح النصفان كَمُلَ بما هو إنسان[2]

على ذلك يمكن أن نعرف الإنسان بأنه: ذلك المخلوق الذي هجر بدنه فلم يعد يُعَرَفْ بالذكورة والأنوثة، بل بالإنسان الذي صقل نفسه إلى

---

١. الآملي، حسن زادة، الإنسان في عرف العرفان، ص١٩.

٢. انظر: ابن سينا، حسين بن عبدالله، الإشارات والتنبيهات، ص١٧١

أن أوصلها إلى مقام الفعلية،، فصار مظهر الحق بخُلُقِهِ وروحهِ لاببدنه وإنما كان البدن وسيلة للوصول، فهو الحي المفكر المتأله.

المطلب الثالث: تعريف الكامل لغةً واصطلاحاً

أولاً: الكامل في اللغة

وله تعاريف عدَّة في كتب اللغة منها:-

١- أبن منظور: كمل الكَمَال: التَّمام، و قيل: التَّمام الذي تَجَزَّأَ منه أجزاؤه، و فيه ثلاث لغات: كَمَلَ الشيء يَكْمُل، و كَمِلَ و كَمُلَ كَمَالاً وكُمولاً، قال الجوهري: و الكسر أَرْدَؤُها. وشيء كَمِيل: كامِل، جاؤوا به على كَمُلَ، تَكَمَّل: ككَمَل، وتَكَامَلَ الشيء و أَكْمَلْته أنا وأَكْمَلْت الشيء أي أَجْمَلْتُه و أتممته، و أَكْمَلَه هو واسْتَكْمَلَه و كَمَّلَه: أَتَمَّه و جَمَلَه.[1]

٢- الفيومي: كمَل: الشَّيءُ كُمُولا مِن بَابِ قَعَدَ وَ الاسْمُ (الكَمَالُ) وَيُستَعمَلُ فِي الذَّوَاتِ وَ فِي الصِّفَاتِ يُقَالُ (كَمَلَ) إذَا تَمَّت أجزَاؤُهُ و(كَمَلَت) مَحَاسِنُهُ و كَمَلَ الشَهرُ أي كَمَلَ دَورُهُ و (تكَامَلَ) (تكَامُلًا) و(اكْتَمَلَ) (اكتِمَالاً)[2].

أما الفرق بين التمام والكمال: فقد بينه الشيخ مطهري حيث قال إن لفظة التمام تطلق على جميع الأشياء اللازمة لوجود شئ ما، وإن كان بعضها

---

١. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١١، ص٥٩٨

٢. أنظر: الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير، ج٢، ص٥٤١.

غير موجود، فيكون الشئ ناقصاً في ماهيته، فهو لم يوجد كله بل وجد بعضه. فبذلك يكون هذا الشئ قابلاً للزيادة والنقصان، كالبناء لابد أن توجد جميع مستلزماته. أما الكمال فهو درجات ممكن أن يصل اليها الشئ بعد أن يكون تاماً، وإذا لم يوجد الكمال فالشئ موجود بتمامهِ، أي ممكن أن يتضح من أسس الكمال خط عامودي أما التمام فخط أفقي فهو يتم إذا بلغ نهايته أفقياً، أما إذا تحرك عمودياً نحو الكمال فهو كامل مثال ذلك أن نقول إن فلاناً قد كَمُلَ عقله[1] وبذلك نستنتج إن درجة الكمال أعلى من التمام لأنها تتحقق بعدها.لذا فإن أقرب التعاريف هو ماعرفه الفيومي بقوله إذا تمت أجزاؤه، أي سبق التمام الكمال وهذا ما أوضحه الشيخ مطهري.

ثانياً: الكامل في الاصطلاح

الكامل من الكمال والكمال مقولة وجودية. وهو مقولة إنسانية، فممكن أن نعرفه على هذا الأساس الى

١- الكمال «حصول ماينبغي كما ينبغي لما ينبغي»[2]

٢- يعرفه ابن عربي: الكمال (نوعان ذاتي وأسمائي)، الكمال الذاتي «هو مايضاف إلى الحق من غير رتبة ويقين وغيرية ومظهر» والكمال الأسمائي «ظهور الذات من خلال أسمائها»[3]

---

١. انظر: مطهري، مرتضى، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، ص٩-١٠.

٢. يدالله، يزدان بناه، العرفان النظري مبادئه وأصوله، ص٤٢٣.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، الرسائل، ج٢، ص٥٤١-٥٤٣.

٣- ويعرفه ابن عربي ايضاً «هو التنزيه من الصفات وآثارها، ويظهر الكمال كمقولة أنسانية لترجمة الإنسان»[١]

٤- يعرفه ايضاً بإنه: «هو معرفة الحق عن طريق الكشف والتعريف الإلهي»[٢] ويقيد أبن عربي هنا الكمال بمعرفة الحق، ويقيد الطريق أيضاً، إذ يقول: عن طريق الكشف، إذن الكامل من عرف الله كشفاً وشهوداً، أي مَن لم يصل إلى الكشف والشهود لم يكن كاملاً، كما يرى ابن عربي.

٥- الكمال عند ملاصدرا: «الكمال مايتمّ به الشئ كما إن الصورة مايوجد الشئ بالفعل والغاية مايصل اليه الشئ».[٣] فالكمال عند ملاصدرا هو بالحركة الجوهرية.

خلاصة القول: إن التعريف الأقرب لبحثنا هو التعريف بالكمال الأسمائي لأن الإنسان إذا كان مظهراً لأسماء الله تعالى وصفاته، فإنه بذلك قد بلغ مرتبة الكمال، وبما أن الإنسان الكامل هو الموجود الوحيد الذي يتوق نحو الكمال، لذا يمكن أن يكون التعريف (ظهور الذات من خلال أسمائها) وايضاً التعريف بأنه (مقولة إنسانية لترجمة الإنسان) مقارب أيضا من ناحية الإنسانية، لأن الكمال هو مطلب إنساني، والإنسان الكامل المثل الأعلى.على ذلك يمكن أن يكون تعريف الكمال عرفانياً: هو الانقطاع عن الدنيا من خلال قهر قوى النفس الحيوانية والعمل على تقوية القوى القدسية

---

١. ابن عربي، محمد بن علي رسائل ج١، كتاب التراجم ص٢٦-٢٧.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات، ج ٤، ص ٤٠٥.

٣. ملكاف، علاء الدين، نظرية انسان كامل از ديدكاه عرفان وفلسفة، ص ٢٥٠.

الملكوتية، والتخلق بأخلاق الله تعالى.

تعريف الإنسان الكامل عند العرفاء

١- هو الذي أتصف بالصفات الإلهية وتخلق بأخلاق الله وحاز مرتبة خلافة الله تعالى، وهي مرتبة تشمل النبوة والرسالة والولاية والإمامة وكل واحدة منها تسمى لاسم الإنسان الكامل، فهو نسخة الحق: كما يقول عبد الكريم الجيلاني«إن الإنسان الكامل هو نسخة الحق تعالى كما أخبر صلى الله عليه وآله حيث قال (خلق آدم على صورة الرحمن)»[١].

٢- الإنسان الكامل هو «أكمل النسخ وأتمّ النشآت، مخلوق على الوحدانية لاعلى الأحدية، لإن الأحدية صفة الله»[٢].

خلاصة المطلب: يمكننا تعريف الإنسان الكامل بإنه: الجامع لجميع العوالم الحقيّة والخلقيّة ومظهر اسم الله الجامع، صاربأتمّ مظهر وذلك لفنائه في الحق وتخلقه بأخلاقه تعالى فصار في مرتبة الخليفة والواسطة بين الحق والخلق وصار الغاية من الخلَقِ وروح هذا العالم الذي لولاه ماخَلق الأفلاك.

---

١. الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ج٢، ص٤٩؛ انظر: الموسوي، الأنسان الكامل في النصوص العرفانية، ص١٢

٢. ابن عربي، محمد بن علي، المسائل كتاب الألف، ص٤٤-٤٥؛ الرسائل، ج١، ص٣-٩؛ حنفي، حسن، من الفناء الى البقاء، ج٢، ص٥٦٤.

المطلب الرابع: تعريف المظهر الأتم لغةً واصطلاحاً

أولاً: المظهر في اللغة

١- ظهر: «الظَهْرُ: خلاف البطن من كل شيء، و **الظَّهْرُ من الأرض**: ما غلظ و أرتفع، و البطن ما رق منها و أطمأن. و **الظُّهُورُ**: بدو الشيء الخفي. »[١]

٢- «ظَهَرَ: الشَّيْءُ (يَظْهَرُ) (ظُهُوراً) بَرَزَ بَعْدَ الْخَفَاءِ **وَ مِنْهُ قِيلَ (ظَهَرَ) لِي** رَأْيٌ إِذَا عَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَهُ و (ظَهَرْتُ) عَلَيْهِ اطَّلَعْتُ و **(ظَهَرْتُ) عَلَى** الحَائِطِ عَلَوْتُ و مِنْهُ قِيلَ (ظَهَرَ) عَلَى عَدُوِّهِ إِذَا غَلَبَهُ (ظَهَرَ) **الحَمْلُ تَبَيَّنَ** وُجُودُه»[٢]

٣- «ظهر- في أسماء اللّه تعالى (الظَّاهِرُ) هو الذي **ظَهَرَ فوق كلّ** شيء و علا عليه، و قيل: هو الذي عُرِفَ بطرق **الاستدلال العقلي بما ظَهَرَ** لهم من آثار أفعاله و أوصافه» .[٣]

ثانياً: الأتمّ في اللغة

١- «تم(تم) التاء والميم أصلٌ واحدٌ منقاس، **وهو دليلُ الكمال، يقال**

---

١. الفراهيدي، محمدبن مكرم، العين، ج ٤، ص٣٧

٢. الفيومي، احمد بن محمد، المصباح المنير، ج٢، ص٣٨٧.

٣. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٦٤

تمَّ الشيءُ، إذا كَمَل، وأتممْتُه أنا».[١]

٢- «تمتم الشئ: انتهاؤه إلى حد لايحتاج إلى شئ خارج عنه»[٢]

خلاصة ماذكر: إن الظهور يكون في الشئ الموجود ولكنه كان في خفاء أي إنه موجود ثم برز وظهر، وسبب ظهوره وبروزه لتمامية إنعكاس صورة المظهر له، نستلخص أن المظهَر هو إنعكاس لما خفي فبرز بالخارج وأطّلَعَ عليه الآخرون لما تحقق في هذا المظهر من البروز والظهور للعين، إذن يمكننا تعريف المظهربإنه: أتم إنعكاس لصورة الحق فهو ترجمانه، فلما كان كذلك ماوسعه إلا الظهور والبروز.

ثالثاً: المظهر الأتمّ في الاصطلاح

١- هو «الجامع بين مظهرية الذات المطلقة بإطلاق قابليته الكلّية، و بين مظهرية الأسماء والصفات والأفعال، بما في نشّأته الكلّية من الجمعيةِ و الاعتدال، و بما في مظهريته من الحيطة و السعة و الكمال، و هو كذلك جامع بين الحقائق الحقيّة الوجوبيّة و نسب الأسماء، الإلهيّة الربوبيّة، و بين الحقائق الإمكانية والأعيان الكيانية، وأما كماله فلإحاطته بين الحقيقتين، وشموله لجميع ما في العالمين ولجمعه كذلك بين البحرين»[٣]

١. الخراساني، محمد واعظ ومجموعة من المؤلفين، المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج٨، ص١٥

٢. المصدر نفسه، ج٨، ص١٨.

٣. الجندي، مؤيد الدين، شرح فصوص الحكم، ص١٦١.

٢- ويعرفه ملاصدرا: «هو مثال لله تعالى ذاتًا وصفةً وفعلاً»[١]

وخلاصة ماذُكر: يمكننا أن نعرف المظهر الأتمّ بإنه: ما كان مرآةً مجلوةً عكست صفات الله وأسمائه، فكلما كان الانعكاس أشد، كان الظهور أكثر بروزاً، لذا كان الإنسان الكامل هو المظهر الأتمّ لتمام طهارة مرآته فبذلك تخلق وأتصف بصفات الله تعالى جميعها عن طريق السير الحبي والمحبوبي.

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص ٤٠٠

المبحث الثاني:

نبذة مختصرة عن حياة ابن عربي والتعريف بتفسيره ومنهجه في فهم القرآن

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ووفاته حياته ورحلاته

أولاً. أسمهُ ونسبهُ

هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين أبن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر ابن عربي من دون ال التعريف - فرقاً بينه وبين القاضي أبو بكر أبن العربي صاحب كتاب (أحكام القرآن)، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، يعرف بالقشيري أيضاً لتصوفه، صاحب المصنفات وقدوته أهل الوحدة.[1]

ثانياً. مولدهُ ووفاتهُ

ولد في مرسية بـ(الأندلس) في رمضان عام ٥٦٠ هجري وانتقل إلى

١. أنظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون بثوبه القشيب، ج٢، ص٥٦٩.انظر: مجموعة من المؤلفين، درر رسائل ابن عربي، ص١.

أشبيلية، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصريه (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه، وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي من (أهل بجايه) فنجا.[١]

و«توفي في دمشق ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة النبوية، ودفن في سفح جبل قاسيون، وقبره مزار، يؤمهُ الكثير من الخَلق إلى الآن»[٢]

ثالثاً. حياته ورحلاته

كان والد محيي الدين، واسمه علي بن محمد، عربي النسب من سلالة حاتم الطائي، أندلسي المولد والنشأة، وكان من أئمة الفقه والزهد والعبادة، وكان صديقا لأبن رشد فيلسوف قرطبة، أنتقل أبن عربي مع أبيه من مسقط رأسه مرسية إلى أشبيلية، وله من العمر ثماني سنوات، وفيها نشأ وتعلم، فقرأ القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، على يد أبي بكر بن خلف، كبير فقهاء إشبيلية وبرز في القراءات، وحين أتمها أسلمهُ والده إلى جُلة من رجال الحديث والفقه، فسمع في وقت مبكر من أبن زرقون والحافظ أبن الجد، وأبي وليد الحضرمي، والشيخ أبن الحسن بن نصر. كل هذه العلوم حصلها أبن عربي، وهو لم يتجاوز العشرين من العمر، وهو

---

١. أنظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٢٧٦؛ انظر: الحكيم، سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ج١، ص١٣.

٢. الجبر، موفق فوزي، لوازم الحب الإلهي، ص ٣٠.

الزمن الذي نلمس فيه توجهه إلى الخلوة، والتصوف وأحوال القوم، والأرجح إن ذلك كان عام ٥٨٠ هـ. الموافق ١١٨٤ م.[1] ويمكن أن نقسم حياة أبن عربي إلى أربع مراحل

١- مرحلة التكوين العلمي والعملي في الأندلس

٢- مرحلة السياحة في المغرب الإسلامي، فبدأ سياحته في بلاد أفريقيا خارج حدود الأندلس، وله من العمر حوالي الثلاثين سنة، زار فاس وبجاية وتونس، ثم عاد إلى إشبيلية ومرسيه وهكذا..

٣- مرحلة السياحة في المشرق الإسلامي، ويمكن تحديدها مابين عام ٥٩٧هـ و ٦٢٠هـ، وبلغ ابن عربي السابعة والثلاثين، سيرتحل نهائيا إلى الشرق إثر(رؤية رآها). وبعد مروره بتونس، والقاهرة والإسكندرية، نجد له أقامة متقطعة في بغداد، وقونية وأقامة شبه متواصلة في مكة المكرمة، حيث بدأ بتاليف موسوعته الصوفية (الفتوحات المكية). التقى ابن عربي في هذه المرحلة شخصيات بارزة، وحضي بتكريم ملوك، وسلاطين زمانه.

٤- مرحلة استقراره في دمشق، ويمكن تحديدها بين عامي ٦٢٠و ٦٣٨ هـ، عندما بلغ ابن عربي الستين من عمره، كانت شهرته قد عمت العالم الإسلامي، وتنافس الملوك على استقطابه، وتزاحم العامة على بابه، ولكن حالته الصحية الزمته أن يستقر، فلم يجد أطيب من دمشق وأعدل مناخاً منها. وفي دمشق نَعِم ابن عربي بأنواع من التكريم.[2]

---

١. انظر: الحكيم، سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ج١، ص١٣-١٥.

٢.أنظر: المصدر نفسه

المطلب الثاني: كتبه وأهم إنجازاته وأساتذته وتلاميذه والتعريف بتفسيره.

أولاً. كتبه ومؤلفاته

لابن عربي من المؤلفات ما لا يكاد العقل يتصور صدوره عن مؤلف واحد، إذ لم ينفق كل لحظة من لحظات حياته في التأليف و التحرير، بل شغل شطراً غير قليل منها فيما يشغل به الصوفية أنفسهم من ضروب العبادة و المجاهدة و المراقبة و المحاسبة، أما من ناحية الكم فقد ألّف نحواً من مائتين و تسعة و ثمانين كتاباً ورسالة على حد قوله في مذكرة كتبها عن نفسه سنة ٦٣٢، أو خمسمائة كتاب ورسالة على حد قول عبد الرحمن جامي صاحب كتاب نفحات الأنس، أو أربعمائة كتاب كما يقول الشعراني في اليواقيت و الجواهر[١] وقد وصفه بروكلمان بأنه مؤلف من أخصب المؤلفين عقلًا و أوسعهم خيالاً، و ذكر له نحواً من مائة و خمسين مؤلفاً لا تزال باقية بين مخطوط و مطبوع، و مهما يكن من التضارب بين الكتّاب في عدد مؤلفات ابن عربي و أحجامها، فليس هناك من شك في أن هذا الرجل كان من أغزر كتاب المسلمين، علماً وأوسعهم أفقاً و أدناهم إلى العبقرية و التجديد في ميدان دخل فيه كثيرون غيره، و لم يخرجوا منه بمثل ما خرج، و لا بلغوا فيه الشأو الذي بلغ ، و لاجدال في أن مؤلفاته تربو على المائتين على أقل تقدير، من بينها (الفتوحات المكية)، تلك الموسوعة الصوفية العظيمة التي لم تلق بعد من العناية و الدرس ما هي جديرة به، و منها

---

١. انظر: الشعراني، عبد الوهاب، اليواقيت والجواهر، ج١، ص٢٥.

تفسيره الكبير للقرآن الذي يقول فيه صاحب فوات الوفيات[١] إنه يبلغ خمساً و تسعين مجلداً، و منها: (فصوص الحكم) و (محاضرة الأبرار)، و(إنشاء الدوائر) و (عقلة المستوفز) و (عنقاء مغرب) و (ترجمان الأشواق) و غيرها، و أما من ناحية الكيف فإن كتب ابن عربي جميعها- فيما أعلم- من واد واحد هو وادي التصوف الذي لزمه طوال حياته و عاش في جوه العملي و النظري، فلم يخض في الفلسفة و الطب و الرياضة و التصوف، ولم يشغل نفسه بمشاكل الفلاسفة و الرد عليهم و على غيرهم من الملاحدة، وإنما كرّس جهده للكتابة في التصوف في شتى نواحيه، مبتدئاً بالكتب ذات الموضوعات الخاصة أمثال (التدبيرات الآلهية) الذي وضعه في المملكة الإنسانية والمقابلة بين الإنسان و العالم، و كتاب (مواقع النجوم) الذي وضعه في قواعد أهل الطريق، و رسالة الخلوة التي وضعها في نصح المريد و ما يجب عليه في خلوته، و (عنقاء مغرب) الذي وضعه في الولاية، ثم عقَّب بالكتب المطوّلة الشاملة لنواحي التصوف النظرية و العملية ككتاب الفتوحات المكية الذي ألّفه بين سنة ٥٩٨ و سنة ٦٣٥. وقد جمع في هذا الكتاب أشتاتاً من المعارف تمثل الثقافة الإسلامية بأوسع معانيها، وحشدها جميعها لخدمة العلم الأساسي الذي ندب نفسه للكتابة فيه، وهوالتصوف، و انتهى في دور نضجه العقلي و الروحي بتأليف فصوص الحكم وكتاب فصوص الحكم الذي يمثل خلاصة مذهب ظلّ يضطرب في صدره نيفاً و أربعين عاماً، و هو لا يجرؤ على الجهر به في جملته، و لا

---

١. انظر: الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، ج٤، ص٤٣٦.

يخرجه في صورة كاملة محكمة التأليف إلى أن صاغه آخر الأمر في هذا الكتاب الذي طلع به على الناس فأذهلهم و أثار في نفوسهم الحيرة و الشك كما أثار الإعجاب و التقدير [١]

ثانياً. إنجازاته وعقيدته.

إنجازاته

نذكر هنا مجموعة من الإنجازات التي قدمها ابن عربي للعلم والمعرفة:-

١- حاول أن يجعل نظرية وحدة الوجود ومايترتب عليها، قائمة على أُسس فلسفية، فهو من أوائل الذين خطوا كتابة العرفان بلغة الفلسفة والبرهان، أي على أساس المباني الفلسفية العقلية، وهذا مانجدهُ واضحاً في كتابيّ (الفتوحات المكية)و (فصوص الحكم)، حيث أطرّ مكاشفاته بالأسس الفلسفية العقلية، ولم يدونها بشكل مكاشفات ومشاهدات خالية من الاستدلال، كماكان هذا واضحاً في تفسيره للآيات القرآنية، وهذا يعني أنه كان واقفاً على المباني الفلسفية، وخبيراً بالطرق الاستدلالية. [٢]

٢- أنه حاول أن يعطي نظرية متكاملة حول الإنسان الكامل الذي هو ثاني أهم محور في مباحث العرفان النظري بعد التوحيد، وهذا العلم يقوم على ركيزتين أساسيتين هما (التوحيد الصحيح الكامل) و(الموحد الحقيقي

١.أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص٧.

٢. انظر: الحيدري، كمال باقر، الرؤية الكونية في العرفان النظري، ص١٠٤-١٠٥.

الكامل).وعندما أرسى ابن عربي أسس هذه النظرية (الإنسان الكامل) وبين معالمها، أصبح العرفان النظري قريباً جداً من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، خصوصاً في بحث الولاية والإمامة والخليفة،، لأنه لايوجد مصداق حقيقي لنظرية الإنسان الكامل إلا المعصوم الذي تعتقد مدرسة أهل البيت بدوره التكويني في عالم الوجود والتي كانت لرويات أهل البيت (عليه السلام) جزء كبير منها، والتي أخذت جزءاً كبيراً من مباني نظرية الإنسان الكامل ودوره التكويني كما تفسيره للآيات القرآنية، وما الوظيفية السياسية التي أعلنت يوم الغدير وسلبت في السقيفة إلا شأن من شؤون الإمامة الإلهية والسفارة الربانية، لذلك فإنه لاطريق لفهم نظرية الإمامة بشكل دقيق إلا بفهم نظرية الإنسان الكامل، والوقوف على أبعادها.[١]

عقيدة ابن عربي

بعد اختلاف العلماء في ابن عربي لابد من توضيح لعقيدته عندنا.

إن المنهج الصحيح الذي لابد أن يتبع في تقييم العقائد يكون على مستويين:

المستوى الأول: تقييم الفرد على مستوى العقائد والأفكار.

المستوى الثاني: تقييمه على مستوى الفقه والسلوك الظاهري.

فمثلاً نرى شخصاً على مستوى العقيدة والأفكار قريباً جداً من مدرسة

---

١. أنظر: المصدر نفسه، ص ١٨٠.

أهل البيت (عليهم السلام) من خلال رؤية آرائه وكلامه، إلا أنه بعيد عنها على مستوى الظاهر والسلوك، أما التقييم فلابد أن يكون أساساً على المستوى الأول، لأنه يعكس مبنى الشخص العقائدي، كونه قريباً عقائدياً من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد وغيرها، إلا أنه على مستوى الفقه يكون شافعياً او مالكياً، مثل هذا الشخص لابد أن يصنف على المستوى الأول- مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، لاحتمال كون سلوكه الظاهري كان تقية، كون بعض المجتمعات متعصبة لايسمح لها أن تمارس ظاهرياً إلاماينتسب اليها، ولانعني بهذا التقليل من شأن المستوى الأول، ولكن لابد أن لاتبنى العقيدة على المستوى الظاهري فقط، ويعتقد ملاصدرا أن ابن عربي كان على مذهب الإمامية، ففي شرح الأصول من الكافي، يقول «بعد نقل كلمات ابن عربي في الإمام المنتظر: وأعلم أن أكثر ما ذكره فيما نقلناه من عبارته أولاً موجود في كتب الحديث بعضها على طريقة أصحابنا، وبعضها على غير طريقهم، وانظروا أيها الإخوان إلى ما في طي كلامه من المعاني الدالة على كيفية مذهبه كقوله: إن لله خليفة، وقوله: أسعد الناس به أهل الكوفة، وقوله: أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد، وقوله: إنه على ضلالة »[1] وولاؤه الخاص لأهل بيت الرسول صلى الله عليه واله ، أن كل العرفاء وجميع الصوفية لهم سلسلةٌ من المشايخ ينسب سلسلتهم إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، غاية الأمر بعضهم يظهرون هذه النسبة، وقليل منهم يخفونها،

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٧٩.

وابن عربي، يعتقد لأهل بيت الرسول(ص)، ولاسيما لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) مقاماً عظيماً لا يراه لأحد من الصحابة، بل لا يرى شخصاً يقترب من دائرة مقامه. ومما يدل على هذه العناية الخاصة، عباراته الآتية:-

١- «يقول ابن عربي عن المتكلم على إثبات التفسير الإشاري: أين عالم الرسوم من قول علي بن ابي طالب (عليه السلام) حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن، يحمل منها سبعين وقراً ؟ هل هذه إلا من الفهم الذي أعطاه الله من القرآن ؟»[١]

٢- في مقدمة تفسيره، «يقول: وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال: لقد تجلى الله لعباده في كلامه، ولكن لا تبصرون، وروي عنه (عليه السلام) أنه خرّ مغشياً عليه وهو في الصلاة، فسئل عن ذلك، فقال، ما زلت أردد الآية، حتى سمعتها من المتكلم بها»[٢] كما إن ابن عربي استخدم الرمز والإشارة في تفسيرهِ للقرآن كذلك استخدمها في عقيدته، ويقول حسين نصر نقلاً عن سعاد الحكيم «إن ابن عربي يستخدم لغة الرمز على الكون والإنسان والقرآن»[٣] وليس ببعيد أنه قد استخدام الإشارة حتى في عقيدته.

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، ج١، ص٦.

٢.نفس المصدر.

٣. الحكيم، سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ج١، ص١٧-١٨.

ثالثاً. أساتذتهُ ومشايخهُ وتلاميذهُ

أساتذتهُ ومشايخهُ

قبل البدأ في الدخول بهذا المطلب يجب التنبيه إلى إن ابن عربي دخل خلوته في عالم الكشف والفيض الإلهي ولم يكن له أستاذ ولم يتعلم هذا على يد أحد الأساتذة، أما أساتذتهُ فكانت علاقته بهم علاقة(ندية) تكافؤ حيث كان هو طالباً وأستاذاً في الوقت نفسه لبعض أساتذته.[١]

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي: «وقد أطلعتُ له على إجازة، أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخهِ ومؤلفاتهِ، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها، فأقول: رضي الله قال عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة ٦٣٢ بمحروسة دمشق، وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من

١. انظر: ابو زيد، نصر حامد، هكذا تكلم ابن عربى، ص٣٧.

أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأحببت استدعاءه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه ولي كريم.

فمن شيوخنا: أبو بكر بن خلف اللخمي قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني في مذاهب القراء السبعة المشهورين، حدثني عن ابن المؤلف، ومن شيوخنا في القراءة: ابو الحسن شريح بن محمد بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف، ومن شيوخنا في القرآن أيضاً: أبو القاسم عبد الرحمان بن غالب الشراط، من اهل قرطبة، قرأت عليه أيضا القرآن الكريم بالكتاب المذكور، وحدثني ايضا عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح عن ابيه المؤلف محمد بن شريح المقري»[١]

تلاميذهُ

لابد بعد الإشارة إلى أساتذة وشيوخ ابن عربي أن نتطرق إلى تلامذته وأتباعه وشراح فكره ومنظريه، ومنهم: صدر الدين القونوي(٦٠٧-٦٧٣ هـ)- هو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي القونوي الملقب الشيخ الكبير وصدر الدين، المكنى أبي المعالي، من أهل قونية (تركيا) وهو تلميذ ومريد وابن زوجة محيي الدين ابن عربي - إذ توفي أبوه في صغر سنه، فتزوجت أمه من الشيخ محيي الدين(ابن عربي)، عاصر الخواجة نصير

١. النبهاني، يوسف بن اسماعيل، جامع كرامات الأولياء، ج١، ص١٦٣.

الدين الطوسي والشاعر جلال الدين المولوي الرومي، وجرت بينه وبين الخواجة الطوسي سلسلة من المراسلات، وكان الطوسي يكن له الاحترام الشديد، كذلك كانت تربطهُ علاقة حميمة مع المولوي في قونيه، وينقل أنه كان القونوي يؤم المصلين في الجماعه فيأتي اليه المولوي والظاهر- كما هو النقل- إن المولوي كان تلميذهُ، وإن العرفان(المحيي الديني) الذي يظهر في أشعارهِ إنما كان نتيجة الدروس التي تلقاها منه،[١] وهو من أهم العلماء الذين تتلمذوا على يد ابن عربي- إن لم نقل أهمهم على الإطلاق- فهو الذي بين أفكار ابن عربي ونشرها وفرعها، وأحكم أسس هذه المدرسة الجديدة والقواعد الحديثة، فالقونوي هو الراعي الأول لأبداعات ابن عربي، وهو أفضل شارح لأفكاره، ويمكن القول إنه لولا توضيحات وبيانات وشروح القونوي لما أمكن فهم محيي الدين، من هنا عد من أهم أنجازات القونوي أنه استطاع أن يفسر ويوضح مباني أُستاذهُ ويعطي رؤية كاملة عن ارائه، ومعتقداته، وأستطاع أن يبوبها وينظمها ويرتبها ترتيباً متناسقاً منسجماً واضحاً، فأن ماتناثر في كتب الشيخ من فصوص وفتوحات وغيرها جاء القونوي وأزالَ عنها التشويش وأبعد عنها سوء الفهم الحاصل من التقديم والتأخير، وقد قيل بحق كتبه أنها تعد أفضل من كتب الشيخ ابن عربي من حيث التبويب والترتيب وأنسجام العبارة.[٢]

مؤلفات القونوي: أضافت مؤلفاته لعلم العرفان النظري ثراء في

---

١. انظر: القونوي، محمد بن اسحاق، الفكوك، ص١٤.

٢. انظر: الاشتياني، محمد بن محمد، شرح مقدمة القيصري، ص٢٧-٢٨.

المسائل والتفريعات ومن أهم كتبه:

١- مفتاح الغيب وهو مع شرحه- مصباح الأُنس- من الكتب الدرسية التي تقرأ عادةً - بعد كتاب فصوص الحكم، وقد تعرض في هذا الكتاب- بعد بيانه الوافي لنظام الوجود ونسقه المعرفي في الرؤية العرفانية إلى نظرية الإنسان الكامل، وأضاف اليها شرحاً الفناري(٧٥١-٨٣٤ هـ) سماه(مصباح الأنس)

٢- النصوص في تحقيق الطور المقصوص، وفيه خلاصة أمهات مطالب القونوي

٣- الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص، وهو توضيح مغلقات فصوص الحكم وفكها

٤- النفحات الآلهية، وهو عبارة عن مشاهداته ومكاشفاته العرفانية.

٥- إعجاز البيان في تأويل أم القرآن، وهو تفسير سورة الفاتحة على النهج العرفاني.[١]

رابعاً. تفسير ابن عربي:

إن لابن عربي تفاسير كلها إنما كانت جمع لما في كتبه من الفتوحات والفصوص، يبدو في مواضع من كتب ابن عربي ولاسيما (الفتوحات)، إن له تأليفاً في التفسير عند الكلام على حروف المعجم في

---

١. انظر: الحيدري، كمال باقر، الرؤية الكونية في العرفان النظري، ص١١١.

أوائل سور القرآن، يقول: «ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل». [١]

ويقول: «و قد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في كتاب الجمع والتفصيل» [٢] . «ويقول عن كتاب آخر في التفسير أسماه (ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن) (قد بيناه في كتاب (إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن) في قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ » [٣]

«وكذلك يقول: إعلم إن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فأنه يدل على ماينتجه على حال الذكر، كما شرطناه في التفسير الكبير لنا» [٤] وعندمايتكلم عن الذات والحدث والرابطة: «وقد أتسع القول في هذه الأنواع في تفسير القرآن لنا» [٥]

هل هما التفسيران نفسهما المذكوران آنفاً أوغيرهما، غير واضح إلا أن الذي يستفاد من مجموع كلماته، إن له في التفسير تأليفاً باستقلاله، وقد ضاع مع الأسف سوى النزر اليسير حسبما ذكرنا من تفاسير منسوبة إلى ابن عربي

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج ١، ص ٥٩.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٣.

٣. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٤

٤. المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٤.

٥. المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٦

١ـ إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن، وهو في كمال الإيجاز والاختصار، وقد طبع جزء يسير منهاعلى هامش (رحمة من الرحمان).

٢- رحمة من الرحمان في تفسير وأشارات القرآن، من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين(ابن عربي) جمع وتأليف محمود محمود الغراب، من علماء دمشق المعاصرين .

وهو تفسير غير شامل، التقطه المؤلف من كلام ابن عربي ضمن تأليفاته، ولا سيما (الفتوحات) حيثما تكلم عن تفسير آية او إشارة إلى معنى من معاني القرآن، ومن ثم لم يستوعب جميع آي القرآن .وقد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة وعشرين عاماً، قال: ولمحاولة الوقوف على فهم ابن عربي للقرآن الكريم، قمت بالعمل أكثر من خمس وعشرين سنة، في جمع وتصنيف وترتيب ما كتبه ابن عربي، في كتبه التي بين أيدينا، مما يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن، سواء من الناحيةِ الظاهرة على نسق التفاسير الأخرى من الأحكام الشرعية والمعاني العربية، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن، وهو ما يسمى بالاعتبار والإشارة في التوحيد والسلوك، وسميتهُ (رحمة من الرحمان في تفسير وأشارات القرآن) تمشياً مع عقيدة ابن عربي في شمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب و طبع هذا الأثر في أربع مجلدات، في دمشق سنة (١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م)[١].

---

١. انظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص٥.

٣- تفسير القرآن الكريم في مجلدين أشتهرت نسبته إلى ابن عربي، وقد راجَ ذلك منذ زمن، وهو موضوع على مذاق الصوفية في التفسير الباطني المحضّ وفيه بعض الشطحات مما آثار الريب في نسبته إلى الشيخ، وزعموا أنه من صنع الشيخ كمال الدين أبي الغنائم المولى عبد الرزاق الكاشي السمرقندي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ).[١]

«قال الشيخ محمد عبده: من التفسير الإشاري ما ينسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربي، وإنما هو للقاشاني الباطني الشهير، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين اللّه وكتابه»[٢]

وأما الحاجي خليفة وصاحب كشف الظنون فقد نسبه رأساً إلى القاشاني من غير ترديد، قال: كتاب (تأويلات القرآن) المعروف بتأويلات القاشاني، هو تفسير بالتأويل على أصطلاح أهل التصوف، للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي، أوله: «الحمد للّه الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفائه»[٣]، و هذه العبارة هي المبدوء بها في التفسير المذكور.والنسخة التي كانت عند حاجي خليفة، كانت إلى سورة ص. وتوجد نسخ كاملة في سائر المكتبات، منها نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (١٧.١٨) وتحمل خاتم عبدالرزاق الكاشاني[٤]. ويتأيد نسبة الكتاب إلى القاشاني بما جاء في تفسير

---

١. انظر: المصدر نفسه

٢. رضا، محمد رشيد، المنار، ج١، ص١٨.

٣. الحاجي، خليفة، كشف الظنون، ج١، ص١٨٧.

٤. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص٤.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [١]، قوله: «وقد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد(قدس سره) في شهود الوحدة ومقام الفناء عن أبيه، إنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي»[٢] ونور الدين هذا هو: نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني، والمتوفى في أواخر القرن السابع، وكان شيخ العبد الرزاق القاشاني، المتوفى سنة (٧٣٠ هـ) وغير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخا لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ)[٣]

المطلب الثالث: منهج فهم القرآن عند ابن عربي ومميزاته ومصادره التفسيرية

أولاً. منهج فهم القرآن عند ابن عربي

إن القرآن الكريم هو من الكتبِ و الصحف المنزلة بمنزلةِ الإنسان من العالم، فإنه مجموع الكتب والإنسان مجموع العالم، وأعني بذلك الإنسان الكامل وليس ذلك إلا من أنزل عليه القرآن من جميع جهاته ونسبه.

لقد استعمل ابن عربي في تفسير القرآن المنهج الإشاري، فبنظر العرفاء وأهل الكشف أن أي آية نزلت تحمل عدة وجوه، فإن الذي أنزلها عالم بكل الوجوه، وعالم بأن عباده متفاوتون في النظرِ فيها، وأنه ماكلفهم من خطابهِ سوى مافهموا عنهُ فيه، لذلك كان كل مُفسر فَسر القرآن ولم

---

١. القصص، ٣٢.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، ج٢، ص٢٢٨.

٣. انظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون،، طبعة بيروت، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٨

يخرج عما يحتمله اللفظ فهو مُفسِر، ومَن فسره برأيه فقد كَفر.[١] والمنهج الإشاري: «هو أحد المناهج القديمة في التفسير وقد عُرّف بأسماء متنوعة مثل: التفسير الباطني، التفسير العرفاني، التفسير الصوفي، الشهودي، الرمزي، وكل هذه الأسماء يشير إلى لون خاص من هذا التفسير. أرتأينا أن نوضح هنا معنى الإشارة لغةً واصطلاحاً: الإشارة لغةً هي العلامة والإيماء إلى أمر من الأمورِ ومصدرها أشار اليه وشُور أومايكون ذلك بالكَفِ وبالعين وبالحاجب...وأشار الرجل يشير أشارة إذا أومأ بيديه وأشارعليه بكذا وهي الشورى»[٢]. «وتستعمل الإشارة لعدة أغراض أُخرى منها: تعيين الشيء بالحِس ومنها: المعنى الحاصل بالمصدر وهو الامتداد الموهوم الآخذ من المُشير المنتهى إلى المشار إليه ومنها: تعيين الشيء بالحس بأنه هنا أو هناك كما تستخدم هذه الإشارة للتفاهم بين الناس إذا عرفوا تأويلها وأدركوا علاقتها بالشيء المشار إليه، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن ﴿فأشارت إليه﴾[٣] أي أختيار شيء وإرجاعهم إليه».[٤] أما الإشارة في الاصطلاح فتعني أن يستفاد شئ من الكلام دون أن يكون موضوعاً له والإشارة قد تكون حسية كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل هذا وقد تكون ذهنية

---

١. انظر: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص١١-١٢.

٢. الآملي، حيدر، القاموس المحيط، ج٢، ص٦٧.؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٠٦؛ الزمخشري، اساس البلاغة، ص٢٥١.

٣. مريم، ٢٩

٤. احمد نكري، دستورالعلماء ج١، ص١٢١-١٢٢؛ البستاني، بطرس، محيط المحيط، ج٣، ص٦٨٣.؛ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، ص٨٦.

كالإشارة إلى المعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمهُ الكثير من الكلام ثم إن الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية[١]، وبذلك يتضح أن المراد من التفسير الإشاري «هو مايطلق على الإشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن الكريم والتي تعتمد على العبور من ظاهر القرآن إلى الأخذ بالباطن أي استخراج وفهم وتوضيح نكُتةً من الآية لاتوجد في ظواهر الآية إلاعن طريق دلالة الإشارة وبعبارةٍ أُخرى: الإشارة هي الدلالة الالتزامية للكلام»[٢]. أو «هو تأويل القرآن بغيرظاهرهِ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصرف ويمكن الجمع بينهما وبين الظاهر والمراد أيضاً»[٣]

ثانياً. مميزات منهج فهم القرآن عند ابن عربي.

بين ابن عربي منهجه في فهم القرآن من خلال كلماته إذ قال: «فإني طالما تعهدت تلاوة القرآن وتدبرت معانيه بقوّة الإيمان وكنت مع المواظبة على الأوراد حرج الصدر قلق الفؤاد، لا ينشرح بها قلبي ولا يصرفني عنها ربي، حتى استأنست بها فأ لَفتها وذُقت حلاوة كأسها وشربتها، فإذا أنا بها نشيط النفس، فلِج الصدر، متسع البال، منبسط القلب، فسيح السرّ، طيب الوقت والحال، مسرور الروح بذلك الفتوح كأنه دائما في غبوق وصبوح،

---

١. انظر: العك، خالد عبد الرحمن، اصول التفسير وقواعده، ص٢٠٥.

٢. العك، خالد عبد الرحمن، اصول التفسير وقواعده، ص٦.

٣. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص٥٤٦؛ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٢٥؛ الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، ص١٩١.

تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكلّ بوصفه لساني، لا القدرةَ تفي بضبطها وإحصائها، ولا القوةَ تصبر عن نشرها وإفشائها، فتذكرت خبر من أتى ما أزدهاني مما وراء المقاصد والأماني، قول النبي الأمّي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق: (ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع) وفهمت منه أنّ الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحدّ ما يتناهي إليه المفهوم من معنى الكلام، وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام أنه قال: (لقد تجلى الله لعباده في كلامه، ولكن لا تُبصرون). وروي عنه (عليه‌السلام) أنه خَرَّ مغشياً عليه وهو في الصلاة، فسُئل عن ذلك، فقال: (ما زلت أردّد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها) (فرأيت) أن أعلق ببعض ما يسنح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون ما يتعلق بالظواهر والحدود، فإنه قد عُين لها حدٌّ محدد. وقيل من فَسَّر برأيه فقد كفر. وأما التأويل فلا يبقي ولا يذر، فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته، وكلما ترقى عن مقامه أنفتح له باب فهم جديد وأطلع به على لطيف معنى عتيد. (فشرعت) في تسويد هذه الأوراق بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق، غير حائم بقعة التفسير ولا خائض في لجة من المطلعات ما لا يسعه التقرير، مراعياً لنظم الكتاب وترتيبه، غير معيد لما تكرّر منه أو تشابه في أساليبه. وكلّ ما لا يقبل التأويل عندي أو لا يحتاج إليه فما أوردته أصلاً ولا أزعم أني بلغت الحدّ فيما أوردته. كلا، فإنّ وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت، وعِلمُ الله لا يتقيد بما عِلمتُ، ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر

فيه، بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما تهت في محاويه وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها فما أوّلته إلا قليلاً ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً، ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاوز عن ظواهرها إذ لم يكن في تأويلها بُدّ من تعسف. وعنوان المروءة ترك التكلف، وعسى أن يتجه لغيري وجوه أحسن منها طوع القياد فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد. ولله تعالى في كلّ كلمة كلمات ينفد البحر دون نفادها، فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها، لكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن، فينكشف لهم ما استعدوا له من مكنونات علمه، ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه، والله الهادي لأهل المجاهدة إلى سبيل المكاشفة والمشاهدة، ولأهل الشوق إلى مشارب الذوق، إنه ولي التحقيق وبيده التوفيق.»[١] ومنها نستنتج

١- قبول تفسير الظاهر والتأويل للباطن

يقول البطون، وأنوار شوارق المطلعات، من دون ما يتعلق بالظواهر والحدود، فإنه قد عين لها حد محدود، وقيل: من فسر برأيه فقد كفر[٢]. ومن هذه العبارة نعرف أن ابن عربي يعترفُ بالظاهر، ولكن هدفهُ هو بيان أسرار البطون.

---

١. الرسيتماوي، علي حسون، المناهج والاتجاهات التفسيرية في القرآن الكريم دراسة نقدية تحليلية، ص٦٥٤-٦٥٥.

٢. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، ج١، ص٦.

٢- كل من فَهِم من الآية شيئاً فهو مقصود الآية

يقول ابن عربي: «إعلم أن الآية المتلفظ بها من كلام الله بأي وجه كان، من قرآن أو كتاب منزل أو صحيفة أو خبر إلهي، فهي آية على ما تحتمله تلك اللفظة من جميع الوجوه، أي: علامة مقصودة لمن أنزلها بتلك اللفظة الحاوية في ذلك اللسان على تلك الوجوه؛ منزلها عالم بتلك الوجوه كلها، وعالم بأن عباده متفاوتون في النظر فيها، وأنه ما كلفهم في خطابه سوى ما فهموا عنه فيه، فكل من فهم من الآية وجهاً، فذلك الوجه هو مقصود بهذه الآية في حق هذا الواجد له، وليس يوجد هذا في غير كلام الله، وإن أحتمله اللفظ من الوجوه، ولهذا كان كل مفسر فسر القرآن ولم يخرج عما يحتمله اللفظ، فهو مفسر»[1]، وهذا يدل على أن كل من فهم من الآية فهذا مقصود الآية له، وهذا ليس معناه هو بإضافية المعرفة، وعدم وجود حقائق ثابتة أبدية، فإن هذا شيء، وما ذكره ابن عربي شئ آخر، فإن ابن عربي يقول: إن ما يفهمه المفسرون مطابق لما أراده الله من الآيات؛ لأن الله أختار كلماتاً وجملاً ذات معانٍ كثيرة في الإنسان بما له مراتب في الكلمات، يجب أن يعرف في كل مرتبة، معرفة خاصة

تليق به.

٣- ليس للتأويل حد

يقول ابن عربي: «وأما التأويل، فلا يبقى ولا يذر، فإنه يختلف

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص١١-١٢.

بحسب أحوال المستمع وأوقاته، في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته، وكلما ترقى عن مقامه، أنفتح له باب فهم جديد، وأطلع به على لطيف معنى عتيد»[١] أي يبين إنه ليس للتأويل حد.

٤- جواز التفسير الإشاري لأولياء الله فقط

يقول ابن عربي: «فأغطس في بحر القرآن العزيز إن كنت واسع النفس، وإلا فاقتصر على مطالعة كتب المفسرين لظاهره، ولا تغطس فتهلك، فإن بحر القرآن عميق، ولولا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل، ما خرج لكم أبداً، فالأنبياء والورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمةً بالعالم، وأما الواقفون الذين وصلوا ومسكوا، ولم يردوا ولا انتفع بهم أحد، ولا انتفعوا بأحد، فقصدوا بل قصد بهم ثبج البحر، فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون»[٢]، ومن هذا يتضح إنه يقول بجواز التفسير الإشاري لأولياء الله فقط، فهم لم يقبلوا أن يقفوا على الساحل ويأخذون من الأمواج بل غاصوا ولم يقتنعوا إلا باللؤلؤ والجواهر لذلك فهم غطسوا ولم يرجعوا.

٥- التفسير الإشاري هو تفسير القرآن حقيقةً

التأويل في رأي ابن عربي، هو في الحقيقة تفسير للقرآن الكريم، فإنه يقول: «إنه ما خلق الله أشقّ ولا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذي منحهم

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، ج١، ص٦.

٢. بن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص١٦.

أسراره في خلقه، وفهّمهم معاني كتابه وإشارات خطابه، ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم، عَدَّلَ أصحابنا إلى الإشارات، كما عدلت مريم (عليه السلام) من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة، فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة»[١]

٦- زيادات ذوقية غير مرتبطة بظهور الآيات من خلال تفسيره لبعض الآيات

أ- ذيل الآية: « ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾[٢] يقول: وتأويله: وإذ نجيناكم من آل فرعون النفس الأمارة المحجوبة بأنانيتها المستعلية على ملك الوجود، ومصر مدينة البدن التي استعبدت هي وقواها، التي هي الوهم والخيال والمتخيلة والغضب والشهوة، والقوى الروحانية التي هي أبناء صفوة الله يعقوب الروح، والقوى الطبيعة البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية»[٣]

ب- ذيل الآية: ﴿والتين والزيتون﴾[٤] يقول: «والتين، أي: المعاني الكلية المنتزعة عن الجزئيات التي هي مدركات القلب، شبهها بالتين ؛

---

١. المصدرنفسه، ص١٥.

٢. الأعراف، ١٤١.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، ج١، ص٣٢، ذيل الآية ٤٩ من سورة البقرة.

٤. التين، ١

لكونها غير مادية معقولة صرفة، مطابقة لجزئيات مقوية للنفس، لذيذة كالتين الذي لا نوى له، بل هو لب كله، مشتمل على حبات كالجزئيات التي هي في ضمن الكليات، مسمن للبدن، فيه غذائية وتفكه والزيتون أي: المعاني الجزئية التي هي مدركات النفس، شبهها بالزيتون»[١]

٧- اجتناب الإسرائيليات

تحاشى ابن عربي ذكر الإسرائيليات في تفسيره؛ لإنه يرى إن الرسول (صلى الله عليه واله) أمرنا أنّ لانصدق من اليهود شيئاً ولانكذبهم في حكاياتهم، إذ قال «أما المفسرون الذين يأخذون حكايات اليهود في تفسير القرآن، فقد أمررسول الله، ومن رد أمر رسول الله (صلى الله عليه واله) فقد رد أمرالله، فانّه أمر أن نطيع الرسول ونأخذ ماأتانا به، وأن ننتهي عما نهانا عنه؛ إذ لايوصلنا إلى أخبار الأنبياء الإسرائيليين إلا نبي فنصدقه، أو أهل كتاب، فنقف عند أخبارهم.»[٢]

٨- لاطريق لمعرفة المتشابهات إلا بإعلام الله

يعتقد ابن عربي بالإمكان فهم المتشابهات ولكن لاطريق إلاباعلام الله، إذ يقول «ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالمحكم، أي: لايحكموا عليه بشئ، فان تأويله لايعلمه إلا الله والراسخون بالعلم، وإن علموه بإعلام الله لابفكرهم واجتهادهم، فأن الأمر أعظم من أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي»[٣]

---

١. المصدرنفسه، ج٢، ص٤٤٣، ذيل سورة التين.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص١٣٩.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص٤١٢؛ ذيل الآية ٧ آل عمران.

ثالثاً. مصادره التفسيرية

١- ظواهر القرآن

٢- تفسير القرآن بالقرآن

٣- الروايات

٤- كلمات العرفاء

٥- تفسير القرآن على أساس القواعد العرفانية(مثل قاعدة وحدة الوجود المعروفة بين أصحاب الشهود، وإن كلٌّ منهم فسرها تفسيراً خاصاً، لكن على كل حال، قاعدة وحدة الوجود تؤثر تأثيراً مهماً في تعابير ابن عربي وكتبه، ولاسيما في الفتوحات والفصوص وتفسيره المعروف بتفسير ابن عربي فإنه في ذيل الآية: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ «يقول: ومعبودكم الذي خصصتموه بالعبادة أيها الموحدون معبود واحد بالذات، واحد مطلق، لا شيء في الوجود غيره، ولا موجودٌ سواه فيعبد، فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم البحت، فلا شرك إلا الجهل به»[١]

٦- المشاهدات العرفانية.[٢]

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي ج ١ ص ٦٣.

٢. أنطر: نفس المصدر.

المبحث الثالث:

نبذة عن حياة ملاصدرا والتعريف بتفسيره ومنهجهُ في فهم القرآن

هذا المبحث يتكلم عن نبذة مختصرة عن حياة ملاصدرا ومنهجه في فهم القرآن.

المطلب الأول ـ أسمه ونسبهُ مولدهُ ووفاتهُ حياتهُ ورحلاتهُ

أولاً . أسمهُ ونسبهُ

هو محمد بن أبراهيم بن يحيى، المشهورب: (صدر الدين) الشيرازي مولداً، والقمي مسكناً[١]، ويبدوا أن لقب القوامي هو لقب أُسرته الفارسية العريقة في شيراز، وكان يُطلق على زعيم هذه الأسرة التي كانت لها الرئاسة واستمرت إلى وقت قريب [٢]، ولقب بـ(صدرا) واشتهر به منذ طفولته،

---

١. أنظر: عرف نفسه في مواضع متعددة على هذا النحو، كما في مقدمة رسالة(صه اصل) ومقدمة تفسيرآية الكرسي، ومقدمة رسالة الحدوث؛ انظر محمد علي التبرسزي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية والنسب، انتشارات خيام، طهران، ط٣، ١٣٦٩هـ ش، ج٣، ص٤١٧.

٢. أنظر: الزنجاني، ابو عبد الله، مقالات في تاريخ القرآن الكريم وصدر المتألهين الشيرازي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ط١، ١٤٢٣ هـ ق/٢٠٠٢م،

لماظهر عليه من أمارات الذكاء والفطرة التي كانت تهتز للمعروف وذكر قصص في ذلك[١] كذلك يلقب بصدر المتألهين والملاصدرا وصدر الدين الشيرازي.

ثانياً. مولدهُ ووفاتهُ

مولدهُ: في كتاب الأسفار وجد العلامة الطباطبائي في تحقيقه نسخة خطية من الكتاب، تعليقات لملاصدرا حول نظرية إتحاد العاقل والمعقول «تاريخ هذه الإضافة كان ضحوة يوم الجمعة السابع من جمادي الأولى عام سبعة وثلاثين والف من الهجرة وقد مضى من عمر المؤلف ثمانية وخمسون سنة قمرية»[٢]

وفاتهُ: المعروف في كلمات المؤرخين أنه توفي في البصرة في طريقه إلى الحج عام ١٠٥٠ه. ق[٣] وأضاف التبريزي أنه كان يحج على

ص ١٤٤؛ انظر: علي جابر، فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي، ص٢٨؛ انظر: نزيه عبد الحسن، فلسفة صدر الدين الشيرازي، ص٢٢.

١. أنظر: المصدر السابق، ص١٤٥.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، المشاعر، ص٦؛ هنري كوربان، رسالة صه اصل، ص٩. الآملي، حسن زادة، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، ص١٧.

٣. أنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٥، ص٣٠٣؛ أبو عبد الله، الزنجاني، الفيلسوف الإيراني الكبير صدر الدين الشيرازي، ص٨٠٥؛ محسن بن الحسن، الحر العامل، امل الآمل في علماء جبل عامل، ج٢، ص٢٣٣؛ عباس، القمي، الكنى والألقاب، ج٢، ص ٤١٠؛ محسن، الأمين، أعيان الشيعة، ج٩، ص٣٢١-٣٣٠؛ صدر الدين، الشيرازي،

قدميه للمرة السابعة، مشياً، أما اللاهيجي تلميذ ملاصدرا فكان يقول أنه في طريقه للحج، أرتاحت نفسه في النجف الأشرف حيث قال في أبيات (در راه كعبه مرده وآسودة در نجف...اي من فداي خاك اين مرتبت كراست) ولكن لايوجد مؤشر حسيّ لذلك، وإنما روى آية الله السيد أبو الحسن القزويني سائلاً أحد الشيوخ الذي يسكن النجف ودائم السفر إلى البصرة: إن في البصرة قبراً مشهوراً بأنه للمولى صدر الدين الشيرازي غير أن بعض من ذهب إلى البصرة وفتش عنه لم يعثر عليه، لعل الأثر ضاع طيلة هذه المدة[1]

ثالثاً. حياتهُ ورحلاتهُ

كان والد ملاصدرا (أبراهيم يحيى القوامي) أحد وزراء دولة فارس التي عاصمتها شيراز، لم يرزق بولد ذكر نذر لله أن ينفق مالاً كثيراً على الفقراء وأهل العلم إذا رزق ولداً صالحاً موحداً. وقد توجه منذ صغره لطلب العلم ولما توفى والده رحل إلى أصفهان لإكمال معارفه، وهذا في عصر الدولة الصفوية، وكان مولعاً بالعلم وتحصيله منذ ريعان شبابه ولعل الوضع الاجتماعي قد أسهم في ذلك فقال: إني قد صرفت قوتي في سالف الزمان منذ أول الحداثة والريعان في الفلسفة الإلهية، بمقدار ما أوتيت من المقدور وبلغ إليه قسطي من السعي الموفور وأقتفيت آثار الحكماء السابقين

الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، مقدمة الشيخ محمدرضا المظفر؛ انظر: يوسف، البحراني، لؤلؤة البحرين، ج٢، ١٣١.

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٢، مقدمة المحقق.

والفضلاء اللاحقين مقتبساً من نتائج خواطرهم وأنظارهم مستفيداً من أبكار ضمائرهم وأسرارهم وحصلت ماوجدته في كتب اليونانيين والرؤساء المعلمين تحصيلاً يختار اللباب من كل باب.[١]

يمكن أن نقسم مراحل حياته إلى مرحلة الحياة العلمية ومرحلة الحياة العقلية، أما مرحلة حياته العلمية فتقسم[٢]

المرحلة الأولى- مرحلة التلمذة: وفيها تتبع آراء المتكلمين والفلاسفة، ويظهر إنه لم ينضج يومئذ مسلكه العرفاني كما يقول في مقدمة تفسيره لسورة الواقعة: وإني كنت سالفاً كثير الاشتغال بالبحث والتكرار، وشديد المراجعة إلى مطالعة كتب الحكماء والنظار.حتى ظننت إني على شئ، فلما أنفتحت بصيرتي ونظرت إلى حالي رأيت نفسي وإن حصلت شيئاً من أحوال المبدأ وتنزيهه عن صفات الإمكان والحدثان، وشيئاً من أحكام المعاد لنفوس الإنسان- فارغة من العلوم الحقيقة وحقائق الأعيان، مما لايدرك إلابالذوق والوجدان.[٣] وأتم هذه المرحلة على أيدي أساتذة شيراز وأصفهان.

المرحلة الثانية- مرحلة العزلة والانقطاع إلى العبادة في جبال كهك من قرى مدينة قم[٤] وقد استقام في هذه العزلة خمسة عشر عاماً، وكان

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج ١، ص ٤.

٢. أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٣٧١.

٣. أنظر: الشيرازي، إحمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٧، ص ١٠-١١. انظر: مجموعة من العلماء، فلسفة صدر المتألهين الشيرازي المباني والمرتكزات، ص٨.

٤. أنظر: القمي، عباس، سفينة البحارومدينة الحكم والآثار، ج ٢، ص ١٧ الهامش.

يعتقد في هذه الفترة بأن عدم وجوده في الدرس والتأليف بسبب إن هذه الأمور تحتاج إلى تصفية الفكر وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال وتحتاج إلى فراغ البال ولاتحصل هذه الأشياء ولايسمع ويرى من أهل الزمان من قلة الإنصاف وكثرة الاعتساف، وخفض الأعالي والأفاضل ورفع الأداني والأراذل.

المرحلة الثالثة- مرحلة التأليف حيث بدأ بتأليف الكتب وأهمها الأسفار، ويظهرأنه أشتغل بتأليفه وهو لايزال في موطن عزلته.(١)

المطلب الثاني: أساتذتهُ وشيوخهُ وتلاميذهُ وأنجازاتهُ والتعريف بتفسيره

أولاً. أساتذتهُ وشيوخهُ

في شيراز لايعلم لملاصدرا أساتذة، ويحتمل أنه قد تتلمذ على يد أستاذ خاص، كما هي عادة أبناء الأكابر(٢)، لكن بعد أنتقاله إلى أصفهان حظي بأساتذة كبار كانت لهم تأثيرات كبيرة في حياته، فأول من التقى به كان السيد أبو القاسم الفندرسكي والشيخ بهاء الدين العاملي والسيد الداماد، وذكرت المصادر، إن العزلة والرياضات الروحية كانت من السيد الفندرسكي، أما أستاذه البهائي(٣)، فهو محمد بن الحسين بن عبد الصمد

---

١. انظر: نزيه عبد الحسن، فلسفة صدر الدين الشيرازي، ص٢٧؛ أنظر: عبدالله، جوادآملي، الرحيق المختوم، ج١، ص٢٦-٢٧.

٢. انظر: نفس المصدر.

٣. ولد في بعلبك وتوفي في اصفهان ودفن في طوس قرب الحضرة الرضوية، انظر عبد الله

العاملي الحارثي الهمداني، كان فقيهاً ومتصوفاً ومحدثاً ومفسراً ورياضياً، فانعكس ذلك على روح ملاصدرا وأشراقه وأهتمامه بالحديث، جمع الشيخ البهائي بين الظاهر والباطن، وجمع بين الفقه والتصوف ولم يرَ في ذلك أي تناقض فهومن قال: (من تفقه ولم يتصوف فقد تفيقه ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق)[١]، أما أستاذه الآخر فهو السيد محمد باقر الاسترآبادي، المشهور بالداماد[٢] الفيلسوف الإلهي والفقيه الشاعر، كان متعبداً مكثراً من تلاوة كتاب الله، مواظباً على أداء النوافل ولم يفته شئ منها منذ بلوغه سن التكليف حتى مات[٣]، كان أستاذ ملاصدرا في العلوم الإلهية والمعارف العقلية بلامنازع.

ثانياً. تلامذتهُ

أشتغل ملاصدرا في التدريس مدة حياته، واجتهد في نشر آرائه وأفكاره، ماخلا مدة أعتزاله في جبال قم، وقد أشتغل في التدريس في مدرسة (الله وردي خان) في أواخر عمره، وأجتمع حوله الكثير من طلاب العلم لكن لم يعرف عنهم شئ، سوى من صاروا أعلاماً في ميادينهم العلمية

نعمة، فلاسفة الشيعة، ص٤٤٦.

١. انظر: جابر، علي امين، فلسفة التأويل عند صدرا، ص٣٩؛ دلال عباس، دار الحوراء، بيروت ط١، ١٩٩٥م، نقلا عن اشعار الشيخ البهائي، ص١٤٤، وكليات الشيخ البهائي، ص٣٨

٢. أنظر: نفس المصدر

٣. انظر: نعمة، عبد الله، فلاسفة الشيعة، ص٤٤٢

وهم:

١- المولى محمد بن مرتضى، المعروف ب: محسن الفيض الكاشاني(١٠٠ هـ.ق-١٠٩١ هـ- ق) [١]

٢- المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهيجي الجيلاني ثم القمي، المعروف بـ: الفياض (ت ١٠٧١ هـ.ق)[٢]

٣- الشيخ حسين التنكابني، وله في رسالة حدوث العالم، طبعت بحاشية كتاب المشاعر لملاصدرا في الطبعة الحجرية[٣]

٤- القاضي سعيد القمي(١٠٤٩ هـ.ق-١١٠٣هـ.ق او١١٠٤ هـ.ق) [٤]

٥- الميرزا أبراهيم بن محمد صدر المتألهن الشيرازي(توفي حوالي ١٠٧٠ هـ.ق) [٥]

---

١. أنظر: الزنجاني، ابو عبد الله، مقالات في تاريخ القرآن الكريم وصدر المتألهين الشيرازي، مصدر سابق، ص١٦٣

٢. أنظر: المصدرنفسه، ص١٦٤.

٣. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، مقدمة المحقق، ص٨٣

٤. أنظر: المصدرنفسه، ص٨٤.

٥. أنظر: الزنجاني، أبوعبد الله، مقالات في تاريخ القرآن الكريم وصدر المتألهين الشيرازي، ص٥٦؛ سعيد بن محمد مفيد القمي، شرح توحيد الصدوق، تصحيح نجفقلي حبيبي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١٥.ه.ق، ج١، ص٧، مقدمة المصحح)

ثالثاً. أنجازاته ومؤلفاته

إنجازاته

١- مسألة أصالة الوجود، بنحو التحقيق والشرح الكامل

٢- التوحيد الخالص، بنحو صحيح مبرهن.

٣- الحركة الجوهرية، بنحو كامل وشامل

٤- مسألة أتحاد العاقل والمعقول

٥- اتحاد النفس الناطقة في سيرها التكاملي بالعقل الفعال.

٦- قاعدة بسيط الحقيقة كل الأشياء

٧- النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء

٨- قاعدة النفس في وحدتها كل القوى

٩- تجرد القوة الخيالية بالتجرد البرزخي

١٠- إثبات أرباب الأنواع، بنحو تام، وتوضيح مراد أسلافه من هذا المقال

١١- تحقيق في الصور البرزخية والمثل المعلقة بين عالم العقل وعالم الطبيعة

١٢- تحقيق في المعاد الجسماني[١]

مؤلفاته

«ترك ملاصدرا تراثاً علمياً في حقل الفلسفة والعرفان والتفسير والحديث ماينيف عن ثلاثة وثلاثين كتاباً، سنشير إلى أهمها (الأسفار الأربعة، المبدأ والمعاد، الشواهد الربوبية، المشاعر، الحكمة العرشية، أسرار الآيات، شرح الهداية الأثيرية، شرح إلهيات الشفاء، رسالة الحدوث، مفاتيح الغيب، شرح أصول الكافي)»[٢]

رابعاً. تفسير ملاصدرا

«تفسير القرآن الكريم، وهذا التفسير، يسمى تفسيراً عرفانياً فلسفياً، أعتنى بالظاهر كما أعتنى بالباطن، واستفاد من المصادر التفسيرية المشهورة، كما أستفاد من أهل الكشف والشهود، خصوصاً ابن عربي والقيصري ؛ فإن لابن عربي منزلة رفيعة عند ملاصدرا، ولا يرى تلك المنزلة لشخص آخر، وهو لم يجمعه في حياته وإنما كان قد جمع من كتبه مثل الأسفار وشرح أصول الكافي وغيرها من كتبه، يشتمل على تفسير بعض القرآن، فلا يشمل جميع الآيات، وقد طبع في سبعة مجلدات على النحو الآتي:-

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج١، المقدمة

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، نهاية الآمال في شرح رسالة خلق الأعمال، ص١٧

الأول: يشمل على تفسير سورة الفاتحة والبقرة إلى الآية ١٦ في ٥٥٢ صفحة

الثاني: يشمل على بقية سورة البقرة إلى الآية ٣٣ من السورة نفسها في ٤٤٨ صفحة

الثالث: يشتمل على تفسير آيات البقرة من الآية ٣٤ إلى الآية ٦٥ من البقرة في ٥٦٨ صفحة

الرابع: يشتمل على تفسير آية الكرسي: ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ من البقرة في ٤٦٢ صفحة الرابع

الخامس: تفسير سورة يس إلى آخرها في ٥٧٦ صفحة

السادس: تفسير سورة السجدة والحديد إلى آخرها في ٤١٤ صفحة

السابع: تفسير سور الواقعة والجمعة والطارق والأعلى والزلزال، في ٥١٢ صفحة»[١]

ولقد مهد ملاصدرا لتفسيره بمقدمة هي كتابه المعروف بـ (مفاتيح الغيب)، عدها مفاتيحاً للعلوم الحقيقية، وهي مجموعة من القواعد والقوانين التي يُستعان بها لفهم التنزيل وأسرار التأويل فقال «ولنشرع في مصادر يتعاطاها علم التأويل، ومقدمات يعين فهمها على فهم معاني التنزيل، فأن كل علم له ماهية وموضوع، ومبادئ ومسائل وغاية، يجب على الطالب أن

١. نسب، محمد علي اسدي، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، ص٤٣٨.

يعلم ماهو، وفيما هو، ومما هو، ولما هو»[١] وتعد هذه المقدمة مدخلاً لفهم تفسير ملاصدرا.

المطلب الثالث. منهج فهم القرآن عند ملاصدرا ومميزاته ومصادره التفسيرية.

أولاً. منهج فهم القرآن عند ملاصدرا.

الحكيم المتأله الملاصدرا، من جهة غوره في كتب الفلسفة (أعم من الإشراقية والمشائية)، وتمرسه في علوم أهل الكشف، وإحاطته بالمأثورات الواردة من طريق الشرع، والسير الكامل في أفكار الأفلاطونيين الجدد والقدماء، وأطلاعه الكافي على جميع المشارب والأفكار، أسس طريقته التي رجحت على جميع المشارب والمآرب الفلسفية (وأفكار الشيخ الرئيس العميقة، وسائر أتباع المشاء، وآراء الأفلاطونيين، وتحقيقات العرفاء، وأفكار حكماء الإشراق والرواق قد هضمت في كتبه التحقيقية) وأحاطتها سعة فكرة وجودة تحقيقه كل الإحاطة، قال في مقدمة الشواهد: قد أطلعت على مشاهد شريفة، قلما تيسر لأحد الوقوف عليها، إلا أوحدي من أفاضل الحكماء، أوصوفي صفي القلب من أماجد العرفاء[٢]، لذا كان منهجه فلسفياً وعرفانياً.والكلام هنا في مقامين:

المقام الأول: المؤلف- قدس سره- سالك في هذا الكتاب مسلكه المذكور في سائر مؤلفاته، وهو سلوك بادءا مع عامة المفسرين في معنى

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٢-٣.

٢. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج١، ص٥٣.

مفردات الإلهية وأختلاف القراءات وذكر أقوالهم ونقدها، ثم التحقيق الذي له أو لغيره من المحققين من أهل الحق. جاء في تفسير سورة الحديد ١٤١ «ذكرت فيها لب التفاسير المذكورة في معانيها. ولخصت كلام المفسرين الناظرين في مبانيها، ثم أتبعتها بزائد لطيفة يقتضيها الحال والمقام. وأردفتها بفوائد شريفة يفضيها المفضل المنعام»[١]، وكان مرجعه في أوائل المباحث ومعاني الكلمات والقراءات تفسير (مجمع البيان والبيضاوي والكشاف) وعند ذكر الأقوال وبيان الآراء (تفسير مجمع البيان، والفخر الرازي، وتفسير النيشابوري).

المقام الثاني: «إن القرآن بمنزلةِ مائدة نازلة من السماء إلى الأرض، لأنها نازلة بألوان مافيها من الأطعمة من سماء عالم العقول إلى أرض النفوس التي فيها غرس أشجار الآخرة. وفيها كل صنف من أصناف الخلق رزق معلوم ونصيب مقسوم... فالحكمة والبرهان لقوم، والموعظة والخطابة لقوم، ويوجد لغيرهما أيضاً أغذية متوسطة في اللطافة والكثافة، على حسب مرامهم ومقامهم، إلى أن تنتهي الأغذية في الثفالة والسفالة إلى حد القشور والنخالة. وهي للعوام الذين درجتهم درجة البهائم والأنعام»[٢].

ثانياً.مميزات منهجهُ في فهم القرآن.

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القران الكريم، ج٦، ص١٤١، مقدمة تفسير سورة الحديد..

٢. نفس المصدر، ج١، ص١٢٢-١٢٣.

١ - هدفه ذكر الإلهامات الغيبية في تفسير الآيات

ذكر الإلهامات التفسيرية هو الهدف الأساسي في تفسير الملاصدرا، فمثلاً عندما يتكلم على تفسير سورة الحديد، وهي أول سورة فسرها؛ لأنه في كتاب (شرح أصول الكافي) يقول: «ثم من النوادر: أن هذا العبد المسكين كان في سالف الزمان، متأملاً متدبراً، على عادتي عند تلاوة القرآن في معاني آياته ورموزها وإشاراتها، وكان المنفتح على قلبي من آيات هذه السورة وإشاراتها أكثر من غيرها، فحدا بي ذلك - مع ما سبق من الخواطر الغيبية والدواعي العلمية والإعلامات السرية - إلى أنّ أشرع في تفسير القرآن المجيد والتنزيل الحميد، فشرعت، وكان أول ما أخذت في تفسيره من السور القرآنية هذه السورة؛ لفرط شغفي وقوة شوقي، بإظهار ما ألهمني ربي من عنده»[1]

٢ - العناية بالتفسير الظاهري

يعد تفسير الملاصدرا من التفاسير العرفانية التي تعنى بالظاهر، وتهتم بالقواعد الممهدة لمعرفة الكلام في مقام الإفادة والاستفادة، فيقول: «وأنت خبير بأن خروج الألفاظ القرآنية عن معانيها المتعارفة المشهورة يوجب تحير الناظرين فيها، والقرآن نازل لهداية العباد وتعليمهم وتسهيل الأمر عليهم مهما أمكن، لا للتعقيد والإشكال، فيجب أن تكون اللغات محمولة

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٣، ص٢٤٦: باب النسبة.

على معانيها الوضعية المشهورة بين الناس ؛ لئلا يوجب عليهم الالتباس»[١]

٣- العناية الكثيرة بالتفسير الإشاري وعدم الاكتفاء بالظواهر

في كتب ملاصدرا جميعها نجد العناية الكبيرة بالكشف والشهود في معرفة كلام علام الغيوب والقرآن المشهود، كما نراه يهجم على المكتفين بالظواهر، والذين يجتنبون الأسرار والبطون، فيقول: «فمن لم يطلع من القرآن إلا على تفسير الألفاظ، وتبيين اللغات، دقائق العربية والفنون الأدبية، وعلم الفصاحة والبيان، وعلم بدائع اللسان، وهو عند نفسه أنه من علم التفسير في شيء، وأن القرآن إنما أنزل لتحصيل هذه المعارف الجزئية، فهو أحرى بهذا التمثيل، أي: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٢]»[٣] كما ونستدل على عنايتهِ بالتفسير الإشاري، أنّنا كثيراً مانلاحظ في تفسيره عناوين مثل(إشراق، تاييد عرفاني، أنوار رحمانية، تحقيق عرشي، إشراق شمسي، إشراق عرشي، نور قمري، ظل قمري، هداية عقلية، إفتتاح كشفي، إشراق نور برهاني لإرائة سرقرآني، إشارة قرآنية، تفريع شهودي، كشف إلهامي، مكاشفة قلبية، بصيرة قلبية، مكاشفة برهانية، مكاشفة فيها إشارات، إشراق أفاضي)

١- تفسير الآية ١٠ من سورة السجدة؛ انظر، اسدي نسب، محمد علي، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، ص٤٤٤

٢- الجمعة، ٥

٣- تسب، محمد علي اسدي، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، ص٤٤٥.

٤ - لزوم طهارة الروح لتفسير القرآن الكريم

لا تصدر الكلمات الروحانية إلا من الأرواح الطاهرة، فالتفسير الإشاري الروحاني ينبع من القلب الطاهر النوراني، ولأجل ذلك يقول الملاصدرا: «وأعلم أنك لو أردت أن تكون عالماً ربانياً مفسراً للكلام الإلهي، من دون أن تتعب نفسك وتداوم على الأمور المقربة للقدس، من الرياضة والخضوع والخشوع والصبر والصلاة، وتجريد الذهن عن الخواطر، وسد أبواب المشاعر، ودوام النظر في الإلهيات، فقد حدثت نفسك بممتنع أو شبيه بالممتنع»[١]

٥ - العناية بالفلسفة والعرفان والنقل والمسلّمات الكلامة

«إن فسلفة صدر المتألهين ليست فلسفة اليونانيين المشائين، وليست فلسفة العرفاء والإشراقيين، وليست مخالفة للكتاب والسنة، أو مضادة للاعتقادات الكلامية الصادقة، بل فلسفته كمفترق ختم به الكل، فهو يعتقد عدم مخالفة العلوم الصحيحة العقلية أو الكشفية لما يوجد في الكتاب والسنة.

فتارة يقول: وحاشى الشريعة الحقة البيضاء، أن تكون أحكامها مصادقة للمعارف اليقينية الضرورية، وتباً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة

١- الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٢٩٨.

للكتاب والسنة»[١] وتارة اخرى يقول: «ونحن قد جعلنا مكاشفاتهم الذوقية مطابقة للقوانين البرهانية»[٢]

٦ - النقد الشديد للصوفية والباطنية وأجتنابهما

قد فرق ملاصدرا بين منهج العرفاء الكاملين الصادقين، وبين منهج المتصوفين والباطنيين والمؤولين لما هو واضح وجلي، إلى ما هو مبهم وكريه، الذين لا يعرفون شيئاً من قواعد التأويل الصحيح للقرآن،

فهو يقول: «إن بعض الجهلة من المتصوفين المقلدين، الذين لم يحصلوا طريق العلماء العرفاء، ولم يبلغوا مقام العرفان، توهموا ؛ لضعف عقولهم، ووهن عقيدتهم، وغلبة سلطان الوهم على نفوسهم، أن لا تَحقق بالفعل للذات الأحدية»[٣] وفي مكان آخر يقول: «وبهذا الطريق توسلت الباطنية إلى هدم جميع الشريعة، بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم، فيجب الاحتراز عن الاغترار بتلبيساتهم ؛ فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين ؛ إذ الشياطين بوساطتهم تتذرع إلى إنتزاع الدين من قلوب المسلمين»[٤]

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج٨ ص٣٠٣.

٢. المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٣.

٣. الشيرازي، محمد بن محمد، كسر اصنام الجاهلية، ص٣-٤.

٤. المصدر نفسه، ص ٣٠

٧ - اجتناب التأويلات المخالفة للظواهر

٨ - القرآن درجات كما للإنسان درجات

يقول ملاصدرا: «وبالجملة: إن للقرآن درجات ومنازل، كما إن للإنسان مراتب ومقامات، وأدنى مراتب القرآن كأدنى مراتب الإنسان، وهو ما في الجلد والغلاف، كما أن أدنى الدرجات للإنسان هو ما في الإهاب والبشرة، ولكل درجة منه حملة يحفظونه ويكتبونه ولا يسمونه إلا بعد طهارتهم عن حدثهم أو حدوثهم، وتقدسهم عن علايق مكانهم أو إمكانهم، والقشر من الإنسان لا ينال إلا سواد القرآن وصورته المحسوسة، ولكن الإنسان القشري من الظاهرية لا يدرك إلا المعاني القشرية، وأما روح القرآن ولبه وسره، فلا يدركه إلا أولو الألباب، ولا ينالونه بالعلوم المكتسبة من التعلم والتفكر، بل بالعلوم اللدنية»[١]

ثالثاً. مصادره التفسيرية

الاتجاه العام الحاكم على تفسير ملاصدرا هو الاتجاه العرفاني الفلسفي، وهذا شيء مشهود في الآيات جميعها التي فسرها والسور التي بينها، وحتى حينما يستفيد من الروايات والآيات ومصادره التي بها يفسر الآيات، ويؤولها

١- القرآن الكريم

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص ٤١.

٢- الروايات والآثار

٣- الكشف والشهود

٤- القواعد الفلسفية و العرفانية بينها في تفسير سورة يس، مثل:

أ- الإنسان متحد الحقيقة مع العالم

ب- الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير

ج- كل حكم ثبت لبعض الأفراد، أمكن ثبوته لسائر أفراد نوعه[١]

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص٣٦٧-٣٦٨.

خلاصة الفصل

١- إن تعاريف الإنسان اللغوية كانت قريبة في المعنى للتعريف الاصطلاحي، إذ كانت تلك التعاريف بمعنى الإنسانية البعيدة عن البعد البدني.

٢- الكمال في اللغة هو أعلى درجة من التمام وكذلك هو في الاصطلاح و يصل به الإنسان إلى أعلى المقامات

٣- حياة الزهد والتقوى التي كان يعيشهما ابن عربي والملاصدرا متشابهة في كونهما على الرغم من الثراء المادي كانوا يعيشون حياة الزهد والتقوى.

٤- غزارة المنتوج العلمي للعلمين

٥- أما بالنسبة إلى تفسير ابن عربي فهو تفسير عرفاني إشاري يهتم بالبطون والتأويل وكذلك يأخذ بالظاهر من القرآن الكريم، كما أهتم بتفسير القرآن بالقرآن وبالروايات البعيدة عن الإسرائيليات، وأن القرآن يحتمل الوجوه الكثيرة لأن عباده متفاوتون بالنظر، كذلك ملاصدرا كان في أسلوبه التفسيري يتفق مع المفسرين الكبار ويحذو حذوهم في الغالب، فهو يذكر الآية أولاً، ويبحث عن مجموعة من العلوم العربية غالباً، مثل: القراءات، واللغة، والنحو، والفصاحة والبلاغة، ثم يذكر تفسيراً ظاهرياً طبقاً للقواعد الموجودة في الأصول والتفسير، وغالباً ينقل كلمات القوم في هذه المرحلة وكان يتبع في تفسيره للقرآن الكريم المنهج الإشاري العرفاني ولم

يكتفِ بالظاهرحيث كان أسلوبه يتشكل من قسمين ظاهري وعرفاني

٦- كان ابن عربي يبني منهجه على المكاشفات والمشاهدات لكن من دون ترك الظواهر، أما ملاصدرا فكان يبني منهجه على القواعد الفلسفية والعقلية وعلى المكاشفات والإلهامات الغيبية.

٧- أشار ابن عربي إلى أن المنهج الإشاري يمكن أن نأخذ به من أولياء الله تعالى فقط لأنهم غاصوا في بحر كلمات الله تعالى عن طريق مجاهداتهم وتزكية نفوسهم فلما طهرت استطاعوا الغوص وأستخراج اللؤلؤ، وكذلك ملاصدرا كان يعتقد أن الإلهام والإشارة إنما تحصل عند أولئك الملتزمين بطهارة الروح (اولياء الله).

٨- العلمان كانوا يفسرون القرآن بالقرآن فضلاً عن الروايات والقواعد العرفانية والمكاشفات وصدرا يعتمد القواعد الفلسفية.

٩- يعتقد ملاصدرا إن أسرار القرآن و روحه ولبه لاتدرك بالعلوم الكسبية بل بالعلوم اللدنية.

١٠- إن ملاصدرا كان لايخرج في التفسير عن الكتاب والسنة وكان يهتم بالمسَّلمات من العقيدة ولكن الحاكم عليه هو الاتجاه العرفاني.

الفصل الثاني

الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ابن عربي

- ۞ المبحث الأول: تعريف الإنسان الكامل عند ابن عربي
- ۞ المبحث الثاني: خصائص الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي
- ۞ المبحث الثالث: مقامات الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي

المقدمة

يُعد بحث الإنسان الكامل من البحوث المهمة، على مستوى المسلمين وغير المسلمين لأنها نظرية كان منشأها قبل الإسلام، وأهتم بها المسلمون منهم العرفاء والصوفية بشكل خاص، و نالت مكانة في كتب كثيرة في الشرح والتفسير ولاسيما مصنفات ابن عربي، وخاصة كون المصداق الأتم لها هو الخاتم (صلى الله عليه وآله)، وكانت كتب ابن عربي لها الحظ الوافر من هذه النظرية، فهي أهم أبداعات التصوف الفلسفي تكشف النزعة الإنسانية، وانتقال الإنسان من الإنسان الوجودي إلى الإنسان الإلهي. وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول يتكلم حول تعريف الإنسان الكامل عند ابن عربي، وكان له تعاريف متعدده قسمت حسب حضوره في الحضرات أو المراتب.

ثم المبحث الثاني :- وكان تحت عنوان خصائص الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي، فقسمنا هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول هو خصائص الإنسان الكامل التكوينية- وتشمل إنّه روح العالم وسبب إيجاده وإنّه النفس الواحدة التي خلق منها النوع الإنساني وإنّه عين الوجود

الإمكاني وإنه حامل للأمانة الإلهية، وخليفة الله وظله، وإنه عمد السماء.

والمطلب الثاني خصائص الإنسان الكامل المعرفية وتشمل علم الغيب، وميزان كشف الصحيح من السقيم.

والمطلب الثالث- يشمل خصائص الإنسان الأخلاقية وتشمل التواضع وصاحب الخلق العظيم.

والمبحث الثالث: -و يتكلم عن مقامات الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي فقسمنا هذا المبحث إلى ثلاث مطالب أيضا، المطلب الأول مقامات الإنسان الكامل قبل الدنيا وتشمل الحقيقة المحمدية و واسطة الفيض.

المطلب الثاني - مقامات الإنسان الكامل في الدنيا ويشمل الولاية المطلقة والعبودية المطلقة وقاب قوسين أو أدنى، المطلب الثالث هو مقامات الإنسان الكامل بعد الدنيا- ويشمل الشفاعة، وميزان الأعمال.

وبينا في المقدمة أنّه وإن كانت مقامات الإنسان الكامل سارية المفعول في الدنيا والآخرة، وكذلك مقام الشفاعة ليس خاصاً بالخاتم (صلى الله عليه وآله) ولكن كونه واسطة الفيض في الدنيا والآخرة وبه يفتح باب الشفاعات الأخرى.

المبحث الأول:

تعريف الإنسان الكامل عند ابن عربي

بما أن الإنسان الكامل ماهو إلا إشراق وتجليّ لحقيقة واحدة وهي الذات الإلهية، لذا فهو يظهر بمظاهر مختلفة حسب أختلاف قوابل ذلك الظهور، يقول الإمام الخميني (رحمه الله)«أعلم أن الإنسان لكونه كوناً جامعاً، وله بحسب المراتب النزولية والصعودية نشآت وظهورات وعوالم ومقامات، فله بحسب كل نشأة وعالم لسان يناسب مقامه»[١].، فلكل مظهر كان له تعريف خاص وكل التعاريف في المراتب جميعها ماهي إلاشرح للإنسان الكامل وبما إنّه جمع المراتب الحقية والخلقية إذاً لابد من الوقوف على تلك المراتب والتعريف يكون على أساس الظهور في تلك المرتبة، وكذلك تتحقق لنا فرصةُ التعرف على المراتب الوجودية لدى العرفاء.

---

١. الخميني، روح الله، الله في العرفان، ص١٧٦

المطلب الأول: تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراته في مَرتِبة التعين الأول

هي مرتبة علم الذات بنفسها على نحو الإجمال من غير تمايز بعضها عن بعض، فإن الذات تنظر إلى الحقائق والمعاني المندكة فيها على نحو البساطة والاندماج من دون أي كثرة، فتتجلى أول مرتبة للإنسان الكامل وهي الحقيقة المحمدية وأول مرحلة لتكوينهُ وأول سير وجودي له في العوالم الحقية لذلك نُعَرِف الحقيقة المحمدية عند ابن عربي كما يقول الفناري «وكنى عنه بعضهم بالحقيقة المحمدية لأنه نورهُ المظْهر لرتبتهِ...وإليه أشار بقوله عليه وآله السلام: أول ماخلق الله نوري»[1] فكان ظهور الإنسان الكامل في هذه المرتبة هو النور المظهر لهذه لرتبتة فظهر:-

أولاً - النَّفَسْ الرحماني أو الصادر الأول

وهو «الحقيقة الكلية التي هي للحق و للعالم لا تتصف بالوجود ولا بالعَدم ولا بالحدوث ولا بالقِدم، هي في القديم إذا وصف بها قديمة، وفي المحدث إذا وصف بها محدثة..وهي في كل موجود بحقيقتها فإنها لا تقبل التجزي، فما فيها كل ولا بعض لا يتوصل إلى معرفتها، مجردة عن الصورة لابدليل ولا ببرهان فمن هذه الحقيقة وجِد العالم بوساطة الحق تعالى وليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم، فكذلك لتعلم أيضاً أن هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالَم ولا العالَم

١. الفناري، محمد حمزة، مصباح الأنس، ص ٣٢٠-٣٢١.

بالتأخر عنها ولكنها أصل الموجودات عموماً وهي أصل الجوهر وفلك الحياة والحق المخلوق به»[١] ونستطيع أنّ نشبه النَّفَس الرحماني كما الخشب فهو في الكرسي والباب واللوحة وغيرها.قال ابن عربي في تفسيرالآية ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[٢] «أعيان الموجودات كلها كلمات قد أخرجها الله من العدم.و هو الذي أزالَ ضيق وحرج العدم إلى الوجود فنَّفَس الرحمن هو المُعطي صور الممكنات الوجود، كما أعطى النَّفَس الحروف، فالعالم كلمات الله من حيث هذا النَّفَس»[٣]. يعدُّ ابن عربي إنّ أول الصوادر هو النّفَس الرحماني[٤] ويسمى الحق المخلوق به، فلما كان الإنسان الكامل على الصورة الإلهية، فهو الحق المخلوق به أي المخلوق بسببه العالم، إذاً النفس الرحماني ماهو إلا مظهر أو شأن من شؤون الإنسان الكامل.كما ويشبهه ابن عربي بالماء للطف سريانهُ في الموجودات فهو كالماء الذي يسقى مزروعات الوجود.

---

١. يد الله، يزدان بناه، العرفان النظري مبادئه واصوله، ص٥٥٢-٥٥٣؛ محي الدين، ابن عربي، الفتوحات المكية، ج١، ص١١٩.

٢. الكهف، ١٠٩.

٣. ابن عربي، محمدبن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٤؛

٤. هو التجلي الوجودي الذي يتعين ويصير اعياناًموجودة، ارواحا كانت او اجساما. وهو، العين الجوهرالقابل للصور الروحانية والجسمانية" اي هوالعين التي تنشأ منها الصور والأجسام أي هو مادة للروحانيات والجسمانيات

ثانياً- الحقيقة المحمدية

١- وجاء في فصوص الحكم أنه «هو الذي يأخذ علمه مباشرة عن روح محمد التي يرمز إليها الصوفية عادة باسم (القطب) و لا يقصد بالحقيقة المحمدية أو روح محمد، محمدٌ النبي بل حقيقته القديمة التي تقابل العقل الأول عند أفلاطون و (الكلمة) عند المسيحيين، و التي يقول ابن عربي إنها المقصودة في الحديث (كنت نبياً و آدم بين الماء والطين)، لا بمعنى قدِّر لي أن أكون نبياً قبل خلق آدم كما يدل عليه ظاهر الحديث، بل بمعنى وجدت حقيقتي أو روحي التي هي العقل الإلهي قبل أن يوجد آدم»[١] يتضح جلياً من كلام ابن عربي أن المراد من الحقيقة المحمدية ليس الوجود العنصري للخاتم (صلى الله عليه وأله)، وإنما الصادر الأول الذي خلقه الله تعالى كما في حديث (أول ماخلق الله نوري)[٢]، فالمقصود هو حقيقته الوجودية ومرتبته، وهذا ماكان يقصده ابن عربي من الحقيقة المحمدية.وسميت هذه المرتبة باسم الحقيقة المحمدية كونه أول من وصل ذلك المقام وتلك المرتبة.

٢- «المفعول الإبداعي الذي هو الحقيقة المحمدية عندنا والعقل الأول عند غيرنا. وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله من غير شئ»[٣]. عَرَف

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج٢، ص٢٥.
٢. الآملي، حيدر بن علي، تفسير المحيط الأعظم، ج١، ص٣١٥.
٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج١، ص٩٤؛ جهانكيري، محسن، محي الدين ابن عربي الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، ص٤٦٢.

ابن عربي الحقيقة المحمدية أنها المفعول الإبداعي الذي أسماه بالحقيقة المحمدية وقال عند غيرنا وكان يقصد بهم الفلاسفة فعندهم يسمى بالعقل الأول، وعبر عنه القلم الأعلى.

ثالثاً- الروح الأعظم

«إن الروح الأعظم الذي في الحقيقة هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، لذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا أن يروم وصلها رايم، الداير حول جنابها يحار و الطالب لنور جمالها يتقيد بالأستار لا يعلم كنهها إلا اللّه ولا ينال بهذه البغية سواه. و كما أن له في العالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية و اللوح المحفوظ و غير ذلك على ما نبهنا عليه من إن الحقيقة الإنسانية هي الظاهرة بهذه الصور في العالم الكبير كذلك له في العالم الصغير الإنساني مظاهر و أسماء بحسب ظهوراته و مراتبه».[١] يتبين من بعض أقوال ابن عربي أن الروح الأعظم هو الروح الإنساني وقصد منه روح محمد (صلى الله عليه وآله)، وجاء في تفسير ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[٢] «الأب في الولادة الدينية، فلذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه في هذه الولادة المعنوية النفوس الطاهرات الصالحات لأن تكون مورداً لأسراره، وهم الرجال العلماء، والمؤمنون ليسوا رجالاً بهذا الاعتبار لأنهم

---

١. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، مقدمة القيصري، ص١٣٧.

٢. الأحزاب، ٦

أطفال في الرضاع...وانفر إلى رحمك الديني الذي هو أولى بك من نفسك، قال تعالى في الرحم الديني(إنما المؤمنون أخوة)»[1] عدَّ ابن عربي هذه الآية القرآنية عن الأب في الروحانية حيث كان رسول الله (ص) أباً في الروحانية وأزواجهِ النفوس الطاهره هم العرفاء العلماء. فما نحن سوى أرواح من روحه الكلية، ليس بينها بينونة عزلية كما (وأرواحكم في الأرواح) كما و روحه صلى الله عليه وآله في روح الأنبياء فهو أب الأرواح كلها.فروحه سارية في الأرواح.

رابعاً- العقل الأول

«الذي هو القلم الأعلى وهو أول ما خلق اللّه فهو الأول من حيث ذلك المظّهر لأنه أول الموجودات عنه»[2]. وهو أول مظّهر ظهر في تلك المرتبة. يقول ابن عربي في كتاب المسائل «وأول موجود ظَهَر مقيدٌ فقيُر موجود يسمى العقل الأول والروح الكلي ويسمى القلم ويسمى العدل ويسمى العرش ويسمى الحق المخلوق به ويسمى الحقيقة المحمدية ويسمى روح الأرواح ويسمى الإمام المبين ويسمى كل شئ وله أسماء كثيرة.»[3]. العقل هو أول المخلوقات النورانية التي ظهرت في مرتبة التعين الأول، أي بعد مرتبة النَّفَس الرحماني لإعتقاد ابن عربي أن أول الصوادر

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٧٨-٣٧٩.

٢.ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج٢، ص٩٥.(٤) شرح فصوص الحكم، القيصري، ت حسن زادة، ج١، ص٣٨٢

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي، ج٢، ص٩-١٠.

هو النَّفَس الرحماني ففي هذه المرتبة كان أول ظهور هو العقل الأول الذي أسماه بعدة تسميات منها القلم والعرش والروح الكلي، كما جاء في تفسير ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[١]. «أعلم إن أول ما خلق الله العقل، وهو الذي ظهرت منه هذه العقول بوساطة هذه النفوس الطبيعيه، وسماها الله في كتابه العزيز الروح ، وأضافهُ إليه فقال في حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الأرواح الجزئية التي لكل نفس طبيعية، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ وهذا هو العقل الأكبر (فقعوا له ساجدين)»[٢].

خامساً ـ آدم

عندما نستقرأ الآيات القرآنية ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٣]، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٤]، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[٥] وغيرها من الآيات القرآنية الشريفة نرى أن المراد منها آدم أبو البشر، ولكن ابن عربي عندما قال آدم لايريد به آدم أبو البشر، إنما المراد منه الكلمة الآدمية (الروح الكلي) الذي هو مبدأ النوع الإنساني كما قال «فآدم هو النفس الواحدة التي خلق منها هذا النوع الإنساني»[٦] إذا علمت

---

١. الحجر، ٢٩.
٢. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٢، ص٤٥٥.
٣. البقرة، ٣٥.
٤. البقرة، ٣٧.
٥. طه، ١٢١.
٦. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ج١، ص٣٠٦.

إن آدم هو الخليفة على العالم ومدبره فآدم في الحقيقة هو العقل الأول الذي هو الروح المحمدي، التي أشار اليها الخاتم (صلى الله عليه وآله): (أولَ ماخلق الله نوري) فالنفس الواحدة هي حقيقة الإنسان من حيث هو روح العالم، وجميع الأنواع مخلوقة منه(ونفخت فيه من روحي)، وبقوله (صلى الله عليه وآله)(كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)[1]

سادساً- الكلمة

«الكَلِم جمع كلمة و معناها عنده الإنسان الكامل أي الإنسان الذي حقق في وجوده كل معاني الكمال الإلهي، و تجلت فيه كل الصفات الإلهية فأصبح من أجلِ ذلك أحق الموجودات بأن يكون خليفةُ اللّه في كونهِ لا في أرضهِ فَحَسْب لأنه ليست هذه الكلم سوى الأنبياء والأولياء ، وإن كان كل موجود من الموجودات كلمة من كلمات اللّه لأنه المظهر الخارجي لكلمة التكوين»[2] ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِد الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[3] والمراد بالكلَم هنا، بوجه أخص حقائق الأنبياء والأولياء لا أشخاصهم، و على رأسهم جميعاً الكلمة التي هي الحقيقة المحمدية، والكلمة عند ابن عربي لاتعني كلمة التكوين كُن التي تقابل الولاية التكوينية، بل تعني الكلمة الوجودية

---

١. ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج١، ص١٢٩.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، ج٢، ص٤.

٣. الكهف، ١٠٩.

وهي حقيقة الخاتم (صلى الله عليه وآله) والتي هي الواسطة بين الحق والخلق.وعدَّ الموجودات كلها كلمات.

المطلب الثاني - تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراته في مرتبة التعين الثاني

وهذه المرتبة هي مرتبة ظهور الذات لنفسها بماحوته من شؤونها من حيث مظاهر تلك الشؤون المسماة بالصفات والأسماء التي تظهر فيه على نحو التفصيل وعلى رأسها الاسم الجامع (الله) ثم الأسماء السبعة الكلية ، وفي المراتب الأُخرى تأتي سائر الأسماء ، ويطلق على هذه المرتبة اسم (عالم المعاني) لأن الأشياء تظهر فيها بصفة التميز العلمي، وهي من التعينات الحقية لأنها داخلةٌ في الصقع الربوبي، ويطلق عليه وجه الظهور، ويتكون من ركنين هما(الأسماء، والأعيان الثابتة) وهو مقام الواحدية وهو موطن ظهور الأسماء ولوازمها بنحو التعين والتشخص والتميز ببركة الفيض الأقدس[1]، وهي مرتبة ظهور الأعيان الثابتة وهي من أبداعات ابن عربي،

---

١. انظر: يزدان بناه، يد الله، العرفان النظري مبادئه واصوله، ص ٤٦٦؛ كمال، الحيدري، الرؤية الكونية في العرفان النظري، ص٢٩٦-٢٩٧.والفيض الأقدس: هو الفيض الذي ببركته تظهر الاسماء ولوازمها ومقتضياتها بنحو التعين والتشخص ولتميز في مرتبة التعين الثاني، فالفيض الاقدس هو موطن الشؤون والاسماء ومقتضياتها ولوازمها، فهو وجود حقائق الاشياءواعيانها العلمية في مقام الواحدية. الرؤية الكونية في العرفان النظري، ص٢٨٦-٢٨٧، وهو الذي سمته الروايات بالخلق، نفس المصدر هامش، ص٢٨٧. انظر: فادي ناصر، فلسفة العرفان النظري، ص٢١٣.

وتعني أظهار المسميات الماهية للأشياء مثل العقل الأول والنفس الكلية، فهي بالحقيقة صور ومظاهر الأسماء الإلهية[١].

النفس الكلية

١- «هي أول موجود أنبعاثي منفعل عن العقل وهي للعقل بمنزلة حواء لآدم منه خلق وبه زوج فثنى كما ثنى الوجود بالحادث و ثنى العلم بالقلم الحادث ثم رتب اللّه الخلق بالإيجاد إلى أن انتهت النوبة والترتيب الإلهي إلى ظهور هذه النشأة الإنسانية الآدمية فأنشأها فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثم نفخ في آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود له فوقعت له ساجدةً عن الأمر الإلهي بذلك فجعله لملائكته قِبلةً ثم عرفهم بخلافته في الأرض»[٢] ابن عربي عرف النفس الكلية أنها أول صادر من العقل فهي ترجمان العقل كما أن العلم في الذهن يُخرجه إلى الخارج بالقلم، كذلك النفس الكلية بالنسبة إلى العقل، فهي بمنزلة حواء من آدم فهي زوجه، والنفس زوج العقل بالزواج الروحي الإلهي إذ منه توالدت الأرواح.

٢- ويعرفها على أنها اللوح المحفوظ الذي ينقش عليه القلم (العقل الأول) إذ يقول «النفس هي اللوح المحفوظ وهي من الملائكة الكرام وهو المشار إليه بكل شئ في قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣] وهو اللوح المحفوظ موعظة وتفصيلاً لكل شئ... وهو أول كتاب

---

١. أنظر: يزدان بناه، يد الله، العرفان النظري مبادئه وأصوله، ص٤٦٧.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (اربع مجلدات)، ج٣، ص٣٩٩.

٣. الأعراف، ١٤٥.

سُطر فيه الكون فأمر القلم أن يجري على هذا اللوح بما قدره وقضاه»[١].
فهذه النفس ليست على شئ لولا القلم الذي هو العقل الأول الذي يُسَطر عليها ما في الكون كما قال في أبيات شعرية يوضح ذلك:-

«رأيت النفسَ ليس لها وجود بلاعقـل ويأخـذها الحـدودُ
فأوجـدها فراشـاً فهـي أرضٌ لعقـل فـي تعقلهـا يجـودُ»[٢]

المطلب الثالث- تعريف الإنسان الكامل حَسب ظهوره في مرتبة التعينات الخَلْقية

وهو مايظهر به النَّفَس الرحماني في الفيض المقدس بتوسط الأعيان الثابتة في مظاهر العوالم الخلقية والأعيان الكونية الخارجية، أبتداءً بما هو أقرب إلى العوالم الحقية وهو مايصطلح عليه عالم العقل والروح نزولاً إلى عالم المثال ثم إلى عالم المادة حتى يصل إلى المظهر الأتم والإنسان الكامل، وهوخارج الصقع الربوبي منها[٣]

أولاً- البرزخ

جاء في كتاب شرح فصوص الحكم منقولاً من كتاب الفكوك للقونوي و ذكر الجامي التعريف نفسه ، كما نقله الجيلي في كتاب (الإنسان

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، عقلة المستوفز، ص٥٣.
٢. نفس المصدر.
٣. انظر، الحيدري، كمال باقر، تمهيد القواعد، ج٢، ص١٣١. والصقع الربوبي هو: مرتبة التعينات العلمية التي حقيقنها أنها تجل للعلم الإلهي.

الكامل في معرفة الأواخر و الأوائل) نقلا من الجامي، وهوأشهر التعاريف عند ابن عربي، ونصه «البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، وبه ومن بمرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي هو سبب بقاء ماسوى الحق في العالم كله علواً وسفلا»[١] فهو الواسطة بين الحق والخلق، فشبههُ بالبرزخ الفاصل بين الوجوب (التعينات الحقية) والإمكان (التعينات الخلقية) فكان هو الواسطة بينهما، وبسبب المسانخة بين الحق والخالق. ولاتتوفر هذه إلا في الصادر الأول، ويعد هذا التعريف جامعاً لكثير من شؤون الإنسان الكامل، فهو الكون الجامع الذي يجمع بين العالمين، الوجوب والإمكان، وهو المرآة التي تعكس صفات الله تعالى وأسمائه فهو مظهر التجلي لها والجامع لجميع الأسماء الإلهية. ولقد قال في تفسير ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢] أي «انشأه برزخاً جامعاً بين الطرفين والرقيقتين»[٣]

ثانياً- الكلمةُ الفاصلةُ الجامعة

«(فهو الإنسان الحادث الأزلي والنشئ الدائم الأبدي و الكلمة الفاصلة الجامعة) في الإنسان الذي أسلفنا وصفه ناحيتان: ناحيةٌ حادثة و هي ما يتصل منه بالصورة البدنية العنصرية، و ناحيةٌ أزلية أبدية، و هي ما يتصل منه

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص٢٤٢.

٢. التين، ٤.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٥١٦.

بالجانب الإلهي. فهو حق و خلق، و قديم و حادث و سرمدي و فانٍ و ما إلى ذلك من صفات الأضداد». [١] يعتقد ابن عربي إن الإنسان وجميع الموجودات تجمع بين صفات الأضداد، ذلك لأن فيهِ الناحيتين اللاهوتية والناسوتية، الملكية والملكوتية، الحسية والمعنوية، فسبحان الذي خلق الإنسان من صفات عنصرية وروحية فتحن الروح إلى عالمها والبدن إلى عنصريته فكان الإنسان الكامل جامعاً لتلك الصفات ولكن لاتبغي صفة على أخرى كما في الإنسان الحيواني. قال تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يَبْغيانِ﴾ . هذا بالنسبة إلى الحادث الأزلي، أما في معنى الكلمة الفاصلة لكونه يميز ويفصل ويميز بين المراتب المتكثرة في الحقائق لإنه جامع لكل المراتب، ومما ذكره القيصري في شرح فصوص الحكم، في إنّه الفاصل بين الأرواح وصورها العنصرية أي يمتلك صفة المميت[٢]، أما كونها جامعة فلإحاطته بالحقائق الإلهية والكونية علماً وعيناً.

المطلب الرابع - الإنسان الكامل حسب ظهوراتهُ في الكون الجامع

هذه المرتبة هي آخر تنزلات المظاهر الواقعة في آخر المراتب، إذ ليس لها مثال ومصداق إلا النشأة الإنسانية (الإنسان الكامل) لذا سوف تكون التعاريف الخاصة بهذه المرتبة هي تعاريف تخص النشأة العنصرية منها: -

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج٢، ص١٢.

٢. انظر: القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

أولاً- محمد (صلى الله عليه وآله)

فهو «الكامل الذي لا أكمل منه و هو محمد (ص) و مَرتبة الكمل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان و هم الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليهم»[1] عَدَّ أبن عربي الإنسان الكامل هو الخاتم (صلى الله عليه واله) وأما باقي الأنبياء إنّ هم إلا قوى لهذا الإنسان الكامل حتى الملائكة وجبرئيل ماهم إلامن قواه.

ثانياً- الكتاب

هو «الجامع لجميع العوالم الإلهية و الكونية الكلية والجزئية و هو كتاب جامع للكتب الإلهية و الكونية فمن حيث روحه و عقله كتاب عقلى مسمى (بأم الكتاب)، و من حيث قلبهُ كتاب (اللوح المحفوظ)، ومن حيث نفسهُ كتاب (المحو والإثبات)، فهو الصحف المكرّمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها و لا يدرك أسرارها ألا المطهرون من الحجب الظلمانية فنسبة العقل الأوّل إلى العالم الكبير و حقائقه بعينها نسبة الروح الإنسانى إلى البدن، و قواه وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير»[2] أما في

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج٣، ص١٨٦.

٢. الجرجاني، شريف علي، التعريفات، ص١٧؛ الخلخالي، صالح الموسوي، شرح مناقب محي الدين ابن عربي، ج١، ص١٩٤.

كونه كتاب يتضح أن ابن عربي يشبهه بالكتاب الذي لايَمسّهُ إلا المطهرون لأنه كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فقسمه حسب حيثيات الإنسان من روحٍ وعقل ونفس فهو أم الكتاب واللوح المحفوظ وكتاب المحو والإثبات فصار صحيفة مكرمة، جُمعت في الإنسان الكامل فكان مطهراً، وهذه الكتب لاتكون عبارة عن كلمات وألفاظ وإنما تنتقش فيها في الحقائق الخارجية، لذلك كُل هذه الأشياء جميعاً هي شؤون شؤون الإنسان الكامل، لذلك قال تعالى ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وشبه العالم الكبير بالبدن، وروحه وقلبه الإنسان الكامل، كما أن البدن له روح، كذلك العالم له روح، لذلك يسمى العالم (الإنسان الكبير)، فهو خليفةُ الله الأرضي والسماوي الذي كان للعالم قلبها وروحها، حيث يجمع العوالم الكليه منها العقول، والجزئية منها النفوس.

ثالثاً- الكون الجامع

يقول ابن عربي «لما شاء الحق من حيث أسمائه التي لايبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قل أن يرى عينه، في كون جامع يحصر الأمر»[3]. في تعريف الكون الجامع عند ابن عربي وجدنا عدة

١. الأنعام، ٥٩.

٢. النحل، ٨٩.

٣. الخوارزمي، محمد تاج الدين، فصوص الحكم، ص٥٥؛ سهيلة باعث، الترجمان، نظرية وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي، ص٣٥٢.

تعاريف ذكرها في كتبه وهي :-

١- «فانَّه الجامع بين مظهرية الذات المطلقة و بين مظهرية الأسماء والصفات و الأفعال بما في شأنه (نشأته) الكليَّة من الجمعيَّة والاعتدال، وبما في مظهريتهِ من السعة و الكمال، و هو الجامع ايضاً بين الحقائق الوجوبيَّة ونسب الأسماء الإلهيَّة، و بين الحقائق الإمكانية و الصفات الخلقيَّة فهو جامع بين مرتبتى الجمع و التفصيل، محيط بجوامع ما في سلسلة الوجود، ليظهر فيه بحسبه، و يدرك ذاته حسبما ذكرنا من الحيثيَّة الجامعة و الجهة الكاملة»[١]

٢- وتعرفه سعاد الحكيم نقلاً عن ابن عربي «الإنسان أكمل مجالي الحق لأنه المختصر الشريف والكون الجامع لجميع حقائق الوجود ومراتبه وهو العالم الأصغر، الذي انعكست في مرآة وجوده كل كمالات العالم الأكبر»[٢]

٣- هو الجامع بين الحقيّة والخلقيّة، ففيه جهة وجوب وجهة إمكان، أما جهة وجوبه فبكونه مظهراً للجهات الوجوبية من الشؤون والأسماء الإلهية، وأما جهة إمكانيته ففي كونه مظهراً للحقائق الإمكانية والصفات الخلقية، فهو عبدٌ وربّ، عبد بحسب مرتبته في المظاهر الخلقية، وربٌّ بمعنى أنه واسطة الفيض لمادونه لأنّه هو الذي يأخذ بيد ويعطي بأخرى[٣].

---

١. ابن تركة، علي بن محمد، تمهيد القواعد، ص ١٨٠؛ الجامي، عبد الرحمن، نفد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص ٦٠.

٢. الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، ص٩٨٧.

٣. انظر: الحيدري، كمال باقر، تمهيد القواعد، ج٢، ص١٠٦-١٠٧؛ الحيدري، الرؤية الكونية، ص ٣٣٧

من هذه التعاريف المتعددة للكون الجامع يتضح لنا أن الكون الجامع هو مَنّ جمع:

١- بين جميع المراتب الأحدية (الإجمالية) والواحدية (التفصيلية) .

٢- وبين المراتب الحقيّة والخلقيّة فهو واسطة الفيض لكونه برزخاً بين الوجوب والإمكان.

٣- وبين الربوبيّة والعبوديّة فربٌ لما دونّه لأنّه واسطة الفيض وعبدٌ بحسب مرتبته الخلقيّة.

٤- والجامع لجميع الأسماء الإلهيّة فهو صورة اسم الله الأعظم فهو على صورة الحق لكونه جامعاً لتلك الأسماء.

٥- وهو الجامع بين الأسماء الإلهيّة والصفات الخلقيّة فكان كوناً جامعاً لجميع العوالم الإلهية والخَلقيّة الناسوتيّة واللاهوتية.

٦- محيط بجميع مراتب الوجود

٧- الجامع بين مظهريّة الذات ومظهريةّ الأسماء والصفات.

رابعاً- المظهر الأتم

يشمل هذا الاصطلاح عدة تعاريف تشير إلى الإنسان الكامل وهي :-

١- «الجامع بين العبوديّة و الربوبيّة، والنشئ الأعم الشامل للإمكانية والوجوبيّة، الطود الأشم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين، و البحر الخضم الذي لم تُعَكّره جيف الغفلات عن صفاء اليقين، القلم النوراني الجاري بمداد الحروف العاليات، و النَّفَس الرحماني، الساري بمواد الكلمات التامات، الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، و الفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها، مَطّلَع شمس الذات في سماء الأسماء»[١]

٢- «هوعالم جامع يجمع لنا الوحدة والكثرة، إذ لاقابلية لتلك التعينات لأن تكون مظهراً للوحدة الذاتية والكثرة الأسمائية بشكل معتدل متزن، ولذا ليس هناك مظهر يمكن أن تظهر به الحقيقة الحقّة بكل كمالاتها الذاتية والأسمائية، إلا من خلال المظهر الأتم والكون الجامع بين الوحدة والكثرة ليكون مظهر للذات بكافة كمالاتها»[٢]

٣- هو الإنسان الكامل «الجامع بين مظهريّة الذات المطلقة بإطلاق قابليته الكلّية، و بين مظهريّة الأسماء و الصفات و الأفعال، بما في نشأته الكلّية من الجمعية والاعتدال، و بما في مظهريته من الحيطة و السعة

١. ابن عربي، محمد بن علي، مجموعة رسائل ابن عربي(توجيهات الحروف)، ج١، ص٦٥٤.
٢. الحيدري، كمال باقر، تمهيد القواعد، ج٢، ص١٠٥؛ الرؤية الكونية، ص٣٣٥-٣٣٦

والكمال، و هو كذلك جامعٌ أيضاً بين الحقائق الحقيّة الوجوبيّة و نسب الأسماء الإلهيّة الربوبيّة، وبين الحقائق الإمكانيّة و الأعيان الكيانية، و أمّا كماله فلإحاطته بين الحقيقتين، و شموله لجميع ما في العالمين و لجمعه كذلك بين البحرين»[١] نستنتج من تلك التعاريف، أن الإنسان الكامل بحسب باطنه له مظهريّة التجلي الأول(مظهر لمقام الجمع الإلهيّ)، وبحسب ظاهره له مظهريّة التجلي الثاني (واجداً لمقام التفصيل) فهو يجمع كل العوالم من مراتب ودرجات وعوالم، من العقل والمثال والحس، فالسعة الوجودية للإنسان الكامل واجدة لكل هذه التفاصيل مع الوحدة، لذلك سميت جمعية إعتدالية لاقاهرة، أي لاالوحدة تقهر الكثرة ولا الكثرة تغلب الوحدة بل هي إعتدالية، فهو مجمع البحرين لأحاطته ظاهراً بخواص العالم الظاهر، وباطناً بخواص العالم الباطن، فيصير مجمع البحرين، ومظهر العالمين كما في قول ابن عربي «لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، و إن شئت قلت أن يرى عينه، في كونٍ جامعٍ يحصر الأمر كلَّه، لكونه متصفاً بالوجود»[٢]، يتضح لنا إن هذا الإنسان الكامل صار مظهراً تاماً للحق وذلك بسبب جامعيته لجميع المراتب الكونية والإلهية فهو من يملك هذا الاستعداد والقابلية ليكون مظهراً تاماً، وذلك لعدم قابلية تلك التعينات لأن تكون مظهراً للوحدة الذاتية والكثرة الأسمائية، بشكل متزن لذلك كان هو المظّهَر الذي يمكن أن تَظّهر

---

١. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ص٢١؛ الجندي، مؤيد الدين، شرح فصوص الحكم، ص١١٦.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ص٤٨.

الحقيقة الحقة به بكل كمالاتها الذاتية والأسمائية، فهذه الخصائص جميعها التي ذكرت في التعريف مظهرها الأتم هو النبي والإمام وأتم مظهر لها هو الخاتم (صلى الله عليه وآله) بالأصالة وخلفاؤه بالتبع.

خامساً- الوجيز

الإنسان عالم صغير و العالم إنسان كبير و الإنسان الكامل هو الوجيز- «فالإنسان عالم صغير و العالم إنسانٌ كبير ثم انفتحت في العالم صور الأشكال من الأفلاك و العناصر و المولدات فكان الإنسان آخر مولد في العالم أوجده اللّه جامعاً لحقائق العالم كله وجعلهُ خليفة فيه، فأعطاه قوة كل صورة موجودة في العالم فذلك الجوهر الهبائي المنصبغ بالنور هو البسيط و ظهور صور العالم فيه هو الوسيط و الإنسان الكامل هو الوجيز قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ليعلموا أن الإنسان عالم وجيز من العالم يحوي على الآيات التي في العالم»[١] لقد شبه ابن عربي العالم بالإنسان الكبير لخلافته الأرضية والسماوية، فكما إن الإنسان وجود واحد يحوى العقل والحس وكذلك الوجود هو وجود واحد، فالعالم متكون من عوالم وهي (العقل والشهادة والمثال)مجتمعة في حقيقة واحدة ليس بينهم بينونة عزلية فصار هذا الإنسان عالماً صغيراً، (أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر).[٢] وكان الإنسان هو الآية التي توجز تلك

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص ١٥٠

٢. انظر: المصدر نفسه.

العوالم وكان الوجيز الجامع لجميع العوالم بحقيقة واحدة هي الإنسان الكامل.

سادساً:

«وهو آخر مولد تجمتع فيه قوى جميع العالم والأسماء الإلهية بكمالها فلا موجود أكمل من الإنسان الكامل ومن لم يَكّمُل في هذه الدنيا من الأناسي فهو حيوان ناطق جزء من الصورة لاغير لا يلحق بدرجة الإنسان بل نسبته إلى الإنسان نسبة جسد الميت إلى الإنسان فهو إنسان بالشكل لا بالحقيقة لأن جسد الميت فاقد في نظر العين جميع القوى ، و كذلك هذا الذي لم يكمل و كماله بالخلافة فلا يكون خليفة إلا من له الأسماء الإلهية بطريق الاستحقاق، أي هوعلى تركيب خاص يقبلها إذ ما كل تركيب يقبلها وهذا من الأسرار الإلهية التي تجوزها العقول»[1] لما كان الإنسان الكامل هوآخر مولود بالنشأة العنصرية، فكان جامعاً وصورةً لكل الأسماء الإلهية وفيه قوى جميع العالم، وكما بينا آنفاً فكل الأنبياء إن هم إلا قوى له. فمن لم يصل إلى ذلك الكمال فهو كالإنسان الميت، أصبح جسداً فقط، بلا روح فهو للعالم كما للبدن.

سابعاً- القطب

«هو صاحب الاستعداد الكامل الذي لارتبة إلا قد يبلغها و يلزم أن

---

١. المصدر نفسه، ص٤٤١.

يكـون الـرجوع الـتامّ الـشامل لجمـيع تفاصـيل الـصفات عـند الـبقاء لـه و هوالخاتم (صلى الله عليه واله)»[١]

ثامناً-

الإنسان الكامل «هو الجامع بين المعاني والأرواح الإلهية و بين الصور و القـوالب العالمـيّة، و منـزلة العـالم مـن حـضرة الحـق منـزلة الـصورة مـن المعنى.»[٢] الذي يجمع بين عالم الأرواح (المعاني) وبين عالم الملك (عالم الصورة والنشأة العنصرية)، فهو على صورة الحق وبمنزلتها.

تاسعاً-

«الإنـسان الكامـل هـو مظهـر اسـم الله الجامـع الحـاكم علـى العـوالم كلهـا».[٣] فهـو الـذي لـه الحـاكمية علـى الأسـماء والعـوالم كـونه مظهـر اسـم (الله) الجامع.

يتـضح مـن عـرض هـذا المـبحث الخـاص بالإنـسان الكامـل أن كـل ماذكره ابن عربي من تسميات للإنسان الكامل ماهي إلا أوصاف وشرح لمعنى الإنسان الكامل الذي كان جامعاً لكل المعاني والمراتب والصفات وماتكثـرت لـه الأسـماء إلا بـسبب ظهـوراته فـي كـل مـرتبة مـن المـراتب

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي(تأويلات عبد الرزاق)، ج١، ص٣٠٦
٢. ابن تركة، علي بن محمد، شرح فصوص الحكم، ج١، ص١٤٨
٣. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ج١، ص٦٣

الوجودية للإنسان الكامل، فماذكر في التعاريف بعضها في مرتبةٍ منه، فكان شأناً من شؤونه، وكان منها ماهو تعريف جامع مانع للإنسان الكامل.

المبحث الثاني:

خصائص الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي

المطلب الأول- الخصائص الوجودية التكوينية

هي الخصائص المختصة بالبعد الوجودي التكويني للإنسان الكامل وليس البعد التشريعي

أولاً- الإنسان الكامل روح العالم وعلة إيجاده وسبب بقائه

هنا يرى ابن عربي الإنسان الكامل بأنه روح العالم كما أن الجسد لايعيش بلاروح كذلك العالم لايبقى من دون الإنسان الكامل، فالروح هي التي تحفظ البدن من التلف وهي التي تحقق له الوجود كذلك الإنسان الكامل من دونه يعدم العالم ويتّلف يقول ابن عربي «فأقتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة»[١] كما هو واضح في تفسير الآية ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٢] ذكر ابن عربي «أنه لما أراد الله

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص٦٩.

٢. سورة ص،٧٥

تعالى كمال هذه النشأة الإنسانية، جمع لها بين يديه وأعطاها جميع حقائق العالم، وتجلى لها في كل الأسماء، فحازت الصورة الإلهية، والصورة الكونيّة، وجعلها روحاً للعالم، وجعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له، فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم، كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان، فالدار الدنيا جارحه من جسد العالم الذي الإنسان روحه»[١] كما ذكر ذلك في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] أي إن المظهر الأتم والإنسان الكامل الظاهر إلى العالم بمظاهر الأسماء والصور الإلهية والكونية هو روح العالم وهو المدبر له، ويقول أيضاً في كتابه نقش النصوص «أعلم إن الأسماء الحسنى تطلب بذواتها وجود العالم، فأوجد الله العالم جسد مسوى وجعل روحه آدم (عليه السلام) وأعني بآدم وجود العالم الإنساني وعلمه الأسماء كلها، فأن الروح هو مدبر البدن بما فيه من القول وكذلك الأسماء للإنسان بمنزلة القوى»[٣] يقول مظاهر الأسماء الإلهية نسبتها للإنسان الكامل نسبة القوى إلى روحه كالسمع والبصر للبدن ، وإذا فسرنا قول ابن عربي سوف نستنتج إن الأنبياء والملائكة ماهم إلا شأن من شؤون الإنسان الكامل الذي حقيقته الخاتم (صلى الله عليه واله)، بالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة، فهو قلب لجسم العالم الذي هوعبارة عن كل ماسوى الله تعالى، فقصد بالقلب أي

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥٢٧

٢. البقرة، ٣٠

٣. ابن عربي ، محمد بن علي، نقش النصوص في نقد النصوص، ص٣

الروح لأن الجسم بلاقلب يموت كما البدن بلا روح يموت، وآدم للعالم كالروح من الجسد، فالإنسان روح العالم والعالم الجسد، فبالمجموع يكون العالم كله هو الإنسان الكبير، والإنسان فيه، وأذا نظرت للعالم وحده دون الإنسان وجدته كالجسم المسوى بغير روح، وكمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح، ويقول ابن عربي في تفسير ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «لما أراد الله بالإنسان الكامل الخلافة والإمامة بدأ بإيجاد العالم، وهيأه وسواه وعدله ورتبه مملكة قائمة»[١] وقال «ألا ترى الدنيا باقية مادام هذا الشخص الإنساني فيها و الكائنات تتكون والمسخرات تتسخر فإذا انتقل إلى الدار الآخرة مارت هذه السماء وسارت الجبال و دَكَت الأرض وأنتثرت النجوم وكورت الشمس وذهبت الدنيا و قامت العمارة في الدار الآخرة بنقل الخليفة إليها»[٢] كما دلت على ذلك الكثير من النصوص في هذا المعنى (لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها)[٣] (ولولاك ماخَلق الأفلاك)، وله في تفسير ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤] «فلولا ما صح لهذا الإنسان أحسن تقويم، وفطر على صورة القديم، لماصح عنه وجود الخلق، ولادان له الملاء الأعلى، ولاظهر بالموقف الأجلى، ولاعنّت

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص٩٦.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي(مجلدان)، رسالة القسم الإلهي، ص٢٢.

٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٢٣، ص٦٧؛ بصائر الدرجات، ج٢، ص ٨٧١، الحديث رقم(١٧٢٢)

٤. التين،٤

له وجوه الأملاك، ولادارت بنفسه أجرام الأفلاك»[١] اي لإن الإنسان الكامل خلق على الصورة الإلهية صار سبباً لإيجاد العالم.

ثانياً- الإنسان الكامل هو عين الوجود الإمكاني

يقول ابن عربي «وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يحصل به النظر، وهو الذي المعبر به البصر»[٢] وكما إن أنسان العين هو المقصود والأصل من العين، أذ به يكون النظر، ومشاهدة عالم الظاهرالذي هو صورة الحق، كذلك الإنسان هو المقصود الأول من العالم كله وإذ به تظهر الأسرار الإلهية والمعارف الحقيقية المقصودة من الخلق، وبه يحصل أتصال الأول بالآخر، وبه وبمرتبته تكمل مراتب عالم الباطن والظاهر، أي بإنسان العين تتحقق الرؤيا وإبصار العين، والله سبحانه وتعالى من خلال الإنسان الكامل نظر إلى الأشياء، لإنه الكون الجامع وواسطة الفيض فهو عدسة الحق التي من خلالها يرى الأشياء، وهنا أشارة إلى مقام قرب الفرائض الذي يحصل في مقام الفناء الصفاتي، وفي تعليقة للسيد الإمام على الفصوص قال: ويكون منزلته من الحق في رؤية الأشياء منزلة إنسان العين من العين لذلك سمي الكون الجامع إنساناً، فكما إن الإنسان الكامل مرآة شهود الحق ذاته مرآة شهود الأشياء كلها[٣] وكذلك ما ورد في شرح

---

١. ابن عربي ، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٥١٦.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص٤٨؛ القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق: حسن زادة، ج١، ص٢٣٨.

٣. انظر: الخميني، روح الله، تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس،ج١،ص٥٩.

الأشتياني للفصوص إذ قال، كما إن العين لايصدر عنها الإبصار إلا بالقوة الباصرة والمسماة بإنسان العين فكذا لاينظر الله تعالى إلى العالم إلا بهذا الموجود الذي هو الكون الجامع تشبهاً له بهذا الدور[١] ، وكثير من الآيات القرآنية تدل على ذلك في تفسير ابن عربي، كما في الآية" ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢] وقد نزل القرآن على قلب رسول الله (صلى الله عليه واله) أحدى العين... «فأن رسول الله هو الذي تلا القرآن على الأعرابي والكلام كلام الله، فناب الرسول (صلى الله عليه واله) مناب الحق من الاسم الظاهر، فكأن هنا إن الحق جل وعلا ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي كلامه، أي إن الحجاب الذي كان بين الأعرابي وبين كلام الله هو محمد(صلى الله عليه واله)»[٣]، لإنه هو إنسان العين وواسطة الفيض، وكذلك ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمى﴾[٤] إذ كانت رمية الحق تعالى بيد الخاتم (صلى الله عليه واله). وكذلك الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٥] فنفاه كما أثبته صورة كما به في الرمي سواء، فأنزل الحق يد نبيه (صلى الله عليه واله) منزلة يده في

---

١. انظر: القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ص٣٢٥

٢. التوبة، ٦

٣. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٢، ص٢٤٤-٢٤٥

٤. ألانفال، ١٧

٥. الفتح، ١٠

المبايعة[١]، وفي تفسير الآية ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[٢] «فالإنسان هو العين المقصودة، وهو مجموع الحكم، ومن أجلهِ خلقت الجنة والنار، والدنيا والآخرة والأحوال كلها والكيفيات، وفيه ظهر مجموع الأسماء الإلهية وآثارها»[٣]، فهو عين المجموع إذا تكلم تكلم بكلامه ونطقت بنطقه الموجودات جميعها لأنه مظهر الاسم الجامع (الله)، في تفسيره للآية ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٤] «إنه الإنسان الكامل فإنه أكمل من عين مجموع العالم، إذ كان نسخة العالم حرفاً بحرف ويزيد، فإذا قال الله نطق بنطقه جميع العالم من كل ماسوى الله، ونطقت بنطقه أسماء الله كلها»[٥]

ثالثاً- الإنسان الكامل هو النَفس الواحدة التي خلق منها النوع الإنساني

يشير ابن عربي إلى أن الإنسان خُلق من نفس واحدة و روح واحدة، خلق الحق منها النوع الإنساني فكانت حقيقة الخاتم هي تلك النفس وهي الروح، التي خلق منها الإنسان. يقول ابن عربي «فآدم هو النفس الواحدة التي خُلق منها هذا النوع الإنساني»[٦] ويقول القيصري في شرحها «أي إذا علمت ان آدم هو الخليفة على العالم ومدبره، فآدم في الحقيقة هو النَفس

---

١. أنظر: المصدرنفسه، ج٢، ص٢١٧

٢. الرحمن، ٣؛ نفس المصدر، ج٤، ص١٥٣.

٣. المصدرنفسه، ج٤، ص٢٣٤

٤. القلم، ٢

٥. المصدرنفسه، ج٤، ص٣٦٤

٦. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧.

الواحدة، وهو العقل الأول الذي هو الروح المحمدي في الحقيقة، الظاهرة في هذه النشأة العنصرية، المشار إليه بقوله (عليه السلام) (اول ماخلق الله نوري) الذي منه يخلق هذا النوع الإنساني، بل جميع الأنواع مخلوق منه، وبقوله (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)؛ وذلك لإن الحقيقة الإنسانية مظهر جميع العوالم»[١]، فأول موجود ظهر في الأجسام الإنسانية كان آدم (عليه السلام)، وهو الأب الأول من هذا الجنس،

فآدم هنا هو أبي النوع الإنساني البشري وقال في نقش الفصوص «وأعني بآدم: وجود العالم الإنساني أولاً»[٢] أي إن هذه النفس هي حقيقة الخاتم (صلى الله عليه وآله) المعبر عنها بالحقيقة المحمدية أو الصادر الأول، ولايعني بها آدم أبو البشر، فإن الخاتم هو الأب الروحي، وآدم الأب الجسماني كما قال ابن عربي «الأبوّة قسمان: أب روحاني، وأب جسماني، فلو كانت السعادة تحصل بالأب الجسماني لسعد بها اليهودي و النصراني، فالأب الروحاني على التمام هو النبي (عليه الصّلاة والسّلام)، و نحن في بطن الكون كالجنين، و التكاليف الشرعية تكمل الصورة الروحانية ، و لهذا جعلت الصلوات الخمس على عدد الحواس الخمس، فالنحرص على أن تكون الصّورة كاملة ليفرح بنا أبونا عند الولادة.»[٣] في تفسير ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى**

١. نفس المصدر.

٢. الجامي، عبد الرحمن، نقد النصوص في شرح الفصوص، ج١، ص٣

٣. ابن عربي، محمد بن علي، شجون المسجون وفتون المفتون، ج١، ص٦٧

بِبَعْضٍ﴾[١] إشارة إلى الولادة الدينية وأزواجه في هذه الولادة المعنوية النفوس الطاهرة وهي العلماء، لذلك كان المؤمنون أخوة في الرضاع[٢] حيث بين أن الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو النفس الواحد وآدم (عليه السلام) أكمل موجود مقابل لها في الوجود فكان بذلك أُماً، فصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) آدم أبو النبوة، وأكد ذلك في تفسير الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ..[٣]. «فهو (صلى الله عليه واله) أباً لنا في الروحانية كما آدم أباً لنا في الجسمانية، قال (صلى الله عليه واله) (أول ماخلق الله نوري) فكان (صلى الله عليه وآله) النفس الواحدة التي خلق منها زوجها، وبه وجد الوجود، فآدم زوجها من وجه، لأنه أكمل مخلوق مقابل لها في الوجود، فهو بهذه النسبة أم، ثم هو أب بالنسبة إلى ذريته وحواء أمّ، فهي زوجهُ، فان رسول الله (ص)آدم أبوة النبوة، كما آدم(ع) آدم أبوة الطين»[٤]. فكان (صلى الله عليه وآله) النفس الواحدة التي خُلق منها زوجها، «ومما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أول شئ خلقه الله تعالى فقال: هو نور نبيك ياجابر، خلقه الله تعالى، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شئ، - الحديث بطوله: - إشارة - قوله

---

١. الأحزاب،٦

٢. انظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٧٨-٣٧٩.

٣. النساء،١.

٤. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة الرحمن، ج١، ص٤٩٢.

تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وقوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ دليل على إن الأجسام من جسم واحد والأرواح من روح واحدة، تنبيه على أن العالم وجد من واحد، لااله إلاهو العليم القدير ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه واله) (الرحم شجنة من الرحمن) وقال: (أنا من الله والمؤمنون مني) »[١].

وجاء في شرح فصوص الحكم للقيصري« ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ أي من عين واحدة وهو العقل الأول. ﴿وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ التي هي النفس الكلية. ﴿وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً﴾ أي عقولاً و نفوساً مجردة ، و بالنسبة إلى عالم الملكوت: خلقكم من ذات واحدة، هي النفس الكلية، وخلق منها زوجها، أي الطبيعة الكلية، و بث منهما رجالاً كثيراً، وهي النفوس الناطقة المجردة، و نساء، و هي النفوس المنطبعة، و باقي القوى»[٢]

رابعاً- الإنسان الكامل خليفةُ الله

إن الخلافة عند ابن عربي تعني «الولاية، النبوة، الرسالة، والإمامة»[٣] وتعني في أصطلاح أهل العرفان هي النّيابة عن الله وتختص بالإنسان الكامل

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص٤٩٢.
٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ص ٤٠٦
٣. الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، ص٤١٥-٤١٨.

وله التصرف والتحكم في الخلق، فالخلافة تقتضي الظّهور بصفات المستَخلِف عنه، إذاً لابد للخليفة أن يظهر في ما استُخْلِف عليه بصفة مُستخلِفه وإلافليس بخليفةٍ له فيهم، وبعبارة أُخرى يجب أن يكون عين المستَخْلِف، أي بقدر التخلق بأخلاق الله والاتصاف بصفاته سبحانه صحت له الخلافة كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[١]. وقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] أختصت الآية بقصد استخلاف آدم فقط نسبة لقصص ساير الأنبياء والتي وردت في القرآن مرات عدة ولكن في الحقيقة أن القرآن بأسره شرح قضية استخلاف آدم كما يبدو[٣]، ولاسيما كيفية وصول الإنسان الكامل لهذه المرتبة، يقول ابن عربي «الإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية لم يعطه الله هذا الكمال إلا ليكون بدلاً مِن الحق ولهذا سماه خليفة»[٤] أي أن الإنسان الذي تخلق بأخلاق الله وأتصف بصفاته وأسمائه وفنى في الله وبقي به فهو الإنسان الكامل وهو الذي يستحق الخلافة الإلهية، كمايصرح بذلك في التراجم «ولايكون نائباً عنه تعالى حتى يكون من استَخْلَفه واستنابه سمعهُ وبصرهُ وجميع قواه ومتى لم يكن بهذه الصفة (ولم يحرز مرتبة الإنسان الكامل) فما هو نائب ولاخليفة، »[٥] لذا قال «فما صحت الخلافة إلا للإنسان

١. سورة الأنعام، ١٦٥.

٢. سورة البقرة، ٣٠.

٣. انظر: جوادي آملي، عبد الله ، صورت وسيرت انسان در قرآن، ص١١٦.

٤. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج٣، ص ٢٨٠.

٥. ابن عربي، محمد بن علي، التراجم، ص٩.

الكامل»[١]، فحينما كان الإنسان الكامل مظهر أسماء الله تعالى وصفاته فهو على صورة الحق صحت له بذلك الخلافة قال ابن عربي «وإذا كان على تلك الصورة الكاملة، صحت له الخلافة والنيابة عن الله تعالى في العالم، ولسنا نريد الإنسان بما هو إنسان حيوان فقط، بل هو إنسان وخليفة بالإنسانية، وبالخلافة صحت له الصورة على الكمال، وما كل إنسان خليفة، فإن الإنسان الحيوان ليس خليفة عندنا»[٢]، وهنا يمكن أن نستنتج أن هذا الإنسان صار خليفة لعدة أسباب عند ابن عربي:

١- لكونه على الصورة الإلهية قال ابن عربي «لإن الله خلق الإنسان الكامل الخليفة الأول باليدين على صورته ولما أراد الخلافة والإمامة بدأ بإيجاد العالم وهيأهُ وسواه وعدله ورتبه مملكة قائمة، فلما استعد لقبول أن يكون مأموماً أنشأ الله جسم الإنسان الطبيعي ونفخ فيه من الروح الإلهي، فخلقه على صورته لأجل الاستخلاف»[٣].

٢- «بمقابلته للحضرتين الإلهية والكونية، صحت له الخلافة وتدبير العالم وتفصيله»[٤] أي أن له جهتين جهة أخذ الفيض من الحق وأُخرى إعطاءهُ للخلق، فهو الواسطة بين الحق والخلق، فهو عبدٌ وربّ بحسب مرتبته في المظاهرالخلقية، وأنه واسطة الفيض لما دونه، لإنه هو الذي يأخذ بيد ويعطي بأخرى.

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، شرح ابو العلاء عفيفي، ص٥٥.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، عقلة المستوفز، ص٤٥-٤٦.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص٩٦.

٤. المصدرنفسه

٣- لأنه مظهر لأسماء الله وصفاته فله الخلافة الأسمائية ، أي أنه يقوم مقام الله تعالى فيما يقوم به، من الإحياء والإماتة والقبض والبسط والرزق، لإنه مظهر اسمه الأعظم الجامع لجميع الأسماء والصفات.[١]

٤- لأنّه الحافظ للخزائن فشبه الإنسان الكامل بالفص للخاتم أي نسبة الإنسان الكامل إلى العالم كنسبة الفص إلى الخاتم، والخليفة يحفظ الخزائن بالخلافة فمادام موجوداً فالعالم محفوظ كما وضح ذلك في كتاب الفصوص فقال «فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم الذي هو محل النقش والعلامة التي بها يختم الملك على خزائنه وسماه (خليفة)من أجل هذا»[٢] . نستنتج أنه ليس كل أنسان خليفة وأنما أختصت الخلافة بالإنسان الكامل.

خامساً- الإنسان الكامل مخلوق على الصورةِ الإلهية

الإنسان الكامل هو من تمت له الصورة الإلهية، والمقصود بالصورة الإلهية أن يرى الحق صورته في الإنسان الكامل، حيث يكون مظهراً تاماً لأسماء الله وصفاته، ذكر ابن عربي في الآية **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)** وقال «ومعناها: إطلاق جميع الأسماء الإلهية عليه كما جاء في الخبر **(فبهم تُنصرون)** والله الناصر **(وبهم تُرزقون)** والله الرازق، فإنه سبحانه ماسمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان التخلق بذلك الاسم حظاً منه... فالخليفة

---

١. انظر: الحيدري، كمال باقر، تمهيد القواعد، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، شرح فصوص الحكم، تحقيق حسن زادة، ج١، ص٢٤٦

لايَظهر إلابصفة من استخلفه، فلامخلوق أعظم رحمة من الإنسان الكامل الذي هو مجلى حقائق العالم، فهوآخر نوع ظهر، فأوليته حق وآخريته خلق فهو الأول من حيث الصورة الإلهية، والآخر من حيث الصورة الكونية»[١] وإن الإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية لم يعطه الله هذا الكمال إلاليكون بدلاً من الحق، ولهذا سماه خليفة، وما بعده من أمثاله خلفاء له، وأن معنى الصورة الإلهية لاهو ذات وأنت ذات، ولا لله صفات وأنت كذلك.ففي توصيف جميل لمعنى الصورة الإلهية بينه ابن عربي في تفسير الآية ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٢] قال في إشارة له «جمع الله في سورة الرحمن قوله تعالى﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[٣] وقوله عزوجل ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٤] فقد خلق الإنسان على صورة الميزان، وجعل كفتيه يمينه وشماله، وجعل لسانه قائمة ذاته، فهو لإي جانب مال، وقرن الله السعادة باليمين وقرن الشقاء بالشمال، وأمرنا تعالى في قوله ﴿ووضع الميزان﴾ أن نقيمه من غير طغيان ولاخسران، ومن إقامته أن تعلم أن قول الله تعالى (خلق الله ادم على صورته) فوازن بصورته حضرة موجِدة ذاتاً وصفةً وفعلاً، ولايلزم من الوزن الاشتراك في حقيقة الموزونَين، فان الذي يُوزَن به الذهب المسكوك هو صنجة حديد، فليس يشهد في ذاته ولاصفته ولاعدده، فيعلم إنه لايوزن بالصورة الإنسانية إلاما تطلبه الصورة، بجميع

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج ١، ص٩٧-٩٨

٢. الرحمن، ٩

٣. الرحمن، ٣

٤. الرحمن، ٧.

ماتحوي عليه الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاده وأظهرت آثاره فيه، وكما لم تكن صنجة الذهب توازن الذهب في حد ولاحقيقة ولاصورة عين، كذلك العبد وأن خلقه الله على صورته، فلايجمع معه في حد ولاحقيقة، إذ لا حد لذاته، والإنسان محدود بحد ذاتي لارسمي ولالفظي، وكل مخلوق على هذا الحد، والإنسان أكمل المخلوقات وأجمعها من حيث نشأته ومرتبته، فإذا وقفت على حقيقة هذا الميزان زال عنك ماتوهمته في الصورة، من إنه ذات وأنت ذات، وأنك موصوف بالحي العالم وسائر الصفات وهو كذلك، وتبين لك في إن الصورة ليس المراد بها هذا، ولهذا جمع في سورة واحدة (خلق الإنسان) (ووضع الميزان) وأمرك أن تقيمه من غير طغيان ولاخسران، وماله أقامة إلا على هذا الحد، فإن الله الخالق وأنت العبد المخلوق»[١] فهو توصيف واضح إذ أن كفتيّ الميزان تتزن إذا كانتا متساويتين في الوزن، وأن كان الاختلاف في ماهية الموزون ولكن تعطي صورة العدل والحق.، فلكون الإنسان الكامل على صورة الرحمن ومن سنخه، صحت له الخلافة والنيابة عن الله تعالى. فبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال وبقبوله جميع الأسماء الإلهية وقولنا «{إن اللّه خلق آدم على صورته} و ليست صورته سوى الحضرة الإلهية»[٢]، وكمافي تفسير ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٣] حيث قال «وأبرزه نسخة

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٢٣٩-٢٤٠.

٢. المصدر نفسه

٣. التين،٤

كاملة جامعة لصور حقائق المحدث... فلولا ماصح لهذا الإنسان أحسن تقويم، وفطرعلى صورة القديم لما صح عنه وجود خَلق»[١].

سادساً- الإنسان الكامل ظل الله

لما خلق الله تعالى الإنسان الكامل على صورته، وصار دليلاً عليه سبحانه، لمن أراد أن يَعْرفه عن طريق المشاهدة لا بالفكر حيث صار هذا الإنسان الكامل من آيات الآفاق كما يقول تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ**﴾[٢]. وكما إن الظل يظهر تارة ويختفي أُخرى حسب موقع النور عليه، فإذا أختفى لايعني أنه غير موجود بل أنه معقول فيه كما الشجرة في الثمرة، وأذا ظهر فهو مشهود للبصر، فالإنسان الكامل هو معقول في الحق مادام لم يُظّهره إلى الوجود، ولما مد الحق هذا الظل وأظهره بصورته ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**﴾[٣] أي ثابتاً معقولاً فيه، فلايظهره لعين الوجود، وهذا الظل باق ببقاء الله تعالى، فمن أراد أن ينظر إلى الله فالينظر إلى ظله فهو صورته، وهو الإنسان الكامل، فلقد قال ابن عربي في أشارة له في الآية ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**﴾ «إن الإنسان الذي لم يزل يحفظ صورة الحق في نفسه ظل له، وأعلم إن الإنسان

---

١. المصدر نفسه، ج٤، ص٥١٦.

٢. فصلت، ٥٣

٣. الفرقان، ٦٤.

لما كان مثال الصورة الإلهية، كالظل للشخص الذي لايفارقه على كل حال، غير أنه يظهر للحس تارة ويختفي تارة، فإذا خَفيّ فهو معقول فيه، وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه، فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه، كالظل إذا خَفيَّ في الشمس فلايَظهر، فلم يزل الإنسان أزلاً وأبداً، ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه موصوفاً بأن له بصراً، فلما مد الظل منه ظهر بصورته ﴿الم ترإلى ربك كيف مد الظل ولوشاء لجعله ساكناً﴾ أي ثابتاً فيمن هو ظله فلايمده، فلايظهرله عين في الوجود الحسي إلا لله وحده، فلم يزل مع الله ولا يزال مع الله، فهو باق ببقاء الله، وماعدا الإنسان الكامل فهو باق بإبقاء الله، فالإنسان الكامل الذي لا أكمل منه هو محمد (صلى الله عليه وآله)، وهذا الكمال هو الغاية من العالم، فحاز محمداً (صلى الله عليه وآله) الكمال بتمام الصورة الإلهية»[1] كما أن ظل الله هوعين الوجود وواسطة الفيض وهو بالنسبة إلى الحق عينه وبالنسبة إلى العالم هو الممد والواسطة، كما في شرح الفصوص للكاشاني «فهو عين نسبة الوجود إلى العالم لأن الظل موجود بلا شك في الحس. فهو أي الظل عين نسبة الوجود إلى العالم وتقيده بصورها، فإن الوجود من حيث إضافته إلى العالم يسمى سوى الحق، و إلا فالوجود حقيقة واحدة هي عين الحق، فهو من حيث الحقيقة عين الحق و من حيث نسبته إلى العالم غيره، و لهذه النسبة و لأجلها قيل: الظل موجود بلا شك في الحس، و لكن إذا كان ثمة من يظهر فيه ذلك الظل، حتى لو قدرت عدم من يظهر فيه ذلك الظل كان الظل معقولاً غير موجود في الحس، بل يكون

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة الرحمن، ج٣، ص٢٤٨.

بالقوة في ذات الشخص المنسوب إليه الظل، لا بد للظل من الشخص المرتفع المتصل به الظل، و من المحل الذي يقع عليه و من النور الذي يمتاز به الظل، فالشخص هو الوجود الحق أي المطلق، و المحل الذي يظهر فيه هو أعيان الممكنات، إذ لو قدر عدمها لم يكن الظل محسوساً بل معقولاً في الذات كالشجرة في النواة، فيكون بالقوة في ذات الظل، و النور هو اسم اللّه الظاهر، ولو لم يتصل العالم بوجود الحق لم يكن الظل موجوداً و بقي العالم في العدم الأصلي الذي للممكن مع قطع النظر عن موجده، إذ لابد للظل من المحل و من أتصاله بذات ذى الظل، و كان اللّه ولم يكن معه شيء غنياً بذاته عن العالمين (فمحل ظهور هذا الظل الإلهي المسمى بالعالم إنما هو أعيان الممكنات) أي المسمى بوجود العالم، فإن العالم من حيث حقائق أجزائه هو مجموع الأعيان الممكنة (عليها امتد هذا الظل) أي الوجود الإضافي (فيدرك من هذا الظل بحسب ما أمتد عليه من وجود هذه الذات) أي بقدر ما أنبسط على المحل من الوجود المطلق بالإضافة (و لكن باسمه النور وقع الإدراك) أي لا يدرك الوجود».[1]

سابعاً- الإنسان الكامل قطب الفلك وهو العمد

فالإنسان الكامل هو العماد المعنوي للسماء و هذا العمد هو الماسك السماء أن تقع على الأرض ولو زال العمد خربت الدنيا، يذكر ابن عربي في

---

١. الكاشاني، عبد الرزاق، شرح فصوص الحكم، ص١٣٨ فص حكمة نورية في كلمة يوسفية.

تفسير سورة لقمان الآية ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [١] يقول «إن الإنسان قطب الفلك وهو العمد، ألاتراه إذا أنتقل من الدنيا خربت، وزالت الجبال وانشقت السماء وانكدرت النجوم، فالإنسان الكامل هو العين المقصودة...، فالإنسان الكامل عمد السماء الذي يمسك الله بوجوده أن تقع على الأرض، فاذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء وانشقت ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ ، فلما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت لها مكاناً، ولذلك مادت، فخلق سبحانه الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة، فكل ماتراه عالياً شامخاً فيها فهو جبل ووتد، ثقلها الله به ليسكن ميدها»[٢]، وهذا الإنسان العمد ما هو إلا رحمة من الله تعالى إلى العالم، وذكر في تفسير سورة الحاقة الآية ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [٣] إذ يقول «إذا زال الإنسان الكامل الذي هو العمد من أجله أمسك الله السماء أن تقع على الأرض وانتقل إلى البرزخ هوت السماء بقوله ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ أي واقعة ساقطة على الأرض»[٤] أي هو المثبت للسماء والأرض فكيف لا وهو واسطة في الفيض ولأجله خلق الله العالم، كما في حديث الكساء «والله ماخلقت سماء مبنية ولا أرضاً

---

١. لقمان، ١٠.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٦٢.

٣. الحاقة، ١٦.

٤. المصدرنفسه ج٤، ص٣٧٠.

مدحية ولاقمراً منيراً ولاشمساً مظيئة..إلا لأجلكم»[١] وذكر في الفتوحات «وأقام سبحانه هذه الصورة الإنسانية بالحركة المستقيمة صورة العمد الذي للخيمة فجعله قُبة هذه السموات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعَبرنا عنه بالعمد فإذا فنيت هذه الصورة و لم يبق منها على وجه الأرض أحد متنفس ﴿وانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾ لأن العمد زال و هو الإنسان ولما انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بإنتقال الإنسانِ إليها و خربت الدنيا بإنتقاله عنها»[٢] كما في الرواية التي تقول (لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها)[٣] كما في خاتم الأولياء حجة الله في أرضه (عليه السلام)، ويشير ابن عربي في الفتوحات إلى خاتم الأولياء و يقول «فلا بد من قرش في عرش فهي المهاد الموضوع وأنت السقف المرفوع بينكما عمدٌ قائم عليه أعتماد السبع الشداد لكنه عن البصر محجوب فهو ملحق بالغيوب ألم تسمع قول من أوجد عينها فأقامها بغير عمدٍ ترونها فما نفى العمد لكن ما يراه كل أحد فلا بد لها من ماسك و ما هو إلا المالك فمن أزالها بذهابه فهو عمدها المستور في إهابه و ليس إلا الإنسان الكامل و هو الأمر الشامل الذي إذا قال اللّه ناب بذلك القول عن جميع الأفواه فهو المنظور إليه و المعَّول عليه»[٤]،

---

١. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٣٩؛ الطوسي، الأمالي، ص ٣٦٨، ح ٧٨٣.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج١، ص ١٢٥

٣. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ج٢، ص ٨٧١، الحديث ١٧٢٢.

٤. الغراب، محمود، شرح فصوص الحكم، ص٢٩.

فإن العمد موجود و لايراه كل أحد لانه محجوب عن البصر وهي أشارة إلى خليفة الله الغائب(عليه السلام).

ثامناً- الإنسان الكامل مظهر لاسم الله الجامع وله الحاكمية

الإنسان الكامل مظهر لأسم الله الأعظم، إن اسم (الله) هو مقام جميع الأسماء والصفات يشتمل على الأسماء جميعها، بما أنه جامع لجميع الأسماء يتجلى في جميع الأسماء فإذا كانت الأسماء هي الصورة للأسم الأعظم وظهوره، والاسم الأعظم باطنها (أي باطن جميع الأسماء) فلهذا إن الحقيقة المتعينة للعالم الربوبي من تجلي الفيض الأقدس، هو الاسم الأعظم، ومن ظهور هذا الاسم ظهرت جميع الأسماء، ومن هنا فإن لهذا الاسم تقدم ذاتي على جميع الأسماء، وحقيقة الإنسان الكامل التي هي مظهر تام لجميع الأسماء والصفات الإلهية، لاجرم هو المظهر لهذا الاسم الأعظم.يقول القيصري «وبما أن الإنسان الكامل هو المظهر للاسم الأعظم، يتجلى في جميع الأسماء ومن تجليه تعينت المظاهر والأعيان»[١]. إذن حقيقة الإنسان الكامل هي عين الاسم الأعظم، لاتحاد الظاهر والمظهر في الوجود وتغايرهما في العقل.[٢]

ويصرح القيصري[٣] «مظهر اسم الله هو الإنسان الكامل، الحاكم في العوالم كلها» ويقول روح الله الخميني «فإن الاسم الأعظم لاستجماعه

---

١. الاشتياني، جلال الدين، شرح مقدمة القيصري برفصوص حكم، ص٦٤٦

٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم (مقدمة القيصري)، ص٤٨.

٣. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، مقدمة القيصري، ص ٦٣.

الجلال والجمال والظهور والبطون، لايمكن أن يتجلى بمقامه الجمعي لعين من الأعيان لضيق المرآة وكدورتها وسعة وجه المرئي صفاته فلابد من مرآة تناسب وجه المرئي ويمكن أن ينعكس نوره فيها حتى يظهر عالم القضاء الإلهي، ولولا العين الثابت الإنساني لايظهر عين من الأعيان الثابتة ولولا ظهوره، لما ظهرعين من الأعيان الخارجية، ولاتفتحت أبواب الرحمة الإلهية، فبالعين الثابت للإنسانية اتصل الأول بالآخر وأرتبط الآخر بالأول، فهي مع كل الأعيان معية قيومية»[١]، من هنا نفهم أن الإنسان الكامل هو مظهر أسماء الله وصفاته وسمي من قبل العرفاء بالمرآة التي يتجلى الحق فيها فكما أن الحق مرآة للإنسان الكامل وهو تعالى يرى نفسه فيه، فلابد من مرآة مجليه لتتضح الصورة، كما يصرح ابن عربي «فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وانت مرآته في رؤيته أسمائه وظهور أحكامه»[٢]. ويقول القيصري «اللّه هو الاسم الجامع لجميع حقائق الأسماء كلها وكلها لها»[٣]. وبمان أنه هو ممد الأسماء ومنه ظهرت باقي الأسماء فهو بهذا يشبه الحقيقة المحمدية التي منها بدأ كل شئ، فقال ايضا «إن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامع الإلهي و هو ربّها ومنه الفيض والاستمداد على جميع الأسماء، فاعلم، أن تلك الحقيقة هي التي تربّ صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو ربّ الأرباب لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر»[٤]، وقال ابن

---

١. الخميني، روح الله، مصباح الهداية الى الخلافة والولاية، ص٦٥.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ص٦٢.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات (اربع مجلدات)، ج١، ص٦٢٣.

٤. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم (مقدمة القيصري)، ص١٢٧.

عربي في تفسير الآية ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّه﴾[١] «فما خص الاسم الله من غيره من الأسماء في قول ﴿فقد أطاع الله﴾ إلا لكونه الاسم الجامع فله معاني جميع الأسماء كلها»[٢] كون الإنسان الكامل بصره ولسانه هو الله تعالى فإنه لاينطق إلا عنه سبحانه، فكان الممد للهمم من هذه الخزائن بسبب حاكميته على الأسماء و يقول القيصري «أن المراد بخزائن الجود والكرم الأسماء الإلهية المتَجلية في الموجودات على أختلاف أنواعها ، فمحمد(ص) يمد المخلوقات بها لأنه هو وحده المظهر الكامل لها جميعها - و بذلك استحق اسم عبد اللّه، واللّه اسم جامع لجميع الأسماء الإلهية»[٣] إذاً نستنتج من هذا إن ابن عربي يرى أن الحقيقة المحمدية هي الاسم الجامع.

تاسعاً- الإنسان الكامل حامل للأمانة الإلهية

للتعرف عن بحث الأمانة يجب علينا التركيز على نقاط مهمة منها:-

١- ما المراد من الأمانة ؟ الأمانة عند ابن عربي هي ماجاء في تفسيره للآية القرآنية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال في معنى الأمانة «وأي أمانة أعظم من النيابة عن الحق في عباده، فلايصرفهم

---

١. النساء، ٨٠

٢. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص ٥٣٠-٥٣١

٣. فصوص الحكم، ابن عربي، محمد بن علي، ج٢، ص٥ فاتحة الكتاب.

إلابالحق، فلابد من الحضور الدائم ومن مراقبة التصريف»[١]. فقصد بذلك مقام الخلافة بأن يكون هذا الإنسان نائباً عن الحق تعالى.- هل الإنسان أختار الأمانة أم كانت أمراً من الله تعالى له؟ في معنى إنا عرضنا الأمانة، أي الأمانة كانت معروضة على الإنسان، وأختار حملها وليست بأمر من الحق تعالى، يقول ابن عربي «وحملها الإنسان عرضاً»[٢] أي عرضت عليه فقبل أن يحملها باختياره.

٣- أما ماهو السبب في إنه أختار حملها «لما وَجد في نفسه من قوة الصورة التي خلق عليها، لأنه لما خلق الله آدم على صورته أطلق عليه جميع أسمائه الحسنى، وبقوتها حمل الأمانة المعروضة»[٣] أن سبب حمل الإنسان للأمانة لأنه أختار ذلك كونه على صورة الحق سبحانه، فبتلك القوة الروحية المعنوية حمل الأمانة الإلهية.

٤- لماذا أبَتّ السموات والأرض حملها؟ لأن السموات والأرض كانتا يعرفْن قدر تلك الأمانة، فلم يظلموا أنفسهم لذلك كان خلق السموات والأرض أكبر من خلق الإنسان «لمعرفتهن بقدر ما حملوا، فلم يظلموا أنفسهم، فما وصف أحد من المخلوقات بظلمه لنفسه إلا الإنسان»[٤]

٥- لماذا كان ظلوماً جهولاً؟ لأن الإنسان قَبِل وأختار الأمانة فهو ظَلَمَ

---

١. ابن عربي ، محمد بن علي ، تفسيررحمة من الرحمن، ج٣، ص٤١٨

٢. المصدرنفسه

٣. نفس المصدر، ج٣ ص ٤١٨

٤. نفس المصدر، ص٤١٩.

نفسه «بقدر الأمانة فهي ثقيلة في المعنى وإن كانت خفيفة في التحمل... إنما الإنسان لما كان مخلوقاً على الصورةِ الإلهية، وكان مجموع العالم، أغتر بنفسه وبما أعطاه الله من القوة بماذكرناه فهان عليه حملها»[١]

عاشراً- الإنسان الكامل مسجود الملائكة

لما كان الإنسان الكامل قبلة الملائكة فما هو نوع هذا السجود وسببه؟ هنا يبين ابن عربي إن سبب سجود الملائكة هو كون هذا الخليفة مُعَلِم ، أما نوع السجود فهو تشريف وتعظيم لمُعَلِمَهُم. حيث جاء في تفسيرالآية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢] «فأمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لمعلمهم سجود أمر- كسجود الناس إلى الكعبة- سجود تشريف لاسجود عبادة، فهذا السجود كالتواضع والخضوع، والإقرار بالسبق والفَخر والشَرف والتقدم له، كتواضع التلميذ لمعلمه، وذلك تشريف من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادتهِ، ... فلما نفخ فيه الروح الأنزه، عرفت الملائكة حينئذ قدر هذا البيت الأعلى، والمحل الأشرف الأسنى، فأوقفهم الحق بين يديه طالبين، وأمرهم فوقعوا له ساجدين»[٣] .

---

١. نفس المصدر.

٢. الحجر،٢٩

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥٢٣-٥٢٤.

المطلب الثاني- الخصائص المعرفية

للإنسان الكامل خصائص معرفية ومراتب، وهذه الخصائص مرتبة حسب الرقعة الوجودية، وبما إن القرآن الكريم هو أول مصادر المعرفة الذي لا يملك الفاعلية بأن يكون مؤثراً في الوجود أي إنه يمثل الإجمال، إذاً لابد من التفصيل فلابد أن ينطق القرآن كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) «ذلك الكتاب الصامت وأنا القرآن الناطق»[١] فهم ترجمان القرآن في ظاهره وباطنه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢].

أولاً- الإنسان الكامل لهُ علم الغيب

لما كان الإنسان الكامل واجداً لأعلى وأكمل مراتب علم الغيب، كونه أعلم من جميع الأنبياء الذين هم قواه ويأخذون من مشكاته (صلى الله عليه وآله) فهو مَن عَلّم الغيب وجوداً، قبل أن يخلق الله شئ وقد قال سبحانه في سورة البقرة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٣] إذ كان أعلم من الملائكة بل هو معلم الملائكة حين نأتي إلى الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إن دلالة (عَلَمَ) أن الله تعالى هو الذي علم آدم دون واسطة والمقصود من التعليم ليس الدرسي وأنما اللّدني الإلهي كما في ﴿وَعَلَّمْنَاهُ

---

١. جوادآملي، عبد الله، الحياة العرفانية للامام علي، ص٤٣، ص٩١.

٢. يس: ١٢

٣. البقرة، ٣١.

﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[١]، وأن دل هذا على شئ فأنه يدل على القرب الموجود بين الحق تعالى وبين الإنسان الكامل من دون واسطة، وعدم قدرة الملائكة على ذلك، بخلاف آدم الذي علمه الله بنفسه، بل هو الواسطة في إيصال الفيوضات، وهذا يثبت أن من تلقى هذا العلم ليس آدم ابو البشر، لأنه لايتناسب كون آدم البشري واسطة في أيصال الفيض إلى الملائكة[٢] أما دلالة القول (بالأسماء كلها)أن (ال)التعريف إذا دخلت على الجمع تفيد العموم كما في علم الأصول، ولكن ليس كل المفسيرين قالوا بذلك[٣]، لأن ألالف واللام فيها في حالة مضاف إليه كما في قول (وشتعل الرأس شيبا)، ومنهم قال بعمومها[٤] فمضافاً إلى الألف واللام جاءت كلمة (كلها) لتؤكد ذلك[٥] وكما يؤكد قول ابن عربي ذلك «فأكدها بالكل وهي لفظة تقتضي الإحاطة والعموم، فشهد له الحق بذلك، كما ظهر هذا الكمال في محمد (صلى الله عليه آله) ايضاً بقوله(فعلمت علم الأولين والآخرين) فدخل علم

---

١. الكهف،٦٥

٢. انظر: الربيعي، محمد عدنان، الإنسان الكامل في آيتي الخلافة والأسماء، المصباح، العدد الواحد والأربعون، ص١٨٦-١٨٧-١٨٨.

٣. كالشيخ الطبرسي، في جوامع الكلم، ج١، ص٤٢؛ الشيخ البلاغي، آلاء الرحمن، ج١، ص ١٧٥؛ أبي السعود في تفسير أبي السعود، ج١، ص١٠٤.

٤. وهو مذهب العلامة الطباطبائي في الميزان، ج١، ص ١١٧؛ العلامة جواد آملي في تفسير تسنيم، ج٣، ص١٣٦.

٥. انظر: الربيعي، محمد عدنان، الإنسان الكامل في آيتي الخلافة والأسماء، المصباح، العدد الواحد والأربعون، ص١٨٦-١٨٧-١٨٨.

آدم في علمه فإنه من الأولين وما جاء بالآخرين إلا لرفع الاحتمال عند السامع اذا لم يعرف ما أشرنا إليه وهو (صلى الله عليه وآله) أوتي جوامع الكلم بشهادة نفسه»[١] فكان الخاتم من يعلم الغيب أصالة وخلفاؤه بالوراثة فهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول(فالأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض)[٢]، وأنهم يزدادون علماً، عن الصادق (عليه السلام) قال:(ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور)قلت كيف ذلك جعلت فداك؟قال: (اذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله (صلى الله عليه واله) العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام، ووافيت معهم فما أرجع إلابعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفذ ماعندي)[٣]. فالعلوم على ثلاثة علم ماضي وهو ماعلمهم أياه رسول الله ص وهو(الإلهام)، والعلم الغابر مابقي في الكتب، والعلم الحادث هو العلم المتجدد من قبيل القذف في القلوب والنقر في الأسماع(الوحي)، فالزيادة تقع في العلم الحادث، من قبيل علم الغيب[٤] قال تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٥] وإن هذه الزيادة الحاصلة هي بتوسط الخاتم (صلى الله عليه وآله) كونه واسطة الفيض حتى بعد وفاته «قال الإمام الصادق (عليه السلام) (ليس شيئا يخرج من الله حتى يبدأ برسول الله ثم

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرجمن، ج١، ص١٠٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

٣. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي ج١، ص ٢٥٤، ح٣؛ بصائر الدرجات، ج١، ص٢٩٦

٤. انظر: الحيدري، كمال، علم الإمام، ص٣٠٦-٣٠٧

٥. الجن،٢٦.

بأمير المؤمنين ثم واحداً بعد واحد، لكي لايكون آخرنا أعلم من أولنا)»[١] و قال القيصري: «(أن النبي (صلى الله عليه واله) يمد أرواح جميع الأنبياء السابقين عليه، بحسب الظهور والزمان- حال كونه في الغيب، لكونه قطب الأقطاب أزلاً وأبداً، كما يمد أرواح الأولياء اللاحقين به، في أيصالهم إلى مرتبة كمالهم، في حال كونه موجوداً في الشهادة، ومنتقلاً إلى الغيب، وهو دار الآخرة، فأنواره غير منقطعة عن العالم قبل تعلق روحه بالبدن وبعده، سواء كان حياً أو ميتاً)» .[٢] نستنتج إن النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) تزداد كمالاتهم ليس فقط في الدنيا بل تستمر حتى بعد مماتهم، وهم في نشآت الملكوت.، قال ابن عربي في تفسير ﴿ن وَ ٱلْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ﴾[٣] «من هذه السورة عُلِمَ الخاتم (صلى الله عليه واله) علم الأولين والآخرين، وأنزل عليه الكتاب المكنون بحسن شِيمه وتنزيهه عن الآفات وتقديسه»[٤]

ثانياً- الإنسان الكامل ميزان كشف الصحيح من السقيم

لابد لكل علم من ميزان يميز به الصحيح من السقيم، كما في العلوم الآلية مثل المنطق والرياضيات فإن لها قواعد وثوابت يعودون إليها في كشف الصحيح من الخطأ، ولايصلون إلى الغاية إلا من خلال السير على

١. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، ج ١، ص ٢٥٥، الحديث ٤.
٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم (شرح القيصري)، ص ٣٠٦ الخطبة.
٣. القلم، ١
٤. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج ٤ ص ٣٦١.

تلك القواعد وإلا فهم على المسار الخطأ، فعلم العرفان كباقي العلوم لابد له من ميزان يكشف الصحيح من السقيم.لمن أراد السير في هذا الطريق يقول القونوي في مقدمة مفاتيح الغيب «ولكل علم أيضاً معياراً يعرف به صحيح مايختص به من سقيمه وخطؤه من صوابه»[١] إذ يتميز الميزان عند العرفاء بالكمال، إذاً الميزان عند العرفاء هو ما أمرنا الله بطاعته واتباعه وجعله قدوة أسوة لنا في السير على طريق الحق، فقد قال تعالى في حق هذا الميزان ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٢] فهو الطريق المؤدي إليه، وهو الصراط الموصل إليه، وقال أيضاً سبحانه عنه ﴿وماينطق عن الهوى﴾[٣] و ﴿لَقَد كانَ لَكُم في رَسولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرجُو اللَّهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثيراً﴾[٤]، فلما كان هذا الميزان هو الموصل له تعالى وهو الكاشف عن إسقام الأمور وصحيحها أرسله للناس كافة يقول ابن عربي في تفسير الآية ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[٥] «إن محمداً (صلى الله عليه وآله) مابعثه الله إلابرسالة عامة إلى جميع الناس كافة، ولاقَبِل هو مثل هذه الرسالة إلا لكونه على مزاج عام يحوي على مزاج كل نبي ورسول، فهو أعدل الأمزجة وأكملها، وأقوم النشآت»[٦] فلكونه أعدل الأمزجة وأكملها فلا يتجلى لك كما يتجلى لخاتم النبيين (صلى الله عليه

---

١. القونوي، محمد بن اسحاق، مفاتيح الغيب ومصباح الأنس، ص١٥

٢. النساء، ٨٠

٣. النجم، ٣

٤. الأحزاب، ٢١

٥. العنكبوت، ٥٦

٦. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٣٧.

وآله) لأن الصورة تظهر على مزاج الرائي «وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد (صلى الله عليه واله) في العلم بربه في نشأته، فلزم الإيمان والاتباع، واجعله أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك..فيكون ظهور الحق في مرآة محمد (صلى الله عليه واله) أكمل ظهور وأعدله وأحسنه، لما هي مرآته عليه»[١] ويقول القيصري «أصح المكاشفات وأتمها أنما يحصل لمن يكون مزاجه الروحاني أقرب للأعتدال التام كأرواح الأنبياء والكمل من الأولياء صلوات الله عليهم ثم يكون لمن أقرب منهم نسبة»[٢]، لذا لابد من أتباع شريعة الخاتم (صلى الله عليه واله) حتى يصل الإنسان إلى الكمال من خلال ميزانهم (عليهم السلام) فهم بهذه الصفات كانوا ميزان كشف الصحيح من الخطأ، لأنهم قد حققوا الكمال عملياً ظاهراً في سلوكهم وباطناً في أفاضتهم من علمهم وعرفانهم، فكان ذلك ليس للعقل الإنساني المجرد فهو مَشوب بالنقصان بل من خلال الشريعة المحمدية، فهؤلاء الكمل أعطونا قواعد وكلمات كما في المنطق والرياضيات إذا أتبعناها حققنا الغاية. إذ وكل الله تعالى الإنسان الكامل الأكمل على عباده «فهو (صلى الله عليه واله) لاينطق إلاعن الله بل لاينطق إلا بالله، بل لاينطق إلا الله منه، فإن الله تعالى سمعه وبصره ولسانه، وما خص الاسم الله.. في قوله (فقد أطاع الله) إلا لكونه الاسم الجامع»[٣]

---

١. المصدر نفسه

٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، مقدمة القيصري، ص ١١١.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص ٥٣٠.

المطلب الثالث - الخصائص الأخلاقية

إن الإنسان الكامل تخلق ظاهراً وباطناً شكلاً ومضموناً بأخلاق الله، فغادرت روحه الدنيا، وهو قائم فيها، فلم يعد للدنيا سلطاناً عليه، فهو ولي لله بالحق.[١] عند ابن عربي خصائص ذكرها في تفسيره إذ إن ابن عربي له إشارات وتنبيهات لايجوز أسنادها إلا للخاتم صلوات الله عليه فهو الإنسان الكامل بالاتفاق، وليس لأحد من الكُمَل ماله من الخلق والأخلاق فبرغم إن بحثنا هو وجودي تكويني وليس بحثاً أخلاقياً فلابأس بذكرها وذلك للفائدة المترتبة على البحث. منها

أولاً- التواضع

التواضع هو خروج الإنسان عن مقتضى جاهه وعظمته وتنزله من مرتبة أمثاله، كما قال رسول الله أمرني ربي أن أكلم الناس على قدر عقولهم «التواضع تارة يكون عن شهود عظمة ربه، وهذا هو التواضع الحقيقي، الذي لايمكن أرتفاعه»[٢] وقد قال ابن عربي في أشارة له في تفسير ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[٣] ماعرف الرسول (صلى الله عليه وآله) طعم التواضع إلاصبيحة ليلة الإسراء، لأنه نزل من قاب قوسين إلى من

---

١. أنظر: الحيدري، كمال، أخلاقنا، ص١١٥-٤،١١٦

٢. الحسني، محمد، محمد الإنسان الكامل، ص١٤٢

٣. النجم، ١٢

أكذبه، فاحتمله وعفا عنه، فإنه ماتواضع عن رفعة إلاصاحب منعة، فلايتواضع إلامؤمن، فإن له الرفعة الإلهية بالإيمان[١].

ثانياً- الخُلق العظيم

الأخلاق من الصفات التي يتمتع بها الكمل من الأناسي، فكيف بمن كان على خلق عظيم، ضاهى الأنبياء وفاق الكمل فصار الكامل الأكمل، قال الله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢] استخدم الله تعالى لفظ عظيم على أخلاق رسول الله ولم يقل كثير لأن الكثير لايقبل الزيادة، إنما العظيم ماتضاعف ونما يقول المصطفوي: «العظيم هو المتفوق قوة وقدرة على من سواه من الخلق أجمعين مطلقاً، مادياً ومعنوياً»[٣] فكان يقول بلسان الله ويفعل ما يأمره الله فوصل بذلك إلى الخُلق العظيم إن كان في مقام القرب فكان خلقه القرآن قال ابن عربي في الفتوحات «كان القرآن خلقه يحمد ما حمد الله ويذم ما ذم الله بلسان حق في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلما طابت أعراقه وعم العالم أخلاقه ووصلت إلى جميع الآفاق إرفاقه استحق أن يختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية من قوله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ »[٤]. فكان ذلك الخلق جامعاً لمكارم الأخلاق كلها يقول ابن عربي في تفسير ﴿انك لعلى خلق عظيم﴾ «لقد وصف ذلك الخُلُق بالعظمة

---

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٢٠٨.

٢. القلم، ٤

٣. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٨، ص٢١٣.

٤. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص ٥٠.

كما وصف القرآن بالعظيم، فمن أراد أن ينظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن، فكأن القرآن إنتشأ صورة حسية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب»[١] وجاء في الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه واله) قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فقد أتصف هذا الإنسان الكامل بكل ثناء إلهي فهو متخلق بالأسماء الإلهية فللعبد أن يتخلق بالأسماء الإلهية حتى يرجع منه حقائق يدعى بها وينسب اليها، سواء كان في حضرة الأفعال أو حضرة الصفات أو حضرة الذات[٢] فوصفه بالخلق العظيم ثم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

نستنتج من هذا المبحث إن الإنسان الكامل كان كاملاً بكل أبعاده الوجودية الانطولوجية والمعرفية والأخلاقية

١- فمن حيث كونه روح العالم ومن له الولاية التكوينية، وكذلك هو أول الخلق و منه كانت الأشياء فهو النفس الواحدة، وهو الخليفة عليه متكأ العالم كونه عماد السماء، فهو الغاية من الخلق، وهو مظهر اسم الله الجامع، وهو ظل الله في أرضه، حامل للأمانة الإلهية، ومسجود الملائكة.

٢- يتميز الإنسان الكامل فضلاً عن صفاته الوجودية بصفات معرفية منها أنّ له علم بالغيب وأنه ميزان كشف الصحيح من الخطأ، فهذه الخصائص والمميزات كانت شاهداً على كماله وأنه أشرف وأكمل المخلوقات فكان نوراً سطع من مشكاة الرحمن فظهر لنا بأتم مصداق

---

١. انظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٣٦٤.

٢. انظر: المصدر نفسه.

للكمال الإنساني.

٣- يمتلك الإنسان الكامل صفات أخلاقية عالية وصفها الله تعالى بالعظيمة حيث قال ﴿انك لعلى خلق عظيم﴾

المبحث الثالث:

مقامات الإنسان الكامل في تفسير ابن عربي

أن المصداق الأتم للإنسان الكامل هو الخاتم (صلى الله عليه وآله)، لذا كانت المقامات المذكورة في هذا المبحث هي مقامات الخاتم (صلى الله عليه وآله)، وهذه المقامات لم نتطرق إلى جميعها وإنما أخترنا بعضاً منها حسب ترتيب المبحث.

المطلب الأول: مقامات الإنسان الكامل قبل الدنيا

للإنسان الكامل مقامات قبل أن يخلق الله الخلق وقبل الدنيا سوف نتطرق فيها إلى مقامين وإن كان هذين المقامين ساري مفعولهما في الدنيا و الآخرة منها:-

أولاً- الحقيقةُ المحمدية

الحقيقة المحمدية ويراد بها المقام لا الشخصية، أما في سبب تسمية هذا المقام بالحقيقة المحمدية، كون النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو المظهر الأتم لهذا المقام، فلما كانت هذه المرتبة لها من السعة الإطلاقية كانت مقاماً ولامجال لها لإن تكون شخصاً، فإن النبي الأكرم محمد (صلى

الله عليه وآله الأطهار) هم مرآة لتلك الحقيقة، وسميت تلك الحقيقة باسم الخاتم (صلى الله عليه وآله) لأنه أول من وصل إلى ذلك المقام وفتح الباب لأتباعه للوصول فكانوا أهل بيته السابقين في الوصول لذلك المقام، فقوله (صلى الله عليه وآله) (اول ماخلق الله نوري) إشارة لهذا المقام، كما قال ابن عربي في الفتوحات «قال تعالى!-: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ - فشبه نوره بالمصباح.- فلم يكن أقرب إليه (- تعالى!-) قبولاً، في ذلك الهباء، إلا حقيقة محمد- ص!- المسماة بالعقل. فكان سيد العالم بأسره، و أول ظاهر في الوجود. فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، و من الهباء، ومن الحقيقة الكلية. و في الهباء وجِد عينه، و عين العالم من تجليه، و أقرب الناس إليه على بن أبى طالب، وأسرار الأنبياء»[1] فكانت أول حقيقة ظهرت وأول من وصل لهذا الهباء هو الخاتم (صلى الله عليه وآله)، فكان على هذا الأساس أي مقام وصل إليه أي نبي هو بتوسط حقيقة الخاتم، لإن عين العالم من تجليه، فحصلت الكثرة ووجود العالم بأجمعه هو من هذا المقام.أي من حقيقة الخاتم (صلى الله عليه وآله).

ثانياً- واسطةُ الفيض

الإنسان الكامل خليفة الله هو الواسطة بين الحق والخلق وأخذ الفيض وأنه الصادر الأول والعقل الأول، كما ذكر ذلك ابن عربي بقوله «فلم يكن أقرب إليه (- تعالى!-) قبولاً، في ذلك الهباء، إلا حقيقة محمد- ص!-

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، -الفتوحات المكية(عثمان يحيى)ج٢، ص٢٢٧؛ ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (اربع مجلدات)، ج١، ص١١٩.

المسماة بالعقل. فكان سيد العالم بأسره، و أول ظاهر في الوجود. فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، و من الهباء، ومن الحقيقة الكلية. و في الهباء وجِد عينه، وعين العالم من تجليه»[١] وإن عين العالم من تجليه ذلك لأنه واسطة بين الحق والخلق كما هو المفتاح للوجود كما يقول ابن عربي «فتح الوجود بك وأنت مفتاح للوجود...»[٢] وحين قال ابن عربي «وصلى الله على ممد الهمم من خزائن الجود والكرم» قال في شرحها وأمداد النبي (صلى الله عليه وآله) الهمم من خزائن الجود والكرم الذي للحضرة الإلهية، أنما هو لقطبيته وخلافته فالخزائن لله، والتصرف لخليفته»[٣]. اي بيده المفاتيح لهذه الخزائن وهو المتصرف بها فهو الواسطة للفيض لتلك الخزائن، كما يصرح بهذا المعنى صدر الدين القونوي ويقول «الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجود والإمكان.. وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي هو سبب بقاء ماسوى الله إلى العالم كله علواً وسفلا»[٤] كما صرح ذلك في كتابه النفحات الإلهية.. وكما في ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥] جاء في إشارة لابن عربي حيث قال «لما أوجد الحق هذا الخليفة على حسب ما أوجده

---

١. المصدر السابق.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، كتاب التراجم، ص٩.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، تحقيق حسن زادة، ج١، ص١٨٦.

٤. القونوي، محمد بن اسحاق، الفكوك، بهامش منازل السائرين، ص ٢٤٤؛ الفكوك، القونوي، ص ١٨٠ فك ختم الفص الشعيبي.

٥. البقرة، ٣٠

قال له: أنت المرآة وبك أنظر إلى الموجودات، وفيك ظهرت الأسماء والصفات، أنت الدليل عليّ، وجهتك خليفة في عالمك، تظهر فيهم بما أعطيتك، تمدهم بأنواري وتغذيهم بأسراري»[١] وقال «فإنه به نظر الحق إلى خلقه فرحمهم»[٢] أي بواسطة الإنسان الكامل نظر الحق إلى الخلق لأنه واسطة بين الحق والخلق، ويُعْلَم مما ذكرناه إن الفيض اذا لم يصل تنعدم الحياة، أذاً لولم يكن الإنسان الكامل موجوداً، لايصل الفيض وبذلك (لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها)[٣]. وهذا المقام يعد المقام الرئيس .

المطلب الثاني: مقامات الإنسان الكامل في الدنيا

ونقصد بها الوجود العنصري للإنسان الكامل ومايحمله من بُعدٍ روحي، حيث تجلى على أرض الدنيا فصار خليفة وولياً وأماماً وعبداً ، فسوف نذكر هنا الولاية والعبودية ومقام قاب قوسين.

أولاً- مقام الولاية

الولاية هي من المقامات التي وصل إليها الإنسان الكامل، لإنه على صور الحق المتصف بصفات الله المتخلق بأخلاقه سبحانه، فقد عرف ابن عربي الولاية «الولي اسم باق لله تعالى، فهو لعبيده تخلقاً وتحققاً وتعلقاً»[٤]

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص١٠٨.

٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ص ٣٥١.

٣. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ج٢، ص٨٧١، الحديث رقم(٢٢٧١)

٤. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص١٣٦

فهو سبحانه الولي الحميد، فمن تخلق وتحقق وتعلق بهذا الاسم وكان مظهراً له فهو الولي بالولاية المطلقة، فبهذا تبقى

الولاية وأن أنقطعت النبوة، وقال القيصري في تعريف الولاية «أعلم إن الولاية مأخوذة من الولي، وهو القرب، لذلك يسمى الحبيب ولياً، لكونه قريباً من محبه»[١]، وقال ابن عربي في تفسيره للآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] «إن الولاية هي الفلك المحيط الجامع، وقال وأعلم إن النبوة أختصاص من الله يختص به من يشاء من عباده، وقد أغلق ذلك الباب وختم برسول الله (صلى الله عليه واله)، والولاية مكتسبة إلى يوم القيامة، فمن تعمل في تحصيلهم بمشيئة الحق تعالى حصلت له، والتعمل في تحصيلها من أختصاص الله تعالى، يختص برحمته من يشاء»[٣] يبين أن باب النبوة غلق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فالإنسان الذي يتخلق بأخلاق الله ويصل إلى مقام الفناء فيكون الله سمعه وبصره ممكن أن يصل إلى هذا المقام لكونها مكتسبة، بمشيئة الحق سبحانه، وقال في تفسير الآية نفسها «أعلم على قدرما يخرج به العبد من عبوديته ينقصه من تقريبه من سيده، لأنه يزاحمه في أسمائه، وأقل المزاحمة الاسمية، والولي من أسمائه سبحانه، فالذي ينبغي للعبد، أن لايزيد على هذا الاسم غيره، فإن أطلق الله السنة الخلق عليه بأنه ولي الله ورأى إن الله أطلق عليه اسماً أطلقه

١. القيصري، داود، رسائل القيصري، ص١٥٣؛ الحكيم الترمذي، ختم الأولياء، ص٤٩٤.

٢. يونس، ٦٢

٣. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة الرحمن، ج٢، ص٣١٠-٣١١.

تعالى على نفسه فلايسمعه ممن يسميه به الأعلى أنه بمعنى المفعول لابمعنى الفاعل، حتى يشم فيه رائحة العبودية....والاسم الولي الذي قد تسمى به الله بمعنى الفاعل، فينبغي أن لايطلق ذلك الاسم على العبد، وأن أطلقه الحق عليه فذلك إليه تعالى، ويلزم الإنسان عبوديته ومايختص به من الأسماء التي تطلق على الحق فبمقدار عبوديته للحق تعالى كانت ولايته»[١] فكلما حقق مقام العبودية المطلقة كان ولياً، وتنقسم الولاية إلى عامة وخاصة، أما العامة: فتشمل كل من آمن بالله وعمل صالحاً على حسب مراتبهم، والولاية الخاصة: عبارة عن فناء العبد في الحق، فالولي هو الفاني في الله والباقي به، وليس المراد هنا إنعدام عين العبد مطلقاً بل فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية [٢] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [٣] والولاية في كل شأن لها معاني مختلفة :-

١- الولاية بمعنى الفناء

الولي هو الفاني بالله والباقي بالله يعني تخلق بأخلاق الله، وفي هذا المعنى يقول القيصري «الولي اسم لمن فنى عن صفاته وأخلاقه وتخلق بأخلاق الله، ولمن فقد ذاته فيه، وتسترت في العين الأحدية، وتحققت بها، ولمن رجع إلى البقاء وتوجه ثانياً، تعلق بعالم الخلق والفناء «فالفناء لايعني إنعدام عين العبد مطلقاً، بل هو فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية إذ لكل

١. المصدرنفسه

٢. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم(مقدمة القيصري)، ص١٣٤.

٣. البقرة،١٤٨.

عبد جهة كما قال تعالى ولكل وجهة هو موليها....الآية»[١] وهذا يصدق عليه معنى الولاية الخاصة التي يختص الله بها من يشاء، كما هو في حديث قرب الفرائض[٢]

٢- الولاية أعلى مرتبة من النبوة

يؤكد ابن عربي إن الولاية أعلى مقاماً من النبوة على أساس أنقطاع النبوة وأبدية الولاية، فيقول الشيخ القيصري في شرح قول لابن عربي: «لأجل أن الولاية غير منقطعة والنبوة منقطعة، صار مقام النبي (صلى الله عليه واله)، من حيث أنه عالم بالله وأسمائه وصفاته، وولي، بأنه أفنى عبوديته بربوبيته، أتم وأكمل من مقام نبوته ورسالته، لإن الولاية جهة حقانية، فهي أبدية، والنبوة جهة خلقية، فهي منقطعة غير أبدية»[٣] كما يصرح بهذا المعنى ويقول «فاذا سمعت أحداً من أهل الله يقول: إن الولي فوق النبي (صلى الله عليه وآله والرسول)، فأنه يعني بذلك شخص واحد: وهو أن الرسول (عليه السلام) - من حيث هو ولي - أتم من حيث نبي ورسول»[٤] فقول ابن عربي ذلك، من حيث المراتب الحاصلة للرسول على

---

١. المصدر السابق، ص ١٦٠.

٢. هو المقام المعبر عنه ايضا بمقام(الأخفى)وهو المقام السابع حيث يصير السالك المسافرسمع الله ولسانه وعينه ويده، فيخرج من الدائرة الضيقة المحدودية ليرتقي الى عالم اللامحدودية (كمال، الحيدري، مراتب السير والسلوك الى الله، ص ٩٠-٩١)

٣. القيصري، داود، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، ج٢، ص١٣٨-١٣٩.

٤. ابن عربى، محمد بن على، فصوص الحكم، ج١، ص١٣٥

البشر لا أن الولي أعظم من الرسول، بل من حيث أعتبار هذه الأمور الثلاثة في الشخص الواحد، ويؤكد هذا القول مايصرحه السيد حيدر الآملي حيث يقول «أنّ النبي و الرسول لهما التصرف في الخلق بحسب الظاهر و الشريعة، و الوليّ التصرف فيهم بحسب الباطن و الحقيقة. و من هنا قالوا: الولاية أعظم من النبوة، و إن لم يكن الولى أعظم من النبي، لأنّ الولاية هي التصرّف في الباطن، و النبوة (هي التصرف) في الظاهر، وإن كان النبي أيضاً صاحب الولاية، لكن (لا) من حيث الحكم بالفعل، بل من حيث المعنى الحاصل له بالقوة، كما قال- ص: (لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرب و لا نبى مرسل)»[1]، وإن عدم إنقطاع الولاية، وبقاء الولي هي من أهم عقائد ابن عربي، ولايجوز عنده خلو زمان من القطب أو الولي الكامل، ويستدل بذلك في وجوب بقاء مظهر اسم الله الولي، كما نرى هذا المعنى واضحاً في بيان له إذ يقول «الله تعالى لم يتسمّ بنبي ولارسول ويسمى بالوليّ، وأتصف بهذا الاسم: فقال قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2] وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة، فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بأنقطاع النبوة والرسالة»[3]. ويعني بما أن (الولي)من أسماء الله تعالى (وهو الولي الحميد)، فيحتاج إلى مظهر إذ لزم بقاء الولي في العالم إلى الأبد، فالولاية لاتنقطع أبداً.فإن الرسول والنبي ليسا

---

١. الآملي، حيدر، المقدمات من كتاب نص النصوص، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

٢. الشورى،٢٨.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج١، ص.٢٢٩.

من أسماء الله، فينقطعان، أوضح عقيدته تلك بأبيات شعرية نصها:-

إن النــبوة والرســالة كانــتا وقـد أنـتهت ولهـا الـسبيل الأقـوم
وأقــام بيــتا للــولاية محكــم فــي ذاتــه فلــه الــبقاء الأدوم
لا تطلبــنه نهايــة يــسعى لهــا فــيكون عــند بلــوغه يــتهدم
صــفة الــدوام لذاتــه نفــسية فهــو الولــي فقهــره مــتحكم
يــأوي إلــيه نبــيه و رســوله والعالم الأعلى و من هو أقدم[١]

ويقول ابن عربي في شرح الفصوص إن الرسالة لاتعد من المقامات لأنها تنقضي بعد مدة التبليغ «وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية. وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع. فهي حال لا مقام، ولا بقاء لها بعد إنقضاء التبليغ، وهي تتجدد»[٢] بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبداً، ولا تحدّ، لا بالزمان ولا بالمكان، ولها الانباء العام والله لم يتسمّ بنبي ولا برسول، وتسمّى بالوليّ، واتصف بهذا الاسم، فقال: الله ولي الذين آمنوا، وقال: هو الوليّ الحميد، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة.

٣- الولاية هي باطن النبوة وهي أزليه

إن الولاية هي باطن النبوة وهي أزلية فكل الأنبياء يأخذون من فيضه،

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج١، ص٢٢٩..
٢. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفي، ج١، ص ١٣٥.

لأنه المظهر الأتم وصورة الحق، يقول ابن عربي «فكل نبي من أول آدم إلى آخر نبي مامنهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وأن كان تآخر وجود طينته فأن حقيقته موجودة، وهو قوله (صلى الله عليه وآله) (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) وغيره من الأنبياء ماكان نبياً إلاحين بعث، وكذلك خاتم الأولياء، كان ولياً وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ماكان ولياً إلابعد تحصيله شرايط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من كون الله تعالى يسمى بالولي الحميد»[١]

ثانياً- مقام كُنّ:

هذا المقام من المقامات التي وصل اليه الإنسان الكامل وله معنيين، فمرةً يقول الإنسان الكامل كُن: فيكون الشئ، ومرةً يقول الحق تعالى كُن: فتكون الحقيقة المحمدية.

١- المعنى التكويني (التسخير):

ففي هذا المعنى يصبح له مقام التحكم في مفردات عالم الوجود لاعلى نحو الاستقلال بل بأذن الله تعالى، من قبيل حركة الرياح وأحياء الموتى والإشفاء وما شابه ذلك. يعني هذا تبديل أخلاق العبد وصفاته بأخلاق الله وصفاته، إلى أن يصير الله سمعه وبصره ولسانه ويده فيتصرف بأذن الله في العالم التكويني ، والعالم يكون مطيعاً له

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج١، ص٦٣ - ٦٤.

إذ يقول له كن فيكون، ففي تفسيرابن عربي للآية ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [١] يقول ابن عربي « ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ أي من أجلكم ﴿مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من ملك وكوكب سابح في فلك ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وما فيها من الخلق فدخل الحيوان في ذلك ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ لما كان المقصود من العالم الإنسان الكامل، كان من العالم أيضاً الإنسان الحيوان المشبه بالكامل في النشأه الطبيعية، فقال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي من أجل الإنسان الكامل الخليفة في الأرض، فشغل الملأ الأعلى به سماءً وأرضاً، وأمر سبحانه وتعالى من في السموات والأرض بالنظر فيما يستحقه هذا الخليفة النائب، فسخرله جميع من في السموات والأرض» [٢] ويصرح عن ذلك في كتاب فصوص الحكم فيقول: فكما أنه ليس شئ من العالم إلا وهو يسبح بحمده، كذلك ليس شئ من العالم إلا وهو مسخر لهذا الإنسان لماتعطيه حقيقة صورته، فكل مافي العالم تحت تسخير الإنسان وعلم ذلك من عَلِمَهُ (الإنسان الكامل) وجهل من جهله وهو الإنسان الحيوان [٣]. ويقول الله عز وجل لسليمان الذي هو فرد من أفراد الإنسان الكامل الذي مصداقه الأتم هو الخاتم (صلى الله عليه واله) والذين يأخذون من مشكاته يقول له ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٤] فقال ابن عربي «فإن الله يقول

---

١. الجاثية، ١٣

٢. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص١١٩

٣. أنظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٥١٤.

٤. سورة ص، ٣٦

في حقنا كلنا من غير تخصيص (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ) وقد ذكر تسخير الرياح والنجوم وغير ذلك، ولكن لا عن أمرنا، بل عن أمر الله، فما أختص إن عقلت إلابأمر من غير جمعية ولاهمة، بل بمجرد الأمر، فكان من سليمان مجرد التلفظ بالأمر لمن أراد تسخيره من غير همة ولاجمعية»[١] وفي أشارة لابن عربي في سورة ص ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٢] «في حق الرسول (صلى الله عليه وآله) كأن الله تعالى يقول له: عبدي خرقت لك الحجاب، وأظهرت لك الأمر العجاب، حتى أتيت قومك باللباب، فقالوا ساحر كذاب، عبدي وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح اسمي الخلاق، فقال الكفرون إن هذا إلا اختلاق، عبدي ملكتك سر النون من قولي كن فيكون، فقالوا ساحر مجنون، ...»[٣] وفي قوله (ملكتك سر النون) هو مايظهر من الرسول من الاقتدار الذي لاينبغي أن يكون إلا لله تعالى، من أحياء الموتى وأشباهه. وهذا واضح في إن الخاتم (صلى الله عليه واله) الإنسان الكامل قد بلغ مقام كن فيكون. «ولم يرد نص عن اللّه ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطى كن سوى الإنسان خاصة، فظهر ذلك في وقت في النبي (ص) في غزوة تبوك، فقال كن أبا ذر فكان أبا ذر، و ورد الخبر

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥١٤.وتعني الهمة كمايقول الجرجاني في التعريفات: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية الى جانب الحق لحصول الكمال له او لغيره.

٢. سورة ص، ٤

٣. المصدرنفسه، ص٥٠٢.

في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند اللّه بعد أن يسلم عليهم من اللّه فإذا في الكتاب لكل إنسان يخاطب به من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لايموت أما بعد فإني أقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ، و قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون فقال (ص) فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا و يكون»[1]

٢- المعنى الوجودي

وهذا المعنى الذي هو ليس كلمة قولية فيسخر بها العالم بل هي الحقيقة المحمدية ، ويعد ابن عربي أن الموجودات كلها كلمات الله لأنها مظاهر للكلمة الإلهية أو العقل الإلهي الذي هو الحقيقة المحمدية، وذكر ذلك ابن عربي في مصنفاته ما ورد في كتاب فصوص الحكم أنّه «قد سميت الموجودات(كلمات) من حيث إنها مخلوقة بكلمة التكوين(كن) هذا كلام أهل الظاهر. أما حقيقة المسألة و باطنها فالكلمة (كن) رمز للعقل الإلهي الذي هو واسطة في الخلق بين الواحد الحق والكثرة الوجودية التي هي أعيان العالم. فهو البرزخ الذي تمر به الموجودات من وجود بالقوة- وجود معقول- إلى وجود بالفعل و هذه صفة من الصفات التي يصف بها ابن عربي ما يسميه بالكلمة(Logos) وبالحقيقة المحمدية و الإنسان

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٢، ص٤٨٧؛ الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٣، ص ٢٩٥ / الملائكة المهيمة في جلال الله.

الكامل وغير ذلك من الأسماء. فنحن لا نتردد إذن في القول بأن كلمة التكوين هي الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي- و لكن لا الكلمة القولية (كن) بل الكلمة الوجودية »[١]. كما جاء في ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] «على التتالي والتتابع أشخاصاً بعد أشخاص، وكلمات إثر كلمات، والبحار والأقلام من جملة الكلمات مانفذت كلمات الله ومن هذه الخزانة تظهر كلمات الله في الوجود، والمادة التي ظهرت فيها الكلمات في العالم هي نَّفَس الرحمن، ولهذا عبر عنه بالكلمات، فقيل في عيسى (عليه السلام) أنه كلمة الله كُن، وصدرت هذه الكلمات عن تركيب يعبر عنه باللسان العربي بلفظة كُن، فكلمات الله كلها عن لفظة كُن وعنها تنشأ الكائنات، وقد أخبر الله أن مامن شئ يريد إيجاده إلا يقول له كُن»[٣] فهوالصادر الأول وأول وجود وجده الله تعالى ومنه أوجد كل الأشياء فصار بهذا المعنى كلمة كُن كما قال في حديث جابر(أول ماخلق الله نوري ثم خلق منه كل خير) فكان في هذا المقام هو الواسطة ومفتاح الخزائن لأنه خليفة الله فظهرت هذه الكلمات من الخزائن فبما أن النَّفَس الرحماني هو ساري في المقامات الحقية والخلقية كان هو المادة لظهور هذه الكلمات.

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج٢، ص ١٨٧ / الفص الخامس عشر.

٢. لقمان، ٢٧

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٦٩.

ثالثاً- مقام العبودية

١- العبودية تعني الصبر

العبودية تعني الصبر على قضاء الله والرجوع اليه فيما أبتلي، كما قال تعالى ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] فقال ابن عربي في تفسيرها «أواب: يعني رجّاع الينا فيما أتيناه، فما سماك صابراً إلا لكونك حبست نفسك عن سؤال غير الحق، كما قال: ماقص الحق عليك أمر أيوب إلالتهتدي بهداه، إذا كان الرسول سيد البشر يقول ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2] فما ظنك بالتابع»[3] فكيف بمن قال (ماوأذي نبي مثل ما أوذيت).[4] فكان أشد بلاء وأكثر صبراً.

٢- العبودية وتعني الذُلة والفقر والاحتياج لله

وبها يكون العبد على يقين إن ما للحق لايكون له، ويمكن أن نتعرف على هذا المعنى عند ابن عربي من خلال تفسيره للآية ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

---

١. سورة ص، ٤٤

٢. الأنعام، ٩٠

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥١٦.

٤. الحيدري، كمال باقر، علم الإمام، ص ٢٠.

لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] إذ قال «وقال تعالى تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها أي نملكها ملكا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ فإن الأرض قد جعلها اللّه ذلولاً و العبد هو الذليل و الذلة لا تقتضي العلو فمن جاوز قدره هلك يقال ما هلك أمرؤ عرف قدره»،[٢] فالعبودية هي الذلة والافتقار والانكسار وليس للعبودية نهاية فيصير رباً، وليس للربوبية نهاية فينتهي إليها، فعندما يكون العبد عبداً محتاجاً إلى الله ولايمكن أنّ يتصف بالربوبية على نحو أي فعل من الأفعال، «وقوله ما لها تناهي يقول إنه ليس للعبد في عبوديته نهاية يصل إليها ثم يرجع رباً كما أنه ليس للربّ حد ينتهي إليه ثم يعود عبداً فالربّ ربّ إلى غير نهاية والعبد عبد إلى غير نهاية فلذا قال مدائح القوم في الثرى هي وهو أذل من وجه الأرض و قال لا يعرف لذة الماء إلا الظمآن يقول لا يعرف لذة الاتصاف بالعبودية إلا من ذاق الآلام عند أتصافه بالربوبية و أحتياج الخلق إليه»[٣]، وجاء ذلك حول قصة للنبي سليمان في تفسير ابن عربي للآية ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٤] أي كان النبي سليمان (عليه السلام) يرغب في ملك لاينبغي سوى لله فعندما أراد أن يجعل الله رزق العباد على يديه حساً، فجمع ماحضره من الأقوات في ذلك الوقت، فخرجت دابة من دواب البحر

---

١. القصص، ٨٣

٢. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣١٣.

٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج١، ص ١٧٣ / منزل المدح.

٤. سورة ص، ٥٣.

فطلبت قوّتها، فقال لها خذي من هذا قدر قوتك كل يوم، فأكلته حتى أتت على أخره، فقالت: زدني فما وفيت في رزقي، فإن الله يعطي في كل يوم مثل هذا عشر

مرات، وغيري من الدواب أعظم مني وأكثر رزقاً، فتاب سليمان (عليه السلام) إلى ربه، وعَلِم أنه ليس في وسع مخلوق ماينبغي للخالق [١]، والعبودية تعني الاحتياج والفقر وهي نسبة إلى العبودة: والعبودة لاتعني النسب إلى الله تعالى لإنه لايقبل النسب بل هي عين الفقر والحاجة ولابد للعبد حتى يصل مقام العبودية أن يذل إلى معبوده إذ قال ابن عربي في الفتوحات «العبودة مخلصة من غير نسب لا إلى الله ولا إلى نفسها لإنه لايقبل النسب إليه ولذلك لم تجئ بيان النسب فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة الافتخار به ولهذا قيل في الأرض ذلول بنية المبالغة في الذلة لأن الأذلاء يطئوها فهي أعظم في الذلة منهم فمقام العبودية مقام الذلة والافتقار وليس بنعت إلهي» [٢]

٣- العبودية وتعني أن يكون العبد مظهراً لأسماء الله وصفاته وتلك أكمل صور العبادة

عنما يكون العبد مظهراً لأسماء الله وصفاته كان عبداً محضاً حقق

---

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥١٤؛ الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج٢، ص١٢٦.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص٢١٤.

مقام العبوديّة حرفياً وأصبح عبداً للحق تعالى فنال شرف ذلك المقام، فأصعب أختبار حين يكون العبد صورة لله تعالى ليرى هل يقف مع عبوديته أو يزهوا أمام صورته ؟ فكان خليفةً وإنساناً كاملاً لإنه كان المصداق الأتم لتلك الصورة، ولكونه الكون الجامع فهو الذي يجمع بين الحقيّة والخلقيّة، ففيه جهة وجوب وجهة إمكان، فمن جهة الوجوب لأنه مظهر للشؤون والأسماء الإلهية، أما من جهة إمكانه لكونه مظهراً للحقائق الإمكانية والصفات الخلقيّة فهو عبد وربّ، عبد بحسب جهته الإمكانية، وربّ بمعنى واسطة الفيض لمادونه[1]، قال ابن عربي في تفسير ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[2] «عبد الله يعني محمدٌ (صلى الله عليه وآله)..فشهد الله له بأنه كامل العبودية، و لم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول اللّه ص فكان عبداً محضاً زاهداً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية و شهد اللّه له بأنه عبد مضاف إليه في هويته واسمه الجامع فقال في حق اسمه ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ وقال في حق هويته سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ فأسرى به عبداً و لما أمر بتعريف مقامه يوم القيامة قيد ذلك بقول أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[3] فهذه تدل على عبودية الاختصاص عن عبودية كل ماسوى الله تعالى فله خلوص العبودية لله تعالى حيث قال

---

١. انظر: الحيدري، كمال، تمهيد القواعد، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.، كمال الحيدري، الرؤية الكونية في العرفان النظري، ص٣٣٧.

٢. الجن، ١٩

٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص ٢١٤ / مقام العبودية لم يتحقق به على كماله مثل رسوله الله

(صلى الله عليه وآله): «العبد من لاعبد له»[1]: فإن الإنسان الكامل بحسب ظاهره يكون له نحو من المظهريّة وهو واجدٌ لمقام التفصيل، وبحسب باطنه يكون له مظهرية مقام الجمع الإلهي، فاصبح مقام العبودية أعلى من مقام الولاية وذلك بإستحقاق الإنسان الكامل لقب العبد، ويقول ابن عربي في أن مقام العبودية أعلى من مقام الولاية من حيث خطاب الله تعالى له بالعبد «فمن جهة التحقق بمقام العبودية و شرفها بالنسبة للمخلوق، شرف الرسول والنبي وعَلَتّ رتبته على الوليّ لتحققه بالإسمية و العبودية، و عدم منازعة الربوبية و لو في إطلاق اسم مشترك، لذلك نرى أن الحق تعالى ما خاطب نبيه و رسوله (صلى اللّه عليه و سلم) إلا بقوله: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يا أَيُّهَا الرَّسُولُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ**﴾ ولم يخاطبه بإسم الولي، حتى يتحقق بمقام العبودية لفظاً و معنى، و لا تشم هذه الرسالة في كتاب القربة، فالأنبياء صلوات اللّه عليهم ما فضلوا الخلق إلا بالمراتب- لذلك كان الرسول من حيث رتبته والتحقق بمقام العبودية أعلى و أشرف من الولي، مع كون مقام الولاية أعلى و أشرف من مقام الإخبار أي النبوة، و من مقام التبليغ أي الرسالة، بالنسبة للنبي الرسول من حيث كونه ولياً، و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل.»[2]

---

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة الرحمن، ج٣، ص٣٩٦.

٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج١، ٢٦٣.

رابعاً ـ مقام قاب قوسين

يعد مقام قاب قوسين أو مقام الإسراء من أهم المقامات التي وصل اليها الإنسان الكامل يقول ابن عربي، «وقاب قوسين هو غاية القرب»[١]، ويقول في تفسير « ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢] قاب قوسين هو إلتقاء قطري الدائرة، أو هو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة»[٣] كما في الذراع في قوله تعالى في الحديث القدسي(فإذا تقرب اليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً) فليس هو الذراع الحسي المحدود، أما (أو أدنى) قال «إي مما تمناه العبد أويتمناه..فهو قرب القدر لاقرب المقدار»[٤] أذن القرب الذي قصده تعالى هو القرب في القدر والمكانة عنده سبحانه لا المسافه فهو سبحانه لايُحد بمكان، فكيف يحويه مكان وهو القائل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٥] لذلك قال ابن عربي في تفسيره لسورة الإسراء إذ ذكر «إياك أن تفهم أن ذلك يشعر بتحديد في القرب أو تخصيص في جهة، إنما هو دنوَّ تجلٍ وكشف...فإذا علمت أنه دنو تجل روحاني وكشف عرفاني، فهمت سر قوله تعالى ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ »[٦] فبهذا التقرب كان الحق

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، لرحمة من الرحمن، ج ٤، ص٢٠٧.

٢. النجم، ١٩

٣. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٤،ص٢٠٨.

٤. المصدرنفسه.

٥. سورة ق، ١٦٩

٦. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٢، ص٥٢٢.

تعالى سمعه وبصره وجميع قواه قال ابن عربي «وهذا الخط الفاصل بين قسمي الدائرة هو عين تميز العبد عنه، فلما تحقق التميز، ووقع الانفصال بالتكوين، وأظهر الخط حكمه، عاد الأمر واحداً، فوصف الحق نفسه بأنه سمع العبد وبصره وجميع قواه»[١] فأصبح هذا الكامل عينه ومن أجمل ماقال ابن عربي عن هذ ا المقام «العالم في جنب الحق متوهم الوجود لاموجدود»[٢]، وهذه من عقائد ابن عربي في وحدة الوجود الشخصية، حيث لابد معها من وجود التمايز في المراتب فكانت مرتبة الخاتم (صلى الله عليه وآله) من أشرف المراتب، وقال في التفسير نفسه «فالموجود والوجود ليس إلا عين الحق وهو قوله(أوأدنى) فالأدنى رفع هذا التوهم فإذا رفع من الوهم لم يبقى سوى دائرة»[٣] وهذه أشارة إلى مقام التعين الأول (مقام الأحدية) (الحضرة العلمية)، وفي أشارة له قال «إذا نزلت مقام قاب قوسين فلاتطلب أثراً بعد عين، فمقام قاب قوسين مقام المعاينة، وهومقام يعطي حكمة في الدنيا والآخرة، حيث كان، وهو قوله (صلى الله عليه وآله): ما تجلى الله لشئ ثم احتجب عنه، وفيه أنشدوا:

يامؤنسٍي بلليل إذا هجع الورى   ومحدثـي مـن بيـنهم بـنهار»[٤]

فبعبوديته المحضة وصل إلى هذا المقام، يقول ابن عربي في تفسير

---

١. المصدرنفسه، ج٤، ص-٢٠٩-٢٠٨.

٢. المصدر نفسه

٣. نفس المصدر

٤. نفس المصدر

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[١] «إن العبد لايصل إلى الله تعالى إلا فرداً تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[٢] ولاتتحقق الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها فهناك يصل إلى حضرة عنديته»[٣]، ويوضح ابن عربي أن هذا المقام مرة يختص بالخاتم فقط فيقول في رسائله «بسم الله الرحمن الرحيم لا اله إلا الله محمد رسول الله، هذا بيت الحق و مقعد الصدق، و منبع الجمع و الفرق، و سرالغرب والشرق، وهو حرام على صاحب كل مقام إلا على من دنى من الرفيق الأعلى، فتدلى على المقام الأجلى فكان قاب قوسين أو أدنى، مقام محمود محمدى الإجتبى»[٤]. وأخرى يقول إن هذا المقام لم يكن خاصاً فقط بالخاتم (صلى الله عليه واله) فممكن لوارثه الوصول إليه وقال في إشارة واعتبار في تفسيره «محمد رسول الله (صلى الله عليه ووراثه) لما دنا من الرفيق الأعلى، فتدلى على المقام الأجلا»[٥]. فهنا ممكن لوارثه وصول هذا المقام ، و هنالك مَشّهد روحاني ذكره ابن عربي في تفسير الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قال: «كان الإسراء مقاماً خص به رسول الله(ص) وهو مقام رؤية المعبود جلّ وعلا، وهو مقام قاب قوسين أو أدنى وذلك أنه لما

١. الإسراء، ١

٢. مريم، ٩٥

٣. نفس المصدرالسابق، ج٢، ص٥٢١.

٤. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي (الاسرا فس مقام الاسرا)، ص٢٩

٥. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٢١٤

كان (ص)ثمرة شجرة الكون (الكلمة الإلهية كن)، ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها إنما مرادة لثمرتها، فهي محمية محروسه لإجتناء ثمارتها وأستجلاء زهرتها، ولما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها.. قيل له يا يتيم أبي طالب قم فإني لك طالب، قد أدَّخر لك المطالب فأرسل إليه أخص خدام الملك، فلما ورد عليه قادماً، وافَهُ على فراشه نائماً، فقال له: يا جبريل إلى أين ؟ فقال: يا محمد أرتفع الأين من البين، فإني لا أعرف في هذه النوبة أين قال: يا جبريل فما الذي مراد مني ؟ قال: أنت مراد الإرادة، ومقصود المشيئة، فالكل مراد لإجلك، وأنت مراد لإجله ومختار الكون أنت صفوة كأس الحب أنت درة هذه الصدفه وأنت ثمرة هذه الشجرة»[١] كما ورد في الأثر: لولاك ماخلقت الأفلاك.

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة الرحمن، ج٢، ص٥٢١.

المطلب الثالث: مقامات الإنسان الكامل بعد الدنيا

من مقامات الإنسان الكامل في الآخرة أخترنا الشفاعة وميزان الأعمال.وإن كانت الشفاعة لاتخص الإنسان الكامل فقط بل تشمل الملائكة والشهداء والمؤمنون، ولكن للخاتم (صلى الله عليه وآله) مقاماً خاصاً محموداً هو مقام الشفاعة الكبرى ، فبواسطته تفتح باب الشفاعات الآخرى.

أولاً: الشفاعة

وتعني الوسيلة وهي المقام المحمود الذي يشفع فيه بأذنه تعالى «الشفاعة هي من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينظم إلى الوسيلة، الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ماكان فرداً فيقوى على نيل مايريده لما لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وقصورها»[1]. «أشار القرآن الكريم أنه أمتنّ لرسول الله بوعد حيث قال الحق تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2] أي عطاء يتبعه رضى، أما العطاء فمطلق وأما الرضى فهو الإرضاء بالعطاء من غير تحديد ويتحقق رضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالشفاعة كما قال تعالى ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ﴾[3]، كما يدل على ذلك

١. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج ١، ص١٥٧

٢. الضحى، ٥

٣. الفرقان، ١٦.

قول الصادق (عليه السلام): رضاء جدي على أن لايدخل النار موحد»[١].

هذا المقام الذي يختص به الإنسان الكامل هو المقام المحمود، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٢] «دلت الآية على أن هذا المقام سوف يعطى للخاتم يوم القيامة، بقرينة لفظة (البعث)، وأجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة»[٣]، ويؤيد ذلك العلامة الطباطبائي فيقول «وقد وصف سبحانه مقامه بأنه محمود وأطلق القول من غير تقييد وهو يفيد بأنه مقام يحمده الكل ولايثني عليه الكل إلا إذا استحسنه الكل وانتفع به الجميع ولذا فسروا المقام المحمود بأنه المقام الذي يحمده عليه جميع الخلائق وهو مقام الشفاعة الكبرى»[٤] وهذا المقام المحمود هو الوسيلة، يقول ابن عربي «وهذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوسل إلى اللّه فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة و هو شفاعته في الجميع »[٥] «ألا تراه (صلى اللّه عليه و سلم) يقول في الوسيلة إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد و أرجو أن أكون أنا فمن سأل

---

١. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج٣١، ص١٩٣؛ السيد كمال، الحيدري، الشفاعة، ص ٨٩

٢. الإسراء، ٧٩.

٣. الحيدري، كمال باقر، الشفاعة.ص٣١٩

٤. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٣، ص١١٩؛ الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١، ص١١٩.

٥. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج٢، ص٨٧؛ ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٢، ص٥٦٧

لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»[١] «فجعل الشفاعة ثواب السائل و لهذا سمي المقام المحمود الوسيلة و كان ثوابهم في هذا السؤال أن يشفعوا و هذا هو منصب إلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ و قال وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ »[٢] فكان المرجع إليه فكذلك ترجع المقامات كلها و الأسماء إلى هذا المقام المحمود، وذكر ابن عربي في تفسير ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[٣] فقال» وعسى من الله تعالى واجبة و إن المقام المحمود هو الذي له عواقب الثناء والمقامات كلها، أي اليه يرجع كل ثناء، وإليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات، وهو لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويضهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة، وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض، فلايجمع المحامد كلها يوم القيامة إلا محمد (صلى الله عليه واله)، وهو الذي عبر عنه بالمقام المحمود، فانه كانت ترجع إليه المقامات كلها - وهو الجامع لها- لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتى جوامع الكلم، لأن المحامد في صفة الكلام، فأنه موقف خاص بمحمد (صلى الله عليه واله) يحمد الله فيها بمحامد لايعرفها إلا أذا دخل ذلك المقام، فمحمد (صلى الله عليه واله) بيده لواء الحمد، ولآدم (عليه السلام) علم الأسماء، ولمحمد (صلى الله عليه واله) علم الثناء بالمقام

---

١. نفس المصدر

٢. نفس المصدر

٣. الإسراء، ٧٩

المحمود، فأعطي في القيامة لأجل المقام المحمود العمل بالعلم، ولم يعطى لغيره في ذلك الموطن، فصحت له السيادة، فقال (آدم فمن دونه تحت لوائي)»[١] وبيّن أيضاً في تفسير هذه الآية إن هذا المقام يدعى بالوسيلة حيث قال «وهذا المقام المحمود هو المقام المثنى عليه، الذي أثنى الحق عليه، الذي يقيم الحق سبحانه وتعالى محمداً (صلى الله عليه واله)، هو الوسيلة، لأن منه يتوسل إلى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة، وهو شفاعته للجميع، فهومقام شفاعة رسول الله (صلى الله عليه واله)»[٢] فهو يشفع ويفتح باب الشفاعات أي هو الواسطة بين الحق والخلق في الدنيا وقبلها وفي الآخرة، فبهذا المقام يكون واسطة لفتح باب الشفاعات الأخرى كما قال ابن عربي، «وكانت العاقبة لمحمد (صلى اللّه عليه و سلم) في الدار الآخرة فظهر في المقام المحمود ومنه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند اللّه تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك ورسول ونبي وولي و مؤمن وحيوان ونبات وجماد فيشفع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محموداً بكل لسان وبكل كلام فله أول الشفاعة ووسطها وآخرها»[٣] وكما يذكر ذلك العلامة الطباطبائي إذ يقول «لامكان كون شفاعتهم فرعاً لشفاعته فافتتاحها بيده (صلى الله عليه

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة الرحمن، ج٢، ص٨٧

٢. لمصدر نفسه

٣. نفس المصدر؛ ابن عربي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص ٨٧ / جمع المحامد كلها لمحمد ص يوم القيامة.

وآله وسلم)»[١]

هنا يرد في أذهاننا سؤال بأي شئ نال الخاتم (صلى الله عليه واله) هذا المقام ويجيب ابن عربي حين فسر الآية القرآنية ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ فيا له من جواب بديع ويقول « قال (صلى الله عليه وسلم) لكل نبي دعوة مستجابة فأستعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي لعلمه بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء فاعلم أنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها وهو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لأن المحامد من صفة الكلام ولما كان بَعّثهُ عامة، كانت شريعته جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها ولأن الخاتم (صلى الله عليه وآله)كان ملماً بكل شعب الإيمان من أدناها إلى التوحيد فقال: والإيمان بضع وسبعون باباً أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق وأرفعه قول لا إله إلا الله قال تعالى في حق العاملين نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فلم يحجر بهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من الأعمال أعمال الإيمان لا يحجر عليه إذا شاء عمله فلما ظهر (صلى الله عليه وسلم) بجميع شعب الإيمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته فله أجر من عمل بها ولا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه (صلى الله عليه وسلم) من حيث العمل بها فيتبوأ من الجنة حيث يشاء وهذا لا يصلح إلا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه عنه ظهرت

١. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١، ص١٧٥.

السنن الإلهية فبهذا نال المقام المحمود وبجوامع الكلم وبالبعثة العامة فإنه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا وباتصافه بهذه الأحوال في الدنيا نال تلك المقامات الأخروية فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه»[١] وإن الله عز وجل سيظهر مقام النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) بعد الدنيا حيث جاء في تفسير الآية ﴿وَقَالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٢] «كما ظهر في ذلك اليوم مقام محمد (صلى الله عليه وآله) وسيادته على الناس، وأفتقار الخلق إليه من سائر الأمور في فتح باب الشفاعة، وبان فضله على سائر الأنبياء والرسل، فعلم هنالك عِظَم منزلته عند ربه، كما تظهر عزة كل مقرب عند سلطان عند ظهور سلطانه ودولته.»[٣]. نستنتج إن سبب حصول الخاتم(صلى الله عليه وآله) على هذا المقام هوإنه خبأ دعوته ليوم الشفاعة، بعثته العامة، أوتي جوامع الكلم، جامعاً لكل المحامد، بيده لواء الحمد، له علم الأسماء كلها، وواسطة الفيض، ملماً بكل شعب الإيمان من أدناها إلى التوحيد، وإفتقار الخلق إليه)

ثانياً: الإنسان الكامل ميزان الأعمال

إن وزن الأعمال يوم القيامة لايكون بتلك الأداة المتعارف عليها، لإن الأعمال البشرية لاتقاس بالخفة والثقل، لهذا لابد من ميزان عدل وحق يكون مقياساً لحسن وقبح الأعمال يوم القيامة وممكن أن يكون في الدنيا

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، ج٢، ص٨٧

٢. الحجر، ٦

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة الرحمن ج٢ ص٤٤٥-٤٤٦.

بمقارنة أعمالنا مع هذا الميزان، وممكن أن تكون تلك الأداة نفس وجود الأنبياء والأئمة (الإنسان الكامل) حيث هم الميزان والصراط فمن كان على صراطهم ربح ونجا، يقول ابن عربي في تفسير ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[1]، «فالصراط المشروع الذي كان هنا معنى ينصب في الآخرة حساً محسوساً، يقول الله لنا ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾[2] »[3] أي وأن نصبَ الصراط حساً في الآخرة فهو في الدنيا شخصاً فأتبعوه ولاتتبعوا سُبل أُخرى فتضلوا الطريق، ذلك هو الإنسان الكامل.

هذا المقام الذي يصل إليه الإنسان الكامل فيكون ميزان لدخول الجنة والنار، ميزان للحق والباطل، ميزان للإيمان والكفر، فلكونه كاملاً وصل لهذا المقام.فهم رجال الله فعلينا أن نكن منهم لنضمن السعادة في أشارة جميلة للشيخ الأكبر في تفسير الآية ﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[4] «ما تنعمَت الأبصار في أحسن من زهر الروض، وأحسن زينة على الأرض رجال الله، فأجعلهم متنزهك حتى تكون منهم»[5]، هم زينة الأرض فبهم أقتدِ حتى ترجح كفة ميزانك.

فقس نفسك بهم كل ماأبتعدت عنهم علماً وعملاً فأنت مبتعد عن

---

١. مريم، ٧١

٢. الأنعام، ١٥٣

٣. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٦٢-٦٣.

٤. الكهف، ٧

٥. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣.

الصراط المستقيم وعن الله وكلما تقربت فانت على الصراط، فلاعجب من كون أمير المؤمنين (عليه السلام) الصراط المستقيم وقسيم الجنة والنار، فكونه كاملاً حصل على هذا المقام.

يتضح لنا في نهاية المبحث أن كل المقامات والمراتب بما فيها قبل الخلق وبعده وفي الآخرة كان الإنسان الكامل جامعاً لها، وكان موجوداً في كل المراتب الحقيّة والخلقيّة، فهو الصادر الأول الذي وصل إلى مقام القرب بخلقه العظيم فحصل على هذه المنزلة، فصار أقرب إلى الحق بروحه وحقيقته، وكان مع الناس ببشريته (انما أنا بشر مثلكم) فكان جامعاً للجهتين واجداً لمراتب ومقامات النشأتين اللهم صل عليه وآله.

خلاصة الفصل الثاني

١- للإنسان الكامل ظهور في كل مرتبة من مراتب الوجود مما أدى أن يكون له في كل مرتبة مصطلح خاص يختلف حسب الاعتبارات.

٢- في مرتبة التعين الأول كان للإنسان الكامل شؤوناً ومظاهر فيها مثل النَّفَس الرحماني أو الصادر الأول، و العقل الأول والحقيقة المحمدية، والروح الأعظم.

٣- في مرتبة التعين الثاني ظهر بصورة النفس الكلية

٤- في المراتب الخلقية كان له شؤون مثل البرزخ والكلمة الفاصلة الجامعة

٥- مرتبة الكون الجامع والمظهر الأتم كانت تخص الوجود العنصري للإنسان الكامل.

٦- في مبحث الخصائص أتضح لنا إن للإنسان الكامل خصائص وجودية تكوينية تعنى بالبعد التكويني، مثل روح العالم، خليفة الله، النفس الواحدة، ظل الله، العمود المقام بين الأرض والسماء، مسجود الملائكة، مظهر اسم الله الجامع) وله خصائص معرفية مثل(العلم بالغيب وميزان المعرفة وغيرها) وله ايضاً خصائص أخلاقية ذكرنا منها التواضع والخلق العظيم)

٧- في مبحث المقامات كان للإنسان الكامل مقامات في بداية

وجوده وفي النشأة الدنيوية والنشأة الأخروية بعد الدنيا، كان له قبل الدنيا مقام واسطة الفيض والحقيقة المحمدية، أما في الدنيا كان له مقام الولاية والعبودية ومقام قاب قوسين ومقام كن، أما مقامات بعد الدنيا فقد كان فيها مقام الشفاعة وميزان الأعمال.

الفصل الثالث

الرؤية العرفانيّة للإنسان الكامل عند ملا صدرا

- المبحث الأول: تعريف الإنسان الكامل عند ملاصدرا
- المبحث الثاني: خصائص الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا
- المبحث الثالث: مقامات الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا

المقدمة

في هذا الفصل سنتطرق إلى بحث الإنسان الكامل عند ملا صدرا رحمه الله تعالى: وسيكون الفصل عبارة عن ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: تعاريف الإنسان الكامل عند ملاصدرا: ويشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوره في مرتبة التعين الأول.

المطلب الثاني: تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوره في مرابة التعين الثاني.

المطلب الثالث: تعريف الإنسان حسب ظهوره في مرتبة الكون الجامع والمظهر الأتم.

المبحث الثاني: خصائص الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص الإنسان الكامل التكوينية.

المطلب الثاني: خصائص الإنسان الكامل المعرفية.

المطلب الثالث: خصائص الإنسان الكامل الأخلاقية.

المبحث الثالث: مقامات الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا.

المطلب الأول: مقامات الإنسان الكامل قبل الدنيا.

المطلب الثاني: مقامات الإنسان الكامل في الدنيا.

المطلب الثالث: مقامات الإنسان الكامل بعد الدنيا.

المبحث الأول:

تعريف الإنسان الكامل عند ملاصدرا

المطلب الأول- تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراته في مرتبة التعين الأول

للإنسان الكامل في كل مقام لسان وظهور كونه جامعاً للصفات الحقية والخلقية بهذه التسمية:-

أولاً- النّفَس الرحماني

«هو أول فيض وجودي ينبعث من ذاته تعالى ويقال له (الحق المخلوق به)، وهو وجود خاص منبسط على ماهيات الأشياء، لاتكون فيه جهة قوة واستعداد، بل به فعلية الموجودات وإنّيتها وهويتها. إلا إنه ذو شؤون ومراتب متفاضلة ودرجات متفاوته بعضها فوق بعض كما أشير إليه في قوله تعالى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُوالْعَرْشِ﴾ »[1]. يُشَبه ملاصدرا النَّفَس الرحماني بالنفس الإنساني ويقول بإنه هيولا الممكنات أي المادة التي تكونت بها الممكنات أي منه تكون كل شئ، وقال عنه أول فيض وجودي ينبعث من الذات ولم يقل أول الصوادر لإنه يعتقد بأن الصادر الأول هو

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ١٩١.

العقل الأول. وبما إنه الحق المخلوق به إذاً هو المخلوق بسببه العالم كونه مادة للممكنات. وهو شأن من شؤون الإنسان الكامل.قال في تفسير « ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ فالكلمات إشارة إلى ذوات نورية يصل بها فيض الوجود إلى الأجسام والجسمانيات، والبحر أشارة إلى هيولى الأجسام التي شأنها القبول والتجدد، وإنما يقع تجدد الفيض بحسب انفعالاتها واستعداداتها، وإنما يتلاحق استعداداتها بمدد من مدد العوالي، فشأن المواد النفاد والانقطاع وشأن الكلمات الإفاضة بعد الإفاضة». [1]

ثانياً- الوجود المنبسط المطلق

فهو «حقيقة منبسطة على هياكل الممكنات وألواح الماهيات لاينضبط بوصف خاص، ولاينحصر في حدٍ معين من القدم والحدوث، والتقدم والتأخر، والكمال والنقص، والعلية والمعلولية، والجوهرية والعرضية، والتجرد والتجسم بل هو بحسب ذاته بلا أنضمام شئ آخر، يكون متعيناً بجميع التعينات الوجودية والتحملات الخارجية، بل الحقائق الخارجية تنبعث من مراتب ذاته وأنحاء تعيناته وتطوراته، وهو أصل العالم، وفلك الحياة، وعرش الرحمن، والحق المخلوق به في عرف الصوفية، وحقيقة الحقائق، وهو يتعدد في عين وحدته بتعدد الموجودات المتحدة بالماهيات، فيكون مع القديم قديماً، ومع الحادث حادثاً، ومع المعقول

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص١٢٥-٢٢٦

معقولاً، ومع المحسوس محسوساً، وبهذا الاعتبار يتوهم أنه كلي وهو ليس كذلك»[١]. وهذه أروع منتوج من العقل الفلسفي لملاصدرا، وأيضاً عَرَف الوجود المنبسط بتسميات منها (الحق المخلوق به) فقد قال عنه «هوعلى الحقيقة الحق المخلوق به، أي المخلوق بسببه العالم، وذلك لأنّه الغايةُ المطلوبة بالإيجاد المتقدّم عليها ولولاه ماظهر ماتقدَّم عليه»[٢] من هنا يتبيَّن ملاصدرا يخص بهذا التعريف الإنسان الكامل إذ إنه كما قال ابن عربي يجمع الأضداد. ويقصد ملا صدرا من الوجود المنبسط هو ذات المبدأ الأول أي الصادر الأول الذي قامت به الممكنات الوجودية، فالوجود يعبَّر عن حقيقة واحدة تتحد بها جميع الماهيات بفعل إنبساطه عليها، وهو ظاهر بذاته مظهر للماهيات وله كثير من الأسماء لكثرة أعتباراته، وتبعاً لمنطق السنخية فهو صورة الحق.يقول صدرا «حيث يكون هذا الوجود فعل الحق الساري والمنبسط على كل شئ، فلايتصف بالحدوث ولا بالقدم ولا بالنقص ولا بالكمال باعتباره يشمل كل ذلك، وإنه هو الذي يطلق عليه اسم(الحق المخلوق به)، إذ بسببه وجد العالم، ولولاه ماظهر شئ قط، وهو ذاته الذي يطلق عليه الإنسان الكامل»[٣].

---

١. الشيرازي محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج٢، ص-٣٣١-٣٢٨؛ الشيرازي، محمد بن إبراهيم، إيقاظ النائمين ، ص٦.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٩٠.

٣. نفس المصدر، طبعة دار التعارف، ج٢، ص١٢١

ثالثاً- الحقيقة المحمدية

الإنسان الكامل هو «الحقيقة المحمدية التي ظهرت مرتين، مرة في الإدبار إلى الخلق لتكميل الخلائق ومرة في الإقبال إلى الحق تعالى، لشفاعتهم، لقوله (صلى الله عليه وآله) :(أول ماخلق الله نوري)وقوله:(اول ماخلق الله العقل)، قال له أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، قال: فبعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً أعظم منك، بك أعطي بك آخذ، وبك أثيب وبك أعاقب»[1]، ويقصد من الإدبار الصادر الأول. في هذا المقام يكون ظهور الإنسان الكامل على إنه الحقيقة المحمدية إذ يبيَّن إنها ظهرت مرتين مرة في مقام التعين الأول لتكميل الخلائق ومنها خلق الله كل شئ، ومرة ظهرت في الحشر حيث مقام الشفاعة الكبرى.لكن نجد هنا إن ملاصدرا يطلق عليها العقل الأول حيث يعدها أول الصوادر، فكما قال الحديث أول ماخلق الله نوري كذلك أول ماخلق الله العقل، لذلك قال ظهرت في الإقبال والإدبار على أثر الحديث.

رابعاً- كلمة فاصلة جامعة

الإنسان الكامل هو الكلمة الجامعة الفاصلة أما كونه كلمة فاصلة فلتميزه بين المراتب الموجبة للتكثر والتعدد في الحقائق، وأما كونه جامعاً فلاحاطة حقيقته بالحقائق الإلهية والكونية كلها علماً وعيناً، فقال الإنسان

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٩٨-٣٩٩.

الكامل هو «الإنسان الحادث الأزلي والنشئ الدائم الأبدي»[١] كان للملاصدرا شرح لهذ التعريف حيث قال في شرحها «العلة الغائية متقدم بحسب الوجود العقلي على ماهي علة له، ومتأخر عن وجوده بحسب الخارج»[٢] وقد ثبت عند الحكماء إن العقول الفعالة لها جهة الفاعلية للأشياء الكائنة ولها جهة الغائية، فإذا كان روح النبي (صلى الله عليه وآله) - أي الحقيقة المحمدية- متحداً مع العقل الأول فيلزم أن يكون ازلياً وأبدياً في حقيقته، حادثاً من حيث بشريته.أما أزليته: فابأعتبار مبدئيته للأشياء بحسب صورتها العلمية الثابته في علم الله، وأما أبديته: فلكونها الثمرة القصوى لوجود الخلائق.

خامساً- العقل الأول

«فأول العوالم عالم العقل فأول باب أنفتح منه ما هو في غاية العظمة و الجلال و الإشراق لا يمكن في الممكنات أشرف منه و أعظم بل لا إمكان له في نفس الأمر لأنه احتجبت ظلمة إمكانه تحت سطوح النور الأول و اختفى ظل ماهيته تحت ضياء الكبرياء و هو أول الصوادر و ثاني المصادر كأنه شمس عالم العقول من حيث إن أنوار العقول و أضواء النفوس شُعَلٌ من نوره و قطرات من بحره و هو خليفة الله و مثاله في عالم العقل و هذه الشمس الحسي مثاله في عالم الحس لقوله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ

---

١. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٨.

٢. المصدر تفسه.

الأعْلى فِي السَّماواتِ﴾.[١] ولقوله ع: لو كان وجه الشمس ظاهراً لكانت تعبد من دون الله، ويسمى عقل الكل و العنصر الأول عند الفلاسفة وفي لغة الفهلوية بهمن و الحكماء المحققون متى أصدروا القول بلفظ العالم يعنون به هو لا غير سيما عالم العقل، إذ الكل لما كان منه فكان كله هو و هو كله و إذ كان هذا حقاً في واحد من الممكنات مع أن هويته بغيره فما ظنك بهوية قيومية ديمومية أحدية»[٢] أطلق ملا صدرا على الإنسان الكامل بالعقل الأول أو الصادر الأول بحسب أعتقاد الفلاسفة أنه لابد أولاً من صدور الواحد عن الواحد، وإن الكثرة تأتي فيما بعد، تعويلاً على منطق السنخية، إذ لا بد أن يكون الصدور متفقاً في العدد والكيفية بين الأصل وفرعه، أو العلة والمعلول، فاذا كان الأصل واحداً فان ما ينتج عنه لا بد أن يكون واحداً هو الآخر. وكذا من حيث الكيفية، فلما كان المبدأ الأول هو محض عقل فلا بد أن يكون الصادر عنه عقلاً ايضاً، ومن هذا الأخير تتوالى العقول والمفارقات المجردة، وهي على بساطتها رغم انها لا تخلو من كثرة. وحيث إن بعضها يكون علة للبعض الآخر، لذا تكون العلة أبسط من المعلول، أو أن الكثرة فيها أقل منه. إن الواحد لايصدر منه إلا واحد لأن الواجب تعالى بسيطاً من جميع الجهات فلايصدر منه الكثير، وهذا الواحد الصادر منه حسب قانون العلة والمعلول من سنخه أي ليس عددياً بل أيضاً واحداً لكن وحدته ظلية (اول ماخلق الله نوري)[٣] يعتقد ملاصدرا بأن العقل الأول هو

---

١. الروم، ٢٧

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٤٥١.

٣. أنظر: المصدر نفسه.

أول الصوادر، «فلهذا أطلقوا حقا أن ليس في الوجود إلا الله لأن كل شيء هالك إلا وجهه و هو إمام الموجودات في قوله ﴿وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ [١] وهو أم الكتاب في قوله ﴿وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾ [٢] في قوله ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٣] وهو الحقيقة المحمدية لإشتماله على جميع المحامد التي يحمد بها الحق تعالى كما في قوله ص: فأحمده بمحامد لا أعرفها الآن و ذلك لأن ظهورها عليه و تحققها به موقوف على قيام الساعة فما دام (ص) من عالم البشرية لم يتحقق بها كما هو حقه و لذلك قال: أول ماخلق الله نوري وإياه عني بقوله أول ما خلق الله العقل و بقوله (أول ما خلق الله جوهره فنظر إليها بعين الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء)» [٤]

سادساً- آدم الأول

عند ملاصدرا يطلق على هذه المرتبة بالآدمية الأولى، أو بالمحمدية البيضاء وله عدة تعاريف منها:

١- الإنسان الكامل هو «آدم الأول فالآدمية الأولى المعبر عنها بالمحمدية البيضاء عندنا هى المادة التى قيل: قال تعالى بالنظر إليها: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً﴾ [٥]، أي ناشية من ناحيتكم طريقة كل طائفة

---

١. يس، ١٢

٢. الرعد،٣٩

٣. الزحرف، ٤

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٤٥١.

٥. المائدة، ٤٨

منكم، و منها جاء الكل، أي و من أصل تلك المادة العنصرية الأصلية جاءت كل شريعة و طريقة أختصاصية لطائفة طائفة فالأصل واحدة، و لكن لما أختلفت الأمزجة سيما في صورة أختلاف الأوقات و الأزمنة، صارت وجاءت الشرائع مختلفة في الأمم المختلفة، بل وفي الأمة الواحدة من جهة أختلاف الأمزجة، كل له مقام معلوم و الحضرة الختمية، أي الكل في الكل، وهذا هو معرفة حقها بالنورانية نبوة و ولاية، فأفهم واستقم كما أمرت»[1]. أي أن الشريعة واحدة كونها من أصل واحد ولكن أختلاف الأزمنة و الأمزجة أدى إلى أختلاف الحاجات من ثم أختلفت الشرائع نسبة إلى الزمكان.

٢- «وهوالحقيقة الآدمية الأولى، والمحمدية البيضاء، التي قامت بخلافة اللّه في السموات العلى، و الأرضين السفلى، هو المنزل النازل، والحافظ للذكر، و هو بعينه المحفوظ الباقي عن عالمنا هذا إلى يوم القيامة، فمما تلونا عليك يا طالب الحقيقة و صاحب البصيرة، استنبط كون علمه تعالى حافظاً في مقام منه و حفظاً في مقام، و محفوظاً في مقام آخر منه، و لاحفيظ سوى اللّه تعالى، ولو تفهمت حق تفهم، و تحققت حق تحقق يا أخي بما أشرنا في هذه الرقيمة، لنطقت بأسرار عجيبة وسرائر غريبة عز أظهارها على أخوان الصفا»[2]. وفي شرح فصوص الحكم هذه عبارة أخوان الصفا، وقد قصد هنا آدم الأول هي الولاية.

---

١. المصدرنفسه، ص٦٩٩.

٢. نفس المصدر، ص٧٠٦.

٣- الإنسان الكامل «هو الجوهر العقلى و الروح الإلهي، المسمى بروح القدس الأعلى، و هو خزينة خزائن علمه تعالى، و هو ربّ النوع الإنساني المسمى بالروح المحمدي الذي هو آدم الحق الحقيقي، و فى كل آدمي بل فى كل ابن آدم رأس من رءوسه، يسمى بالقلب المعنوى، و بالناطقة اللاهوتية، و ذلك الرأس متصل بذلك النور الإلهى الّذي أشرقت به السموات و الأرضون، و الروح المحمدى الذي هو خليفة الله تعالى فى تمام خليقته و هو إمام ائمة الأسماء، و لا أعظم منه فى أعاظم الأسماء، أتصل شعاع الشمس بها، و لكنه من جهة أشتغاله بعالم الصورة، من جهة ألفه بهذا العالم الصورى فى بداية الفطرة، صار هذا الاشتغال شاغلاً له عن شهود باطنه الذي هو موطن أبيه المقدس، فلا بد له من المجاهدة و الرياضة الرافعة عن وجهه حجاب هذا الاشتغال تدريجاً، إلى أن ينتهى الأمر إلى إنسلاخه عن جلباب العالم الصورى الحاجب عن مشاهدة العالم المعنوى»[1]. كما هو مشار له في الآية القرآنية ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ، باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ..**﴾[2]

سابعاً- الروح الأعظم

«هو الروح الأعظم ـ من حيث هو جامع لجميع مافي العالم الكبير، لكون مبدأ الكل وصورة الكل وغاية الكل وبذور العقول والنفوس، وثمرة

---

١. نفس المصدر.

٢. الحديد، ١٣.

شجرة الأفلاك وما فيها من أنوار المعقول والمحسوس»[١]، يجمع الروح الأعظم العقول والنفوس واللوح والمحفوظ والعرش والقلم فهو جامع لكل الاعتبارات والحيثيات، من حيث هو الروح الإنساني الذي يكون هؤلاء مظاهر من مظاهره، في تفسير ملاصدرا للآية ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[٢] «المراد بالمؤمنين هم العارفون الذين صارت نفوسهم عقولاً بالفعل، والعقل بالفعل هو الموجود الحقيقي...والنبي بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية...وعلة الشئ أولى بنفس ذلك الشئ من نفسه، فلو لم يكن روح النبي (ص) علة لوجوداتهم الحقيقة لم يكن أولى بهم من أنفسهم، فهو الأب الحقيقي، لذلك كانت أزواجه أمهاتهم مراعاتاً لجانب الحقيقة»[٣]. فالمقصود إن محمداً (صلى الله عليه وآله) هو الروح الأعظم وهو الأب الروحاني و أزواجه أمهاتهم والمؤمنون هم العرفاء.

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٩٨

٢. الأحزاب، ٦.

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص١٣٥.

المطلب الثاني - تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراته في مرتبة التعين الثاني

وقد تم توضيحه في الفصل الثاني

أولاً- النفس الكلية

ويعرفها ملاصدرا تعريفان

١- «الكلية الإلهية المسماة بذات اللّه العليا و شجرة طوبى و سدرة المنتهى و بجنة المأوى، و هى منزلة العلوية العليا التى هى خليفة المحمدية البيضاء الذي هو عقل الكل المسمى بروح القدس الأعلى، كما ينبغى أن يسمى نفس الكل بروح القدس الأدنى، ومنزلة المحمدية البيضاء من العلوية العليا منزلة آدم من حواء، كما أشار إليه (صلى اللّه عليه و آله) بقوله المشهور: (أنا و أنت يا على أبوا هذه الأمة)، يعنى الخليفة كلها، فأين التعلم من الأستاذ البشري بما هو بشري، و أنا من الأستاذ الإلهى القائم مقام الآله جل و علا، و هو ربّ النوع الإنساني، أى الإنسان المحمدى الّذي هو خليفة الحق الحقيقى الغنى المطلق، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾[1] و ﴿الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[2]، و قال ﴿والسَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ﴾[3]، و السماء هى المحمدية و الميزان هو العلوية، و

---

١. البقرة، ٣١.

٢. الرحمن، ١-٢-٣-٤

٣. الرحمن، ٧

قال: ليس كمثله شيء، فافهم فهم نور»[١]. من الواضح في هذا التعريف إن ملاصدرا كان يقصد بالنفس الكلية مرتبة العلوية العلياء الذي هو خليفة المحمدية البيضاء وكان يقصد أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطلق عليه روح القدس الأدنى قبال روح القدس الأعلى الذي يقصد بها مقام الحقيقة المحمدية والروح الكلي.فحصل بين الروح الكلي والنفس الكلي نكاح فكانوا أبوا هذه الأمة. وإن هذا النكاح نكاح معنوي إلهي روحاني كما إن كل مؤثر في العالم يسمى أب وكل موضع تأثير يسمى أم، والجدير بالذكر إن رتبة الآباء أعلى من رتبة الأم، لأنه مؤثر وهي موضع التأثر «أول النكاح هو القصد أو الأمر، وأول هذا الوجود هو عين الأشياء الممكنة»[٢] كما إن علياً (عليه السلام) نفس محمد (صلى الله عليه وآله).

٢- هي الماء الذي جعل الله منه كل شئ حي - «فأول باب أنفتح من بحر الجبروت إلى هذا العالم هو الذي يسمى نفس الكل و الروح الأمين واللوح المحفوظ و الكتاب المبين و هو الماء الذي كان عليه عرش الرحمن و هو الماء المذكور في قوله ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾[٣] إذ هي عين ماء الحياة الفوارة الجارية في عالم الأجسام السارية إلى سواقي الأجرام و هو المذكور في قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ إذ كل

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٧١٦.

٢. الأردبيلي، حسين بن شرف، شرح كلشن راز، ص٢٣١؛ محي الدين، ابن عربي الفتوحات، ج٢، .٤٧٨-٣٠٩. انظر: معصومة، روح الله، الفكرالفلسفي والعرفاني عندالشيخ محمود الشبستري، ص٢٢٤.

٣. الأنبياء، ٣٠.

النفوس منه استعدادها لقبول الكمالات لا ذواتها و حقائقها و من مواهب كمالاتها فيض الإلهام كما أن فيض الوحي من عطايا عقل الكل لأن الوحي أشرف و أشرق من الإلهام و إن إشتركا في الإعلام الباطني و كذا المنامات الصادقة من فيضها و هو الماء المذكور في قوله تعالى ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾ »[1]. عرف ملاصدرا النفس الكلية بالماء الذي خلق الله منه كل شئ كما خلقكم من نفس واحدة وكما (اول ماخلق الله نوري ومنه خلق كل شئ) فهو كالعين التي تنبع منها عيون الماء فهي كالصادر الأول، و بالأمتزاج مع العقل الأول صارت مبدأ الأشياء .

المطلب الثالث: تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراتهُ في مرتبة التعينات الخلقيّة

أولاً- البرزخ

الإنسان الكامل هو «جامع النشأتين و البرزخ المتوسط بين الجانبين، أما كونه جامعاً لهما لأن له منزلة في المبدأ، لقوله (ص): كنت نبياً و آدم بين الماء والطين، و قد قيل لكل شيء جوهر و جوهر الخلق محمد (ص) و له مرتبة في المعاد إذ هو شفيع يوم الحشر، لقوله(أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وصاحب لواء الحمد يومئذ لقوله:(وأحمده بمحامد لا أذكرها الآن) وصاحب المقام المحمود ليبعثك ربك مقاماً محموداً، وأما كونه متوسطاً فلأن قبلة موسى ع إلى الغرب من وسط العالم و قبلة عيسى ع إلى الشرق منه و قبلة نبينا ص ما بينهما على خط الاستواء وهو مع

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٤٥٣.

ذلك مبرأ منهما لقوله ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلاغَرْبِيَّةٍ﴾[١] إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[٢] يفسر الملا صدرا هنا معنى البرزخ وكيف هو جمع نشأت المبدأ والمعاد فمن حيث المبدأ هو الصادر الأول ومن حيث المعاد هو الشفيع، أما المتوسط بين الجانبين فكان كالزيتونة لاشرقيةً على قبلة عيسى، ولاغربية على قبلة موسى.

ثانياً- الكتاب

١. «كتاب جامع لآيات ربه القدوس، وسجل مطوي فيه حقائق العقول والنفوس، وكلمة كاملة مملوة من فنون العلم والشجون، ونسخة مكتوبة من مثال (كن فيكون) بل أمر وارد من (الكاف والنون) لكونه مظهر اسم الله الأعظم لجميع الأسماء»[٣]. هذا الكتاب أعطاه ملاصدرا حيثيات حسب قواه فمن حيث روحه وعقله قلم مقدس(ام الكتاب)، ومن حيث قلبه الحقيقي أي نفسه الناطقه(كتاب اللوح المحفوظ)، ومن حيث نفسه الحيوانية الممثلة صور المثالية(كتاب المحو والإثبات)، ومن حيث طبعه الجسماني (دفتر جسماني)أو(سجل هيولاني)[٤]، لأن هذا الإنسان الكامل قد أجتمعت فيه قوى العالم ليكون كالمختصر من الكتاب والموجز منه، لأن المختصر هو الذي قل لفظه واستوفى معناه، وهكذا هو حال الإنسان في

---

١. النور، ٣٥

٢. المصدرنفسه، ٦٢٧-٦٢٨.

٣. الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٩٦ - ٣٩٧.

٤. انظر: نفس المصدر.

مقابل العالم- يقول ملاصدرا: «قد جمع الله فيه قوى العالم وأوجده بعد وجود الأشياء التي جمعت فيه، قال تعالى تنبيهاً لذلك ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسانِ مِنْ طِينٍ﴾ »[1].

٢. «الإنسان الكامل هو الكتاب الجامع لجميع آيات الحكمة المشتمل على حقائق الكون كله قديمه وحديثه»[2].

المطلب الرابع: تعريف الإنسان الكامل بأنه الكون الجامع والمظهر الأتم

هنا سنذكر تعاريف الإنسان الكامل بالنشأة العنصرية التي مرت بكل النشآت وكانت جامعة لها.

أولاً- الكون الجامع

١- «هو نور جمعي وجامع إلهي من حيث هو كلمة جامعة وأنموذج مشتمل على مافي الكتب الإلهية، التي كلها أنوار مكتوبة بيد الرحمن، منقوشة في صحائف الأكوان، مستورة عن أعين العميان.»[3] كونه الجامع لجميع العوالم الإلهية و الكونية الكلية و الجزئية و هو كتاب جامع للكتب الإلهية و الكونية، فهو كلمة جامعة تجمع المراتب الحقية والخلقيّة، ولأحاطته بالحقائق الإلهية والكونية علماً وعيناً.

---

١. السجدة: ٧؛ -الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات ص ١٣٤

٢. الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص١٨٨.

٣. نفس المصدر، ج ٤، ص٣٩٨.

٢- هو «الجامع لجوامع المشارق والمغارب كلها، هي مرتبة الحضرة المحمدية الختمية البيضاء والعلوية العلياء وسائر المراتب الآلية الفاطمية إلى المهدوية، وأشار إلى تلك الجامعة الكبرى(أوتيت جوامع الكلم)»[١] نلاحظ هنا في مرتبة الكون الجامع قد جمع في هذا التعريف مقامات الخاتم (صلى الله عليه وآله)ومقام أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والإمام الحجة وسائر مراتب آل محمد (عليهم الصلاة والسلام).

٣- الإنسان الكامل «جامع بجميع مافي العالم الكبير من الجواهر والأعراض والسماء والأرض والنجوم، والملك والجن والحيوان والجنة والنار والكتاب والصراط والميزان وغيرها»[٢]. بعد أن جمع الله تعالى كل مكوناته ومبدعاته وجميع ما وجد في العالم من بسائط ومركبات وجواهر وأعراض وأرواح، كان هو العالم في مراتبه جميعها، فالإنسان إذاً هو العالم الصغير المطابق للعالم الكبير في مراتبه وحقائقه، ففي العالم الكبير نجد العناصر المعدنية والطبيعية والحيوانية، والإنسان أيضاً فيه أشياء كل العناصر من برودة وحرارة، وأشار تعالى إلى ذلك بقوله ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾[٣] أي مختلطة من قوى أمور مختلفة، كما أن فيه شيئاً من المعادن والجبال من جهة عظامه وأعضائه، والنبات من جهة غذائه ونموه، والبهيمة من جهة الغضب التألم والحس وكذلك كالسباع والشيطان من

---

١. الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص٤٩٣

٢. المصدرنفسه، ج٤، ص٤٠٩.

٣. الإنسان، ٢.

حيث الغواية وكالملائكة من حيث معرفة الله وتسبيحه وتقديسه، وكاللوح المحفوظ من حيث قوة حفظه لمدركات الأشياء.[١]

٤- الإنسان الكامل «هو جامع الجوامع- هو الكامل المبعوث على الكل في الكل، أى كل عالم من العوالم، فلكل لسان من الألسنة، و ذلك هو الختم الذي فرقانه قرآنه، و قرآنه فرقانه و أما سائر الأنبياء فهم فرقاني غير قرآني»[٢]. إذ إن الإنسان الكامل جمع كل العوالم والمراتب فكان مبعوثاً إلى كل عالم وكان بكل مظهر لسان، وهو الذي جاء بالقرآن الذي هو الفرقان لكونه كان مظهراً جامعاً لأسماء الله وصفاته ولأسمه الأعظم فأستحق القرآن.نستنتج من مجموع هذه التعاريف بإن الكون الجامع عند ملا صدرا صار كوناً جامعاً لإنه :

١- جامع لجميع مافي الكتب الإلهية من حيث هو كلمة فهو نور جمعي وجامع إلهي.

٢- جامع لجميع المراتب المحمدية والعلوية والفاطمية ولآليه إلى المهدوية.

٣- جامع لجميع ما في العالم الكبير من جواهر وأعراض والأعراض والسماء والأرض والنجوم، والملك والجن والحيوان والجنة والنار والكتاب والصراط والميزان وغيرها وجميع ما وجد في العالم كان هو العالم في

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص١٣٥

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٦٩٨.

جميع مراتبه، فالإنسان إذاً هو العالم الصغير المطابق للعالم الكبير في مراتبه وحقائقه، ففي العالم الكبير نجد العناصر المعدنية والطبيعية والحيوانية، والإنسان أيضاً فيه أشياء كل العناصر من برودة وحرارة.

٤- لأنه مبعوث لكل العوالم ولكل لسان من الألسنة.

ثانياً. المظهر الأتم

١- «الإنسان الكامل هو مثال لله تعالى ذاتًا وصفةً وفعلاً، فعالمه مظاهياً للعالم الرباني، ووصفه بنظائر جميع ماوصف به ذاته الإلهية، من النعوت الجمالية والجلالية، والأفعال والآثار، والعوالم والنشآت والخلائق والقلم واللوح، والقضاء والقدر، والجنة والنار، بل ولا يمكن معرفة الله سبحانه إلامن خلال معرفة الإنسان الكامل فهو باب الله الأعظم والعروة الوثقى، والحبل المتين الذي به يرتقي إلى العالم الأعلى وهو الصراط المستقيم إلى الله العليم الحكيم فهو الكتاب الذي فيه السر المخزون»[1]. في هذا المعنى نستدل على وجوب معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) ومعرفة الإمام(من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية)[2] ففي الإنسان الكامل كل الحكمة من باب (من عرف نفسه عرف ربه). أي لايمكن معرفة الله إلا من خلال معرفة الإنسان الكامل، فمن حيث هو مثال للحق ذاتاً ففي أصل ذات

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص ٤٠٠.

٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ج١، ص٣٧٦؛ نور الدين، الهيثمي، مجمع الزوائدج٦، ص٢٢٤.

هـذا الإنسان الكامل بما هو هو وجود، قائم بنفسه، مجرد عن الزمان والمكان مقدس عن الحلول والإشارة الحسية والانقسام، نور من أنوار الله المعنوية، وسر من أسراره العقلية، ووجه من وجوه قدرته، وآية من آياته، وكلمة من كلماته، فهذه الصفات الذاتية الإلهية ظهرت في عبد من عباده...أما من حيث ماهو مثال الحق صفةً فأنه قادر ومريد، سميع بصير حي متكلم، أما بحسب أفعاله فأفعاله كأفعال البارئ جل وعلا فيها مايدخل في الزمان والمكان والمواد والحركات[1].

ثالثاً- عبد الله

الإنسان الكامل «هوالذي يعرف الحق بجميع المشاهد والمشاعر ويعبده بجميع المواطن والمظاهر فهو (عبد الله)يعبده في جميع أسمائه وصفاته ولهذا سمي بهذا الاسم أكمل أفراد الإنسان محمد (صلى الله عليه وآله) فإن الاسم الإلهي كما هو جامع لجميع الأسماء وهي تتحد بأحديته الجمعية كذلك طريقهُ جامع للأسماء كلها، وإن كان كل واحد مختصاً باسم يربّ مظهره ويعبد ذلك المظهر من ذلك الوجه ويسلك سبيله المستقيم الخاص به وليس الطريق الجامع لطرق سائر المظاهر إلا ماسلكه المظهر الجامع النبوي الختمي- على الشارع فيه وآله أفضل صلوات الله وتسليماته- وسلكه خواص أمته الذين هم خير الأمم وهو طريق التوحيد

---

١. أنظر: الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، انظر: ج٤ ص٤٠٢.

الذي عليه جميع الأنبياء والأولياء (سلام الله عليهم أجمعين)»[١]

رابعاً- الوجيز

«الإنسان الكامل هونسخة مختصرة جامعة لجميع العوالم الكونية والعقلية وما بينهما من عرفها فقد عرف الكل و من جهلها فقد جهل الكل

ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

من كل شيء لبه و لطيفه مستودع في هذه المجموعة»[٢]

اي هو العالم الصغير، إن الملاصدرا يعرف الإنسان الكامل بأنه الوجيز اي مختصر لما في العالم اي كما ان العالم يحوي (عالم العقل والمثال والحس) كذلك الإنسان الكامل صار العالم الصغير الذي يجمع في داخله (العقل والحس والخيال)، وقد وضح ذلك في أبياته الشعرية، إذ إن من عرف هذا الإنسان الكامل عرف كل العالم، ومن جهله فقد جهل الكل، حيث هو كتاب أختصر الآف الكتب، من لم يقرأ ذلك الكتاب المختصر لايفهم من الكتاب الكبير شيئاً.

خلاصة المبحث: إن الإنسان الكامل كانت له عدة تعاريف حسب ظهوراته في المراتب الوجودية، وإن كل مرتبة كانت شأن من شؤون الإنسان الكامل، إذ كان لابد من التعرف على الإنسان الكامل بكل مراتبه وظهوراته.

---

١. المصدر نفسه، ج١، ص٤١.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص: ٤٩٨.

المبحث الثاني:

خصائص الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا

المطلب الأول: الخصائص التكوينية الوجودية

وهي الخصائص المعنوية الروحية، للإنسان الكامل ذكرها ملاصدرا في تفسيره وباقي مصنفاته منها:

أولاً- الإنسان الكامل روح العالم والعلة الغائية لوجوده

بما أن المعلول لايوجد دون علة، كذلك هذا الكون بأرضه وسمائه وأفلاكه وعناصره وثماره لايوجد إلابعلة غائية فعلته هي الإنسان الكامل لأنه سبب وجود العالم وعلة بقائه. ففي تفسيرالآية ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ﴾[1] قال ملاصدرا «الإنسان الكامل هوعلى الحقيقة الحق المخلوق به، أي المخلوق بسببه العالم، وذلك لأن الغاية المطلوبة بالإيجاد المتقدم عليها ولولاه ماظهر ماتقدم عليه»[2] وقال أيضاً في كتاب أسرار الآيات «أعلم إن العالم مشتمل على الخلق والأمر، والخلق كله هو قالب

١. البقرة، ٣٧.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٩٠.

العالم والأمر كله هو لروح العالم ثم قوام الخلق بالأمر، كما أن قوام القالب بالقلب، فالتعانق بين الأمر والخلق هو حياة الإنسان الكبير والعالم، كما أن التعانق بين الروح والجسد هو حياة الإنسان الصغير وكذا التفارق بينهما موت العالم الكبير والقيامة الكبرى.. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [١] فإذا وقعت الواقعة وقامت القيامة، ورجع الأمر إلى الأمر، إليه يرجع الأمر كله، إليه ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ ،[٢] ويعود الخَلق إلى الخَلق ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ »[٣]. فكان سبب وجود العالم هو الإنسان الكامل «إن وجوده سبب لوجودها، وبقاؤه سبب لبقائها ولايقوم المسبب بدون سببه كما هو قاعدة العلة والمعلول»[٤] إن كل مايوجد في العالم وسلسلة الأكوان، قد خلقها الله تعالى لأجل الإنسان وسخرها له، فكان هو العلة الغائية لوجودها وهذا مايراه ملاصدرا بإن الآيات ترشد إليه، فنجده يقول «في باب المعادن والجماد: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [٥] وقال في باب النبات: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [٦].، وفي باب الحيوان ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا

---

١. الملك، ٢

٢. الشورى، ٥٣.

٣. الشيرازي محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص ١٧٠.طه،٥٥

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٢، ص٤٨٨.

٥. النحل، ١٣

٦. إبراهيم، ٣٢.

دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١].

ثم اشار إلى تسخير كل شئ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٢]. فظهر من ذلك إن الإنسان الكامل هو المقصود والغاية، غاية جميع الأكوان وثمرة وجود الأفلاك والأركان»[٣] باعتبار إن الإنسان الكامل تجلي الذات الإلهية والمظهر الجامع لما في الأسماء الإلهية.

ثانياً- الإنسان الكامل هو النفس الواحدة التي خُلق منها النوع الإنساني

إن الإنسان خلق من نفس واحدة و روح واحدة، وهذه النفس الواحدة والروح يشير إليها ملاصدرا بأنها هي الحقيقة المحمدية فهو (صلى الله عليه وآله) كان بهذه المرتبة الأب المحمدي وكان فائضاً عليه من جهة الوجوب (الإشراقات النورانية)، ومن جهة الإمكان (النقائض) فكانت هذه الازدواجات من كمال ونقص ونور وظلمة تكثرت الأكوان حيث قال في تفسير الآية ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤] جاء في معنى قطع الميثاق ونقض العهد «إن تلك الحقيقة الإنسانية الموجودة قبل هذه الأكوان الترابية في عالم الحضرة الربوبية كانت ذات جهات وحيثيات عقلية تضاعفت عليها من تضاعيف الإشراقات النورية

---

١. النحل، ٥-٦

٢. الجاثية، ١٣

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٢٤٥

٤. البقرة، ٢٧

الواجبية، وتضاعيف النقائض الإمكانية، وكثرة الازدواجات الحاصلة بين جهات النور والظلمة والوجوب والإمكان، والكمال والنقصان، فهذه الجهات العقلية هي أسباب كثرة الأكوان لأفراد الإنسان، وهي المعبر عنها بالذرات المستخرجة حسب الفطرة، فإنه استخرج الله من ظهر آدم ذرات بنية، وأستخرج أيضاً من ظهورهم ذرياتهم المودعة فيها إلى يوم القيامة»[١] فكان يقصد من ظهر آدم آدم الحق الملكوتي والأب المحمدي وليس آدم الملك أبو البشر، وهنا واضح أن ملاصدرا يقصد بإن الإنسان الكامل يجمع الأضداد. يفسر ملاصدرا إن الروح الكلية تمثل الحقية المحمدية والنفس الكلية تمثل مقام العلوية العلياء قد حصل بينهما أندماج معنوي إلهي روحي فولدوا الأرواح والنفوس كما قال الخاتم (صلى الله عليه وآله) (خلق الله الأرواح قبل الأجسام بأربعة الآف سنين)[٢]. كما قال في تفسير الآية نفسها «ولقد أنكشف لك إن لأفراد البشر قبل ورودهم إلى الدنيا هويات عقلية مستخرجة من ظهر أبيهم العقلي»[٣]

جاء في تفسير ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٤] فكانت روح النبي علة لوجودهم و المراد بالمؤمنين العارفون، والنبي هو الأب الحقيقي

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٢٤٤

٢. النسفي، عزيز الدين، كشف الحقائق، ص٢٤؛ صدر الدين، القونوي، إعجاز البيان في تفسير أم القرآن، ج١، ص٢٩٣.

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٢٤٥.

٤. الأحزاب، ٦

لهم، لذلك كانت أزواجه أمهاتهم مراعاة لتلك الحقيقة [١] في تفسير سورة الفاتحه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٢] يقول ملاصدرا، في تعليقة للعلامة النوري «إن الرحمة الرحيمية التي هي مرتبة العلوية العلياء وأمّ الكتاب، قد يعبر عنها وتفسير الماهية العينية الكلية الإلهية التي تقابلها الماهية الجهليّة السبخيّة ومنزلتها من الرحمة الرحمانية التي هي الحقيقة المحمدية البيضاء- منزلة حواء من آدم عليهما السلام: ومن هنا قال (صلى الله عليه واله) (أنا وانت ياعلي أبوا هذه الأمة) أي الأمّة المرحومة» [٣] أي خلق الكون بالرحمه فكانت الرحمة رحمتان رحمة رحمانية التي هي الحقيقة المحمدية ورحمة رحيمية التي هي المرتبة العلوية ومنهم ومن مرتبتهم ومن نورهم خلقت الأشياء فكانا أبوا لهذه الأمة المرحومة، وهذا سر تقديم الرحمن على الرحيم في (بسم الله الرحمن الرحيم)، أي كان أبتداء قراءة كل سورة من القران الكريم ببسم الله الرحمن الرحيم فبها تبتدأ الأشياء كما من محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام أبتدأ الخلق فهم أباؤنا الروحانيين.

ثالثاً- الإنسان الكامل خليفة الله في العالمين الكبير والصغير

الخليفة هو النائب عن الحق في التصرف والولاية والحفظ والرعاية، ويعرف ملاصدرا الخليفة في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، انظر: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٥.

٢. الفاتحة، ٣

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٤٦٠.

جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] وقال «الخليفة هو من يخلف غيره وينوب عنه لأجل مناسبة تامة يستحق بها للخلافة لايوجد في غيره، وإلا لكان وضع الشئ في غير موضعه»[٢]، وبما أن هذا الخليفة صار خليفة لأنه جامع للأسماء الإلهية وجامع لعالمي الوجوب والإمكان، فمن جهة جامعيته للأسماء أعطى ملاصدرا للخليفة معنى آخر وهي الأمانة التي حملها الإنسان، فبهذا نال منزلة الخلافة إذ قال «إن هذه الخلافة ومنزلتها عندي منزلة الأمانة التي ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ »[٣]، وجاء في تعليقة الشيخ النوري «كونه جامعاً للأسماء الإلهية فهي تلك الأمانة، والتي يعبر عنها في القول القرآني كلمة (كن) لذلك قالوا (نحن كلمات الله التامات ونحن اسماء الله الحسنى وأوتيت جوامع الكلم) وتلك الكلمة الجامعة لجوامع الكلمات والأمانات هي سر الخلافة في ولاية الله الحق»[٤]. وقد جاء في تفسير الآيه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تعريف آخر لملاصدرا يعطي معنى الأمانة «هو الولي المطلق في كلية خلقية، ولكن بوجه الخلافة لابوجه الأصالة فالإنسان المحمدي والعلوي مثله هو الخليفة الحق محل ولاية الله التي عبر عنها بالأمانة والأمانة لابد أن تُرد إلى صاحبها، إلى مالكها ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ

---

١. البقرة، ٣٠

٢. المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٠

٣. نفس المصدر، ص٤٠٣

٤. نفس المصدر

﴿الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ »[١]، وفي موقع آخر يؤكد ملاصدرا على أن سر الخلافة هو معرفة النفس،(اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه)[٢] وأن النفس هي التي ترفع الإنسان مقامات لأنها أصل المعارف فمتى ماكان هذا الإنسان عارفاً لنفسه وكانت قواه الملكوتية غالبة على قواه الحيوانية نال الكمال وكان أعرف بربه وايضاً كونه جامعاً لجميع المظاهر الأسمائية، كما قال ملاصدرا في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣] قال «ألاترى الأنبياء سلام الله عليهم لما قويت قواهم، وفاقت عقولهم وخمدت نار هواهم تحت نور هداهم، واشتعلت قريحتهم الوقادة بنور الهداية بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة»[٤] إذن لوقلنا بماذا استحق آدم الخلافة من ربه يجيبنا ملاصدرا في تفسير الآية نفسها إذ يقول «وتحيرت العقول في إن استحقاقية آدم للخلافة الإلهية بماذا؟ فقيل: لتحمله التكليف: وقيل لطاعته مع وجود الصوارف البدنية كالشهوة والغضب عنها. وقيل: لجامعيته بين صفات الملائكة وصفات البهائم. وأسدّ الأقوال كونه جامعاً لمظاهر الأسماء الإلهية.»[٥] بيّن ملاصدرا الفرق بين آدمان الملكي والملكوتي فقال: آدم المقصود هنا هو آدم الملك لإنه خليفة الله في أرضه ومن سكن قبله أما خليفته في العالم كله السماوي والأرضي فهو الخاتم

---

١. نفس المصدر

٢. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، ص١٨٧٨

٣. البقرة، ٣٠

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٠١.

٥. نفس المصدر، ص٣٠٠.

(ص) عند بلوغه إلى المقام المحمود وهو الإنسان الكبير[١]. وفي موضع آخر نرى ملاصدرا يعطي أسباباً آخرى جعلت هذا الإنسان خليفة هي حقيقته الباطنية والتي يشير فيها إلى الحقيقة المحمدية إذ قال «فحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم وهو الأمر الذي يستحق به الإنسان الخلافة»[٢]. وجاء في أسرار الآيات ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ «فحقيقة الباطنية هي الروح الأعظم، والنفس الكلية وزيره وترجمانه، والطبيعة عامله ورئيسه، والعملة من القوى الطبيعية جنوده، وكذلك إلى آخره»[٣]. ولإنه الجامع لجهتيّ الوجوب والإمكان نال الخلافة، فيقول «إن الخلافة الإلهية لها وجهان: وجه إلى المستخلف، و هو جامعيته لتمام صفاته العليا و أسمائه الحسنى كلها، حتى يتمكن من إمضاء أمره و نهيه تعالى فى العالم الذي هو المستخلف فيه، حسبما يقتضيه صفاته العليا و أسمائه الحسنى، فلو لم يتحقق بتمام صفات مستخلفه، و لم يتعلم بأسمائه كلها، لم يتمش منه الخلافة الإطلاقية، لا في الدنيا ولا في الآخرة، و وجه له إلى العالم الكلي الذي هو مملكة سلطان الحق الحقيقي، المحتوية على عامة رعاياه و كافة براياه من الأمراء و العساكر، و غيرهم من توابع السلطنة الكبرى، فلا بد له من الإحاطة التامة، و المعرفة العامة بأحوالها و أحوالهم، بل لا بد له من التحقق بصفاتهم و أخلاقهم، حتى

---

١. انظر: نفس المصدر، ٣٠١.

٢. نفس المصدر، ٣٠٢.

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص١٨٧.

يتحقق المجانسة و المماثلة بينه و بينهم ليتمكن من التدبير التصرف، و المصلح لأمور معاشهم و معادهم، فالجهة الأولى فعلية، و الثانى إنفعالية، و لا بد من الجمع بينهما فى الخليفة الآدمية، فهو العبد لله و الرب للعالم، فافهم»[١]

رابعاً- الإنسان الكامل مخلوق على صورة الرحمن

أنطلاقاً من النص القرآني ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يصبح الإنسان هو محور عالم الإمكان والمرآة الحقيقة التي تشير إلى جمال الحق والمظهر الأتم لأسمائه وصفاته، فحقيقة المرآة أنها لاتملك من ذاتها شيئا إنما هي عاكسة لما يقع في قبالها..كذلك أقوال الإنسان وأفعاله وتقريراته يجب أن تكون ذات أشارة لأفعال الله وأقواله فهو إنسان كامل بالقوة ومايمتلكه من مقومات بلحاظ فطرته التي جبل عليها بشرط عدم الشرك بها، إن الإنسان المتصف بصفات الله والمظهر لأسمائه فهو كالمرآة التي تعكس صورة الحق في هذا الكامل، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (ماخلق الله شئ اشبه به من آدم)[٢]. فصار الإنسان الكامل على صورة الرحمن كونه مثاله ومظهر أسمائه وصفاته، ويجد صدرا في الإنسان الكامل «مثالاً له تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً، ومعرفة هذه الفطرة

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٧٥٨

٢. السبزواري، هادي، شرح المنظومة، ج٥، ص١١٤

البديعة والنظم اللطيف، والعلم بهذه الحكمة الأنيقة والأسرار المكنونة فيها، سر عظيم من معرفة الله؛ بل لا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة الإنسان الكامل «كما في الحديث (من عرف نفسه عرف ربه)»[١] وأن هذا الإنسان المهتدي بنوره تعالى هو أشرف الخلائق في عالم الإمكان، كانت بدايته من الله ورجوعه إليه، ونفخ فيه من روحه جامعاً للمراتب الإلهية والكونية، قد أخذ من كل مرتبة صورة تناسبه بعد أن نال منها نعمة من النعم، ويشير ملاصدرا بعد ذلك للفرق بين الإنسان الذي باشر الله خلقه بيديه والنفخ بنفسه في روحه المستلزم لمعرفة الأسماء كلها وسجود الملائكة، وبين خلقه بالواسطة، وقد جاء في الحديث الشريف(ان الله خلق آدم على صورته)[٢]، وفي رواية أخرى(على صورة الرحمن). «وقال ايضاً (صلى الله عليه وآله) الإنسان أعجب موجود خلق»[٣] وهذا الإنسان صار على صورة الحق كونه كاملاً ظهرت فيه الحقائق الإلهية وهي الأسماء وجمع كل المراتب الكونية والإلهية فكان على صورة الحق لذلك قلنا كاملاً، قال «قلنا الكامل ؛ لأن اسم الإنسان قد يطلق على مثاله في الشكل والصورة الشبيه به، كما نقول في زيد أنه إنسان وعمر أنه إنسان وإن كان في أحدهما قد ظهرت الحقائق الإلهية وما ظهرت في الآخر، فالآخر على الحقيقة حيوان في شكل مرتبة

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم.ج٥، ص١٣.

٢. القونوي، صدر الدين، شرح الأربعين حديثاً، ص ١٧٠

٣. صدر الدين، القونوي، إعجاز البيان في تفسير أم القرآن، ص٢٩٢-٢٩٣.

الإنسان الكامل المتحقق بالحقائق الإلهية من المشكل بصورته من جملة الحيوان؟ ولهذا قال تعالى ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللهَ رَمى﴾ »[١]. وكما ذكرنا من تفسير ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ﴾[٢]

إن الإنسان الكامل على صورة الحق المخلوق بسببه العالم.

خامساً- الإنسان الكامل هو ظل الله: -

الظل عند ملاصدرا هو العقل الأول والحقيقة المحمدية التي تستضل بها، وإن هذا الظل قيل عنه ممدود لإستمراريته مادام الحق تعالى موجود ولأنه ممدود من عالم الحق إلى عالم الخلق إلى المقام المحمود في الحشر الأكبر «بالجملة فوجود الممكن كظل ممدود من نور الحق عليه حافظ إياه من أمتداد يد الفناء عليه واستيلاء جور الظلمة عليه و هذا الاستدلال هو المسؤول في بعض دعوات النبي (ص) الصالحة الفائحة حيث قال: اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك وذلك اليوم هو صبح وجود العقل الأول الذي لا ظل سواه و هو الحقيقة المحمدية التي يعاد و يبعث إلى مقامها المحمود بعد خروجها عن مقامه البشري و وثاقة الحسي فالعقل الأول ظله كما سماه بهذا الاسم صريحاً في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾[٣] لأن له ما سكن في الليل و النهار

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ١٩٠.

٢. البقرة، ٣٧.

٣. الفرقان، ٤٥

و هي العقول و النفوس ليلاً و نهاراً آصالاً و أسحاراً في حظيرة الجبروت و هو سلطان الله في أرض عالم الملكوت كما قال (ص): السلطان ظل الله في الأرض»[١] وقال «وذلك هو الظل الإحاطى المعبر عنه بالإحاطة الوجودية التى يشير إليها قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٢]، ولو شاء لجعله ساكناً، لكنه شاء، و ذلك كما قال (صلى الله عليه و آله): كان الله و لم يكن معه شيء و سمعه حين ما سمعه أبو ابراهيم موسى قال: الآن كما كان، يعنى شاء سكونه فى عين مده، و مده فى عين سكونه، و ذلك الظل الممدود هو النور المحمدي، اسم الله النور، و هو الحاجب لذلك النور المحمدي، كما أن ذلك النور المحمدي الذي هو الاسم النور حجاب حضرة الذات الأحدية الحق، غيب الغيوب المطلق، »[٣]

سادساً- الإنسان الكامل مظهر لأسم الله الجامع الأعظم:

لما كان الإنسان الكامل المظهر الأتم لصفات الحق تعالى وأسمائه كان النبي الخاتم الذي هو المصداق الأتم للإنسان الكامل، فقد صار هو المظهر الأتم للأسم الجامع(الله) لأنه صار هو البرهان على سائر الأشياء والمخلوقات، في تفسير ملاصدرا للآية ﴿يأيها الناس قد قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤] «فقد تقرر في العلوم الإلهية إن للحق تعالى برهان على كل

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٢٨١.

٢. فصلت، ٤٥

٣. المصدر السابق، ص٧٦٧.

٤. النساء، ١٧٤

شئ كما قال ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١] وقد ثبت أيضاً أن المبدأ عين الغاية والبداية عين النهاية، وإن الله فاعل كل شئ، وإن الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه غاية المخلوقات (لولاك لما خلقت الأفلاك) فإذن يجب أن يكون هو البرهان على سائر الأشياء، كما قال تعالى ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾[٢]. إن الله اعطى لكل نبي آية وبرهان، وجعل نفس النبي الخاتم برهاناً فقال ﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣]، وذلك لأن برهان الأنبياء كان في أشياء غير أنفسهم، مثل برهان موسى في عصاه وفي يده، وفي الحجر الذي أنبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم، وكان نفس النبي برهاناً بالكلية، فكان برهان عينه ماقال(لاتسبقوني بالركوع فأني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي) وبرهان بصره ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٤]. وقوله (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها)، وبرهان سمعه قوله(أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلاوفيها ملك ساجد أو راكع)، وبرهان شمه قوله (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين)، وبرهان ذوقه قوله(إن هذه الذراع مسموم)، وبرهان لمسه قوله (وضع الله يده بين كتفي فاحس برده)، وبرهان لسانه قوله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

---

١. فصلت، ٥٣

٢. النساء: ٤١

٣. النساء، ١٧٤

٤. النجم: ١٧

الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]. وبرهان قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمى﴾[٢]، وإنه سبح الحصى بكفه، وبرهان أصبعه (أنه أشار إلى القمر فانشق فلقتين وكان الماء ينبع من بين أصابعه حتى شرب منه خلقٌ كثير)[٣] فصار الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية هو المظهر الأتم لصفات الله تعالى وأسمائه وهو (صلى الله عليه) تجلي لأسم الله الأعظم الجامع لجميع الأسماء الإلهية وربّ الأسماء، «الحقيقة الآدمية هى جامع جميع الأسماء كلها، و تلك الحقيقة بعينها التى هى مجمع جوامع الأعيان جلها وقلها، كما يكون حقيقة الحقائق فى الأشياء يكون إمام أئمة الأسماء الحسنى هو الحقيقة المحمدية التى هى حقيقة الآدمية الأولى السابقة على الحقائق كلها، وهو اسم الله الأعظم، أعظم أعاظم الأسماء الإلهية كلها، والاسم خليفة المسمى، ومن هاهنا صارت حقيقة الآدمية المحمدية خليفة الله تعالى على سائر الأشياء، حقائقها و لطائفها، رقائقها و كثائفها، ظواهرها و بواطنها، أوائلها و أواخرها، و الكل منه و إليه و فيه و لديه، فافهم فهم نور، لا وهم و زور»[٤]

---

١. النجم، ٣

٢. الأنفال، ١٧

٣. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات ص ١٨٠-١٨١؛ المظاهر الإلهية ص ١١٥ -١١٦؛ الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٢٤٩

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٧٥١-٧٥٢

سابعاً- الإنسان الكامل حامل للأمانة الإلهية

في هذه الخاصية عند ملاصدرا، جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١]. هناك عدة أسئلة تخص هذه الآية منها:-

١- مالمقصود من الأمانة عند ملا صدرا؟ الأمانة عند الملاصدرا هي الفيض الإلهي الأتم بلا واسطة، والمراد من الفناء عن كل شئ والبقاء بالله، والإنسان من بين الممكنات مخصوص بذلك «إنما سميت أمانة لإن الفيض بلا واسطة هو من صفات الحق تعالى وقد حمله الإنسان لاغير، لما ذكرنا من أن ماسواه غير مستعد لقبوله، لتقييد منها بوجوده الخاص»[٢] تبعاً لمبدأ السنخية إن الإنسان حامل الأمانة من سنخ المفيض للفيض الإلهي لأنه القابل لذلك الفيض الإلهي، وإن من سنخه هو الإنسان الكامل، لأنه مظهر أتم له سبحانه.

٢- من المخصوص بعرض الأمانة؟ بما أن الله تعالى ذكر أن الأمانة قد عُرضت، وهذا العرض عند ملاصدرا كان عاماً حيث قال «فكان العرض عاماً على الممكنات ماراً على المخلوقات كلها، فلم يقبلها أحد... إلا الإنسان الكامل»[٣]

---

١. الأحزاب، ٩٢

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢٥٥.

٣. المصدر نفسه، ص٢٥٦.

٤- ما العلة التي من أجلها أختص الإنسان الكامل بالأمانة؟ لأنه كان مقطوعاً عن كل ماسوى الحق «لفقره وعجزه وضعف قوته وبراءة ذمته عن جميع الشواغل الوجودية، وقطع التفاته عن ماسوى الحبيب المطلق، كما حكى الله عن خليله بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. وبقوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ »[2]

٥- لماذا كان الإنسان ظلوماً جهولاً؟ أجاب ملاصدرا، أما ظلوماً لأنه فنى نفسه، وأما جهولاً لأنه جهل نفسه ولم يعرفها كما في الحديث (من عرف نفسه عرف ربه) وهذا نص ماقاله: «الظالم من يظلم غيره، والظلوم من يظلم نفسه، وكذا الجاهل من يجهل غيره، والجهول من يجهل نفسه»[3] فصارت الظلومية الجهولية في حق حامل الأمانة ومؤدي حقها مدحاً، وفي حق الخائنين فيها ذماً «في الحديث الشريف قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)(ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى) يقول ملاصدرا إن النور الخارج هو الفيض الإلهي الوارد على النفوس فيخرجها من الظلمات إلى النور كما نور الشمس يخرج القوة البصرية من القوة إلى الفعل، فمن لم يكن منوراً برشاش نور الله ماعرف شرف الأمانة لذلك عندما عرضها الله تعالى أبيّن السموات والأرض قبولها وقبلها الإنسان، فكانت الظلومية الجهوليه مدحاً[4]

---

١. الشعراء، ٧٧

٢. الصافات، ٩٩؛ الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢٥٦

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢٥٧

٤. انظر: المصدر نفسه،، ص٢٥٨-٢٥٩.

ثامناً- الإنسان الكامل مسجود الملائكة في النشأتين الجسمانية والروحانية

إن سجود الملائكة لآدم مرة للبعد الروحاني وآخرى للجسماني، فأما ماكان للبعد الروحاني لآدم فليس هو سجود للبعد الإمكاني الجسماني بل هو سجود لبلوغه مقاماً في البعد الروحاني، ومرة لبعده الجسماني لما رأوا من عظيم الصنع والإبداع. يقول ملاصدرا في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [١]»

أما أن يكون المسجود هو الإنسان، لكن لامن حيث هويته الإمكانية ليلزم الإشراك، بل من حيث بلوغه إلى مقام القرب الإلهي، ورجوعه وحشره إلى الحضرة الإلهية، وفنائه في ذاته، وبقاؤه ببقاء الله لابقاء غيره ففي هذا المقام يصير الروح الإنساني كمرآة مصقولة لالون فيه، أنعكس عليه وجه الله على نحو التجلي- لاعلى وجه الحلول والاتحاد تعالى عن ذلك علواً كبيراً- فسجودهم لآدم من هذه الجهه سجود لله»[٢] وأما أن يكون آدم سبب السجود لما رأوا فيه أبداع الخالق في خلقه حيث كان فيه عظيم قدرة الله تعالى، يقول ملاصدرا «وأما إن كان آدم سبباً لوجود السجدة، فكأنه تعالى لما خلقه بحيث إن كان أنموذجاً للمبدعات كلها - بل للموجودات بأسرها- وجعله نسخة مختصرة لما في العالم الروحاني والعالم الجسماني، وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات

---

١. البقرة، ٣٤

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٦-٧

الفعلية، وفاض عليهم من الإشراقات النورية من جهة تحريكاتهم الكلية، ووصلة إلى ظهور ماصدر عنهم من الخيرات وترتب عليهم من وجود الأكوان الصورية والحوادث الأرضية بواسطة الحركات السماوية، فأمروا بالسجود تذللاً لما رأوا من عظيم قدرة الله وظاهر آياته في نظم العالم من الأعلى إلى الأسفل، ثم من الأسفل إلى الأعلى بواسطة الإنسان الذي به ترتقي سلسلة الوجود-[١] وفي كلام لملاصدرا حول النشآت ذكر أن سبب سجود الملائكة لآدم في نشأته العقلية لإنه العقل الأول والصادر الأول « فالإنسان العقلي هو الإنسان التام الكامل، الذي كانت الملائكة كلهم مأمورين بسجوده وطاعته»[٢]، وفي تعليقة للشيخ النوري يوضح أن سبب السجود كونه الأب للنوع الإنساني، وأن الملائكة ككل يسجدون للإنسان العقلاني الذي يعبر عنه برب النوع الإنساني، الذي هو آدم الأول، والإنسان الإلهي.[٣]

تاسعاً- الإنسان الكامل قلب العالم الكبير (العرش):

أتفق العرفاء على إن المراد من القلب ليس هذا القلب الصنوبري، الذي لايستحق تلك الكرامات إنما المراد كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (أن في الجسد مضخة إن صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد الجسد إلا وهي القلب)[٤] فإن القلب هنا هو العقل كما في قول(إنما القلب

---

١. المصدر السابق.

٢. المصدر نفسه، ص١٠٧

٣. انضر: نفس المصدر، تعليقة الشيخ النوري

٤. ابن عربي، محمد بن علي، رسالة مواقع النجوم، ج ٣، ص٣٣٧.

الإنساني عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانية، وبين الخصائص والأحوال الكونية والروحانية والطبيعية)[١] أما مراد ملاصدرا من القلب، فيرى أن العرش الذي هو مظهر تجلي الرب تعالى هو قلب العالم والإنسان الكبير، ويطابقه القلب المعنوي وهو النفس المدبرة المدركة للكليات، وإذا كانت الكعبة هي معلم العرش، فإن القلب الصنوبري هو مظهر القلب المعنوي، وكما يتوجه القلب المعنوي بالصدر المعنوي إلى الكعبة تعبداً لله تعالى يتوجه القلب المعنوي بالصدر المعنوي، الذي هو النفس الحيوانية المدركة للجزئيات، إلى العرش كذلك فقال موضحاً ذلك «أعلم إن العرش مظهر الربّ والكعبة معلمه، فدعا الله العباد إلى مظهره بقلوبهم وإلى معلمه بأبدانهم، إذا عرفت هذا فأعلم أن العرش هو قلب العالم والإنسان الكبير، والكرسي هو صدره، لأن المراد من القلب المعنوي هو مرتبة النفس المدبرة للكليات، والقلب الصنوبري مظهرها، وكذا المراد من الصدر المعنوي هو مرتبة النفس الحيوانية المدركة للجزئيات، وهذا الصدر الجسماني مظهرها، ونسبة استواء النفس الإنسانية على قلبه بالتدبر إلى استواء الرحمن على عرشه بالعناية والرحمة، كنسبة القلب الصنوبري إلى العرش الصنوبري»[٢] وفي تعليقة للشيخ النوري على مفاتيح الغيب حول

---

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، رسالة العجالة، ص٢٤١.؛ انظر: أمين، علي جابر، فلسفة التأويل، ص٢٠٠

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، المظاهر الإلهية، ص١٢١؛ انظر: شرح أصول الكافي، ج٣، ص٣٤٤.

الآية القرآنية «قال تعالى ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[1]، و قلب الإنسان الكامل الجامع لجوامع التجليات الإلهية، و المتحقق بحقائق الأسماء الإلهية و الربوبية هو عرش اللّه الأعظم، المسمى بالعرش المجيد، الذي هو عقل الكل و كل العقول بوجه أعلى، ثم بحسب مقامه التالى لهذا المقام العالى هو العرش الكريم، الذي هو نفس الكل، ثم بحسب مقام التالى للعرش الكريم .. هو عرش النور المحمدى، الفائض أولاً وبالذات عن حضرة كنه الذات، و يعبر عن عرش الهوية المطلقة، المحيط بالكل، منزها عن شوائب ثنوية التقابل، بمقام أو أدنى، وهو المختص بحضرة الختمية فيما بين الأنبياء و سائر الأولياء والأوصياء»[2] إن الإنسان الكامل هو قلب العالم الكبير هذا القلب الذي هو عرش الله يكون له ظهورات بحسب مقاماته من عقل أول إلى نفس كلية تنزلاً إلى عالم الأبدان وصعوداً إلى مقام أو أدنى حيث النور المحمدي ثم مقام الهوية المطلقة فهو في كل المقامات عرش الله.

عاشراً- الإنسان جامع للنشآت الثلاث

النشآت ثلاثة. نشأة الحس ونشأة النفس ونشأة العقل وبحسب هذه النشآت توجد في قبالها عوالم ثلاثة: عالم الدنيا وعالم الآخرة وعالم الربوبية. والإنسان بحسبة غلبة كل نشأة داخل في هذه العوالم أما بالقوة أو بالفعل «فبحسه من جملة الدنيا وتحت جنس الحيوانات، وبنفسه من جملة

---

١. طه، ٥

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، على مفاتيح الغيب، ص٧٥٨

الملكوت الأسفل، وبروحه من جملة الملكوت الأعلى، فإن الإنسان الكامل جوهر النبوة فله الجامعية لتلك النشآت لكونه كامل القوى الثلاثة الحسية والمثالية والعقلية، فله السيادة العظمى والرياسة الكبرى والخلافة الإلهية في العوالم كلها، فهو شارع ورسول ونبي، يحكم بالأول كالملك، ويخبر الثاني كالفلك، ويعلم بالثالث كالملك»[١] كما جاء في أسرار الآيات ماذكره ملاصدرا «الإنسان يتكون أولا من أمر عدمي، وهي قوة هيولانية، وإليه أشارَ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[٢]، ويتكون أيضاً جماداً ميتاً، لقوله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ﴾[٣]، وذلك حين كان تراباً وطيناً وصلصالاً ونحوها، ثم يصير نباتاً نامياً لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾[٤] وذلك حيث ماكان نطفةً وعلقةً ومضغةً، ثم يصير حيواناً لقوله ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٥]، ثم يصير أنساناً بشرياً متفكراً متصرفاً في الأمور، لقوله ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً﴾[٦]، ثم يصير إنساناً معنوياً ذا نفس ناطقة، لقوله ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٧]، ثم يصير إن ساعده التوفيق والعناية جوهراً قدسياً وروحاً إلهياً، لقوله ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

---

١. انظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٧، ص١٥٣-١٥٤.
٢. الإنسان: ١
٣. البقرة: ٢٨
٤. نوح: ١٧
٥. الإنسان: ٢
٦. الإنسان: ٣
٧. المؤمنون، ١٤

ساجِدِينَ﴾[1] »[2] وهذا التوضيح القرآني المختصر الذي يبين مرور الإنسان في نشآت حتى صار إنساناً كاملاً، ففي نظر ملاصدرا إن الإنسان مر بجميع النشآت النباتية والحيوانية والجمادية فترقى عنها لذلك كان كاملاً، حتى وصل بتوفيق الله تعالى إلى أن يكون مسجود الملائكة، فلولا مرور الإنسان الكامل وجامعيته للنشآت وترقيه عنها لم يكن كاملاً. وهذه هي الحركة الجوهرية عند ملاصدرا حيث يتحقق الكمال بعبوره هذه النشآت وترقيه عنها.

المطلب الثاني: - الخصائص المعرفية

وهي الخصائص التي يتميز بها الإنسان الكامل وتُكون مرتبته المعرفية، من علم الغيب، وإنه ميزان المعرفة وغيرها .

أولاً- العلم

العلوم عند الإنسان الكامل هي علوم ربانية، يقسم ملاصدرا العلم الرباني الكشفي من غير واسطة إلى(وحي، وإلهام) أما الإلهام فهو «إستفاضة النفس بحسب صفائها واستعدادها عما في اللوح، والإلهام أثر الوحي، والفرق بينهما أن الوحي أصرح وأقوى من الإلهام، الأول يسمى علماً نبوياً، والثاني علماً لدُنّياً، وإنما كان كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صافٍ فارغ، ذلك لإن العلوم كلها موجودة في النفس الكلية التي هي من الجواهر المفارقة الأولية المحضة، ونسبتها إلى العقل الكلي كنسبة حواء إلى آدم،

---

١. الحجر، ٢٩.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢١٨.

وقد بين أن العقل الكلي أشرف من النفس الكلية فمن أفاضة العقل الكلي يتولد الوحي، ومن إشراق النفس الكلية يتولد الإلهام»[١]. والعقل عند ملاصدرا هنا هو الحقيقة المحمدية ويطلق عليها أحياناً بالقلم، «والقلم عبارة عن جوهر قدسي نوراني هو سبب متوسط بين الله تعالى والخلق في حصول العلم في قلوبهم، كما أن القلم واسطة بين فاعل الكتابة وقابله كاللوح والقرطاس في حصول النقوش الكتابية فيه[٢] وفي قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٣]

وهذه إشارة إلى المقام الأول حيث يقول ملاصدرا في كتاب الأسفار «أما الكامل العارف للحق في جميع المظاهر والمجالي الراجع إلى التفصيل مستمداً من الإجمال فيشاهد الحق على وجه أسمائه وصفاته، فيرى الخلق بالحق فيسير في أرض الحقائق التي أشرقت بنور ربها فيكون علمه في هذا المقام بالأشياء من جهة العلم بمبدأ الأشياء، ومظهر وجوداتها ومظهر أعيانها الثابتة وماهيتها، فيصدق حينئذ أنّه يرى الأشياء كما هي في مرآة وجهه الكريم الذي له غيب السموات والأرض»[٤]، وهذا المقام هو الذي قال فيه حكيم العرب وإمام الخلائق ع: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)[٥] وقال ع: (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه أو قبله)

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص١٤٥

٢. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج١، ص٤٤٦

٣. فصلت، ٥٣

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار الأربعة، ج٢، ص٣٦٩

٥. الآملي، عبد الله، الحياة العرفانية للإمام علي (ع)، ص١٠٨.

[١] وكما في قوله (ص): (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)[٢] وذكر في تفسير الآية « ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾[٣] أي معلم من نوع البشر و لا بد لنوع الإنسان من شخص هذا شأنه، إذ لو أفتقر كل واحد منهم إلى معلم بشري لتسلسل الأمر إلى ما لا يقف فلا يحصل علم ما فيما بين الخليقة البشرية، إذ الموقوف على ما لا يتناهى من الأشخاص لا يدخل في دائرة الوجود فلا بد إذن من شخص يستبد بفهم الإشارات باطن نفسه وهوعقل من العقول الزاهرات أما دفعة واحدة كما قال النبي ص: (رأيت ربي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت أنا ما أعلم يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت ما بين السماء والأرض) وذلك إنما يكون بجذبة روحانية توازي عمل الثقلين فطوى (ص) بساط الكونين و بلغ قاب قوسين فوقع في قلبه المنور بنور ربه بحصول لحظة واحدة لعين عقله المقدس إلى الحدود الوسطى بين سلسلة الوجود من لدنّه إلى أول الأزل فيصب في صدره و ينفث في روعه علم ما كان و علم ما بقي إلى يوم القيامة مثل ما علم آدم الأسماء كلها و مثل ما قال ص: (زويت لي الأرض كلها فأريت مشارقها و مغاربها) كما قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾[٤] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ

---

١. الخميني، روح الله، مصباح الهداية، ص٢٢.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٢٤٣.

٣. النور، ٣٥

٤. الشعراء، ١٣٩.

﴿بِالْحَقِ﴾[١] رداً على من قال﴿إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[٢] .

من قال إنما أنت مفترٍ ومن قال ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٣] وقال تعالى رداً عليهم ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى وَ هُوَ بِالأُفُقِ الأعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[٤] وأبلغ من هذا في الرد عليهم من القول بالتعليم البشري حيث أسند التعليم إلى ذاته بواسطة قوله تعالى ﴿فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾[٥]

وقوله ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الأَرْضِ﴾[٦] أي كل العلوم فائض منه بلا وسيلة أحد من الخليقة»[٧]

ثانياً- ميزان العدل والاعتدال

إن الله تعالى خلق الكون كله، وجعل لكل خلق قانوناً، فلو أختل أي أمر في ذلك العالم لذهب الاعتدال، فإن السموات والأرض والحجر قائم على قانون عدل، فالكون مظهر عدل الله، فإن الكُمل هم ميزان العدل

---

١. النحل، ١٠٢،

٢. النحل، ١٠٣

٣. الفرقان، ٥

٤. النجم، ٣-٩

٥. النجم، ١١

٦. الفرقان، ٦

٧. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص ٤٧٠-٤٧١.

كونهم مظهر عدل الله، فهم مظهر غضبه ورحمته، مظهر صفات الجلال والجمال.فكانوا كذلك كونهم في عين الفناء مع الله هم في عين الفناء مع الخلق كما في تصدق أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخاتم، وهو خاشع متصل مع الله في محرابه. فيتحقق الاتزان عندما يكون العبد عين الفناء في الله وهو عين الفناء في خدمة الخلق. فالكامل من أجتمعت لديه القوة النظرية والعملية ففي تفسير ملاصدرا للآية ﴿**ونيسرك لليسرى**﴾[1] قال «والكامل المطلق من كان جالساً في الحد المشترك بين عالم الأمر وعالم الخلق، واسعاً صدره الخلق والحق، تارةً يكون مع الله بالعبودية والحب له، وتارةً مع الخلق بالشفقة والرحمة عليهم...وهذا سبيل المرسلين والصديقين»[2] لذلك فإن الإنسان الكامل لابد أن يكون كاملاً في القوتين، العقل والعمل. «إن النبي لابد أن يكون كاملاً في النشأتين الأخذُ من الحق والتبليغ إلى الخَلق»[3] فهذا هو الاعتدال والعدل فلو لم يكن كاملاً جامعاً للمراتب الحقية والخلقية وصار واسطة للفيض لم يكن ميزان عدل وأعتدال فهو بذلك قد حقق الكمال.فخاتم النبيين وأهل بيته(صلى الله عليهم أجمعين) هم من كانوا مصداق لهذه الخاصية المعرفية.

---

١. الأعلى، ٨

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٧، ص٣٧٩-٣٨٠.

٣. المصدر نفسه، ص٣٧٥.

المطلب الثالث: الخصائص الأخلاقية

تعد الأخلاق مفتاحاً لفتح الفيوضات الإلهية، وسلماً للأرتقاء إلى درجات القرب، تفتح خزائن الملكوت، وتجلل صاحبها بأبهى حلة فيصبح محل نظر الملك والملكوت، اللاهوت والناسوت، فالأخلاق هي هجرة العارف الكبرى نحو الكمال.أخترنا من هذه الخصائص نقطتين:

أولاً- الصبر

الصبر من الصفات الأخلاقية التي يتصف بها الكاملون فمعناه في اللغة: «هو منع النفس محابّها وكفّها عن هواها، ولابد للصبر من قوة في الإنسان بها يصبر عن الملتذات، ويصبر على المعاصي لأن لكل فعل وأثر مبدأ لامحالة، ومبدأ الأفعال والانفعالات عند أهل الحكمة تسمى (قوة)»[١] ويعرفه ملاصدرا «هو دواء مر، وشربةٌ كريهةٌ، يجلب اليك كل منفعة، ويدفع عنك كل مضرة»[٢] .يختلف الصبر من شخص إلى آخر حسب درجة الكمال.قيل (لكل شئ جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر)[٣]، يعتقد ملاصدرا إن الصبر هو الصبر على النفس حتى تصل إلى الكمال وترقى في المراتب، فمن خلال مايعتقده يمكننا تقسيم الصبر عنده

---

١. الهندي، علاء الدين، كنز العمال، الباب الأول، ص ١٠-١٥.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٢٨٩.

٣. المصدر نفسه

إلى:-

١- الصبر على الطاعة وعن المعصية

إن أشد مراتب الصبر كف الباطن عن حديث النفس يقول ملاصدرا «ويحصل ذلك بالمراقبة والذكر والفكر وقطع العلائق ولا يكفي ذلك مالم يجعل الهم هماً واحداً هو- الله ثم توطين النفس على ذلك، ثم حبسها على الآلآم والشهوات، قال تعالى مخاطباً نبيه ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[١]، وروي عن إبي عبد الله (عليه السلام): أمر الله تبارك وتعالى أنبيائه عليهم السلام بالصبر، وجعل الحظ الأوفر لرسول الله (صلى الله عليه واله)حيث جعل صبره بالله- لابنفسه- فقال ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ ».[٢] حتى يصل الإنسان إلى أشد المراحل في الصبر وهي مرحلة الصبر عن الله، جاء في تفسير ملاصدرا للآية ﴿اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[٣] حيث نقل كلاماً لصاحب العوارف «إن الصبر عن الله يكون في أخص مقامات القرب والمشاهدة..لأنه يود استدامة هذا الحال»[٤]، إن نور الله إذا ظهر للعارف فعل فعل الشمس بالجليد، فيدهش روحه ويذيب قلبه، فلايستطيع مفارقة ذلك الركن النوراني وكان دائم التوجه إليه كمايقول زين العابدين وسيدهم (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن الذي أنس

---

١. النحل، ١٢٧.

٢. المصدرنفسه، ص٢٨٣.

٣. البقرة، ٤٥

بقربك فابتغى عنك حولاً...وأعذته من هجرك وقلاك)[١] فكم يجد الإمام (عليه السلام) صعوبة في الهجر فنراه يتعوذ منه لمرارة طعمه وصعوبة تحمله، ونختم بقول الجنيد «المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الحق شديد، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد. والصبر مع الله أشد»[٢]

٢ـ الصبر عند المصيبة

هو الصبر عن المصائب التي تتصدع منها الجبال الصم، فكل ماكان الإنسان عالماً عارفاً بالله كلما كان أقوى تحملاً وصبراً يقول ملاصدرا «فأصل الصبر معرفة ما لأجله الصبر على الشدائد»[٣]، ويقول «الصبر جارٍ في الصابر مجرى الأنفاس، لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهراً وباطناً ولايتم ذلك إلابالعلم»[٤] فهذا رسول الله(صلى الله عليه وآله) الإنسان الكامل الأكثر مساحةً ومعرفةً بالله وأكثر صبراً يقول عنه الحق تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٥] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٦]، فقد كان الأنبياء أشد بلاء وكان الرسول الأعظم (صلى

---

١. الأبطحي، محمد باقر، الصحيفة السجادية، ص٤١٣.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٢٩٢.

٣. المصدر نفسه، ص٢٨٣

٤. المصدر نفسه، ص٢٨٩

٥. الحجر، ٧٩

٦. طه، ١٣٢

الله عليه وآله) أشدهم حيث قال(ما أوذي نبي مثلما أوذيت)[١] فهو خلقه القرآن فكان يدفع بالتي هي أحسن، وهذا الإمام الحسين (عليه السلام) صاحب دعاء عرفه الذي كلماته تنُّم على شدة معرفته بالله تعالى كان جلداً صبوراً، وهاهُم أهل بيت النبوة (عليهم السلام) منهم من جرع السُم ومنهم من غُيّب في السجون ومنهم مازال يتجرع الألم بغيبته ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢]. بهذا يكون الإنسان الكامل مثال الصبر، من الممكن أن نقول الصبر على الوصول إلى الحقيقة والتخلص من أشباح الدنيا و السير قاطعاً طريق الضباب لنرى النور هو أجمل وأسمى معاني الصبر، فالإنسان الذي يعطي كل شئ من أجل ذلك المحبوب الذي عرفه، فعرف أن كل الدنيا أمامه سراب جاد بالعطاء، وبذل النفس بمرها وجوعها وعطشها ودمها في سبيل الحياة الحقة لاصورتها، لابد من الخروج إلى الأصل وهذا سيد الشهداء (عليه السلام) ضرب أروع مثال للصبر فصار مصداقٌ للإنسان الكامل.

ثانياً- الرحمة:

يتصف الإنسان الكامل بالرحمة مع كل المخلوقات فهو الكمال الإنساني إذ إن الكمال المحمدي مبني على خصلة الرحمة واللين وخفض الجانب، ولايحدث ذلك إلا بالتبصر بأسرار الموجودات، ودلالة خلقها ووجودها، وهذه الصفة هي التي أفتتحت بها الآيات فتجلى بها الله ونعت

---

١. الاربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ج٣، ص٣٤٦.

٢. الرعد: ٢٤؛ انظرالحيدري، كمال، معرفة الإمام، ص ٢٠

رسوله بها، ليس صفة بل وظيفة إنسانية حيث قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١]، ويفسر ملاصدرا الآية القرآنية ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾[٢] إن هذه الرحمة هي ربّ النوع الإنساني المسمى بالروح المحمدي فلقد رحم الله عباده بأن أرسل لهم محمد (صلى الله عليه واله)، الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣] فيقول ملاصدرا في تفسير هذه الآية «إن الله بكم لرؤف رحيم، حيث بَعَثَ الرسول»[٤]، فقد كان رحيماً حين قرأ آيات القرآن وقد كان رحيماً حين أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة وتتحققّ رحمته بكماله.

---

١. الأنبياء، ١٠٧

٢. الحديد، ١٣

٣. الحديد، ٩

٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٦، ص١٨٢.

المبحث الثالث:

مقامات الإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا

يقول ملاصدرا «للإنسان الكامل درجات و مقامات في بداية أحواله ومبادئ وجوده؛ كما أن له درجات ومقامات في نهايات أموره وعوائد بقاؤه»[١]

المطلب الأول: مقامات الإنسان الكامل قبل الدنيا

للإنسان الكامل مقامات قبل الدنيا أي في بداية أحواله ووجوده عدة مقامات منها:

أولاً- خليفة الله في الأرض

«كونه مقدراً في علم الله وفيضه الأقدس أن يكون خليفة الله في الأرض؛ وهو مقام عينه الثابت الذي قيل أنه غير مجعول وهو مقام أخذ الميثاق»[٢]

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص ٨٠

٢. المصدر نفسه.

ثانياً- مقام مسجودية الملائكة

«وذلك في جنة الأرواح وعالم القدس، وفيه صور الأسماء الإلهية كلها»[١]

ثالثاً- مقام أول تعلق روحه بالبدن

في عالم السماء بعد الأسماء؛ بواسطة لطيفة حيوانية متوسطة بين الروح العقلاني وهذا البدن الكثيف الظلماني، والإنسان بواسطة تلك اللطيفة الحيوانية التي تكون على صورته في عالم الأشباح له أن يدخل دار الحيوان وجنة الأبدان، فقوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٢] إشارة إلى هذا المقام.[٣]

رابعاً- مقام الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية فسرها ملاصدرا و ذكر ذلك في تفسير الآية ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤] جاء في تفسير عهد الله وهو الميثاق الذي آخذه الله تعالى من المؤمنين وأشار فيه إلى الحقيقة

---

١. المصدرنفسه

٢. البقرة، ٣٥

٣. أنظر: المصدرنفسه

٤. البقرة، ٢٧.

المحمدية والتي أطلق عليها الحقيقة الإنسانية، إذ قال إن لكل حقيقة مربوبٌ اسم واحد من الأسماء الإلهية إلا تلك الحقيقة الإنسانية فهي مظهر اسم (الله) المتضمن لسائر الأسماء ومربوبه، المستعدة بصورتها الكونية للخلافة الربانية وبصورتها العقلية للوفاء بالميثاق في النهاية كما للقبول لأخذه وعقده في البداية»[١]. في قوله تعالى« ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٢] هو النور المحمدي الكاشف لحقائق الأشياء كما هي، والغاية المترتبة على وجود السابقين الأولين من الأنبياء»[٣]، وفي تفسير آية ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[٤] فهو بمنزلة زجاجة هذا النور، هو محمد (ص) اذ لايمكن مشاهدة النور الأحدي لغاية شدته وقوته...إلاخلف الزُجاج المحمدي»[٥] إن الإنسان الكامل صار مظهراً لأسم الله الجامع، وإن هذا التقدم للحقيقة المحمدية قبل الخلق وذلك لشرفية المعلول، فيكون هذا التقدم بالعلية «هو أن يكون المتقدم علة لوجود المتأخر فكما أنه يتقدم عليه بالوجود فكذلك بالوجوب لأنه سبب للمتأخر، فأما الذي بالشرف والفضل فكما يقال أن محمداً (صلى الله عليه وآله) مقدم على سائر الأنبياء (عليهم السلام)»[٦]. جعل ملاصدرا هذه الحقيقة المحمدية هي العلة الغائية وهي السبب في وجود العلل الأخرى.

---

١. انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٣.

٢. النور، ٥٣

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٨٣

٤. البقرة، ٢٥

٥. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٦٣ - ص٣٦٤.

٦. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الأسفار، ج٣، ص٢٥٦

خامساً- مقام واسطة الفيض

للإنسان وجهان إذا كان كاملاً: وجه أفتقار إلى الله، ووجه غنى عن العالم. فيستقبل العالم بالغنى عنه، ويستقبل ربه بالافتقار إليه، فالإنسان الكامل هو الواسطة بين الحق والخلق كونه له جهتين وجوبية وأمكانية فيأخذ من الحق ويفيض إلى الممكنات يقول ملاصدرا في تفسير الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [١] وله وجه إلى القدم يستمد به من الحق سبحانه، ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق كون الحق سبحانه القديم الزماني في عالم الوجوب، وكون عالم الإمكان الحادث. فصار الخليفة المتصرف على خزائن ملكه وملكوته[٢]. فإن هذا الإنسان الكامل كان واسطة الفيض و المجرى الذي يصب فيه فيض الله كما قال جواد آملي فهو وصف معنى واسطة الفيض بوصف يخبر عن الله تعالى حيث قال «إنهم جميعاً قنوات لفيضي، فكل مايصدر عنهم فأنما هو في الحقيقة يصدر عني، إلا إنهم المجرى الذي يصب من خلاله فيضي، وهم خلفائي الذين يتصدون لحمل رسالتي مع وجود فارق هو أنني لا أُرى بينما مظاهري تُرى عيانا»[٣]. ومن باب آخرهناك مايؤكد إن أهل بيت الرحمة هم وسائط الفيض حيث قالوا (عليهم السلام) نحن الأعراف ونحن أبواب الله، فلاتتم معرفة الله إلامن خلالهم فهم أبواب الدخول إلى حضرته وهو

---

١. البقرة، ٣٠

٢. انظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٠٢.

٣. الآملي، عبد الله، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص٣٢١.

واسطة فيضه لخلقة يقول ملاصدرا «فهذا تحقيق كون النبي والأئمة (ع)شهداء الله على خلقه، وفي قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1] » ظهر معنى قوله تعالى: نحن الأعراف، أي المعروفون بالذات المشهودون لله بلاواسطة، لكونهم في درجة القرب عند الله من درجات الصراط ومنازله التي لابد للإنسان المرور عليها على طريق الاستقامة حتى يصل إلى درجة القرب منه تعالى»[2] فهم واسطة في نزول الفيض وصعوده. ولم أجد لهذا المصطلح مكاناً في كتب ملاصدرا إلا من حيث المضمون والله العالم هذا ماتيسر لبحثنا.

المطلب الثاني: مقامات الإنسان الكامل في الدنيا

على الرغم من أن هذه المقامات كان لها أصل قبل الدنيا ولكن لابأس من ذكرها في مقامات الإنسان الكامل في الدنيا، لما كان للبدن دور في وصول هذا الكامل لهذه المرتبة إذ سخر الإنسان الكامل ذلك مطية لبلوغ تلك المقامات.وإن للإنسان الكامل مقامات في الدنيا حيث الجهة الإمكانية التي يتمتع بها، كونه له جهتان فمن الحقية يأخذ ويفيض علينا بجهته الخلقية، وإن كان باطنها مع الحق.

---

١. النساء، ٤١.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٢، ص٥٤٤.

أولاً- مقام الولاية

يقول ملاصدرا: «إن الولاية مأخوذه من الولي وهو القرب ولذلك يسمى الحبيب ولياً لكونه قريباً من محبه، وفي الاصطلاح هو القرب من الحق سبحانه»[١] ثم يقسمها ملاصدرا إلى عامةٍ وخاصة «العامة حاصلة لكل من آمن بالله قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ﴾[٢]، والخاصة هي الفناء في الله ذاتاً وصفةً وفعلاً»[٣] إذاً على هذا الأساس يُعَرف مرة أُخرى الوليّ «هو الفاني في الله، القائم به والمتخلق بأسمائه وصفاته تعالى»[٤] كما أن الولاية تكون أما بجذبةٍ من الحق أو بالكسب وهذه أشارة لمقام السير الحبي والمحبوبي، فيقول «قد تكون عطائية وقد تكون كسبية، والعطائية ماتحصل بقوة الانجذاب إليها بعد المجاهدة، ومن سبقت جذبته على مجاهدته يسمى بالمحبوب، لإن الحق سبحانه يجذبه إليه، ومن سبقت مجاهدته جذبته يسمى بالمحب، التقرب إليه أولا ثم يحصل إليه الانجذاب ثانياً، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ناقلاً عن ربّه(لايزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)[٥]. فجذبته موقوفة على المحبة الناتجة من تقربه ولذلك سميت كسبية.»[٦] وقيل علامة

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص ص ٤٨٧-٤٨٨

٢. البقرة، ٢٥٧.

٣. المصدر السابق

٤. المصدر نفسه

٥. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج١، ص٤٦٣.

٦. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب ، ص ص ٤٨٧-٤٨٨

الولاية ثلاث: شغله بالله، والفرار إلى الله، وهمه الله. وأعلم إن الولي هو العارف بالله واليوم الآخر، والمواضب على الطاعات ونفل العبادات، المجتنب عن المعاصي والملذات، المعرض عن الدنيا وما فيها، المعصوم عن الجهل والخطأ»[١]. ليس كل من كان محبوباً كمن كان محباً وليس كل من كان مجذوباً كمن كان سالكاً ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[٢]

ثانياً- مقام العبودية:

- للعبودية معاني منها:

١- العبودية بمعنى الرضا والتسليم(مقام البيان):

يقول ملاصدرا في تفسير معنى العبودية أو العبدية «الرضا بمايفعل المولى والتسليم لأمره- كماهو لا يتحقق إلا في حق المظهر الجامع جامعُ الجوامع، والمربوبّ للأسم الجامع إذ العلة غير منافية لمعلولها لإنها تمامه وكماله، وتمام الشئ هو غايته المطلوبة له...العبد الخالص وخالص العبدية مختص بالمحمدية»[٣]. وقد فرق ملاصدرا بين معنى العبودية والعبادة وفرق بين مقام المعاني ومقام البيان التي تدخل تحت مقام العبودية بمعنى الرضا والتسليم حيث بهذا المقام نال شرف الرسالة والإمامة إذ كان جامعاً

---

١. المصدر نفسه، ص ٧٦.

٢. الشورى، ٣١.

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص ٤٠٩ - ص ٤١٠.

لكل المعاني مظهر لأسمائه سبحانه كما في مقام قرب الفرائص، حيث أشار لذلك المولى النوري في تعليقته على تفسير سورة الفاتحه ﴿**ايَّاكَ نَعْبُدُ وَايَّاكَ نَسْتَعِين**﴾[١] «إن العبدية والعبودية هي الرضا بقضاء الله تعالى وتسليماً لإمره، كما ورد في المأثورات عنهم (عليهم السلام): رضاً بقضائه وتسليماً لإمره[٢] وكمال العبودية وتمامها يؤدي إلى صيرورة العبد السالك في سبيله سبحانه منزوية، والله شأنه محل قضائهُ وقدرهُ ومنزلة مشيئته وأرادته ومحل أمانته..فيصير العبد حالئذ خزينة خزائنه ومفاتح غيب خزائنه جل وعلا، فيصير..يده العليا التي بيده ملكوت كل شئ. وحينئذ يتمكن في مقام المعاني ويتقرر في ذلك المقام الشامخ العالي، ويكون عينه الناظرة وأذنه الواعية ولسانه الناطق ويده الباسطة ورحمته الواسعة.. لأنهم عليهم السلام هم آل الله خاصة»[٣]. وفي الآية ﴿**وَنُريدُ أن نَمُنَّ عَلَى الّذينَ استُضعِفوا فِي الأرضِ وَنَجعَلَهُم أئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوارِثينَ**﴾[٤] فيكون العبد عبداً محضاً «فحينئذ صار العبد مصدوقة قوله (صلى الله عليه و آله): خلق الله آدم على صورته»[٥] إن منزلة العبودية المحضة لهى منزلة قرب الفرائض الّذي يشير إليه عند أهل اللّب قوله سبحانه فى وجه من الاستبصار: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٦]

---

١. الفاتحة، ٥

٢. أنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي، ج، ٧، ص٢٤٨

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٣، ص٣٤٩

٤. القصص، ٥

٥. القونوي، محمد، شرح الأربعين حديثاً، ص ١٧٠

٦. الشورى، ١١

٢- العبودية بمعنى الفقر والحاجة:

إن هذا المقام من أشرف مقامات العبودية حيث يشعر الإنسان بفناءه في الله ولايشعر لذاته حول ولاقوة إلا به سبحانه فبما أن هذا المقام من أجل المقامات لذلك قدّمهُ الله تعالى على الرساله في قولك أشهد أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، لأن الأولى تعبير عن نسبتة إلى الحق والثانية إلى الخلق يقول ملاصدرا «وأما من عبد الله وغاب عن ذاته وعن عبادته، فهو مستغرق في العبودية لله بما هي عبودية له وأنتساب إليه نسبة الفقر والحاجة التي هي أشرف النسب، فإن قصارى مجهود العابدين تصحيح هذه النسبة ومن كانت هذه حالته في العبادة فهو من الواصلين لا محاله.. فهو مستغرق في ملاحظة جناب القدس وغائب عن ما سواه حتى أنه لايلاحظ نفسه ولاحالاً من أحوال نفسه إلا من حيث إنها ملاحظة له ومفتقرة اليه. ولهذا قد رجح قول حبيب الله ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[١] على قول كليمه ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهدين**﴾[٢]. وبالجملة أشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية. والسبب العقل فيه إن جميع الموجودات قابلة للرحمة الآلهية والكمال الوجودي بحسب فطرتها الإمكانية»[٣]، فكان فعله فعل الحق، من قبيل قوله تعالى ﴿**وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللهَ رَمى**﴾[٤] إشارة إلى مقام قرب

---

١. التوبة، ٤٠

٢. الشعراء، ٦٢

٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٩٢ - ٩٣.

٤. الأنفال، ١٧

الفرائض الذي هو مقام الفناء، ومثل قول الخاتم (صلى الله عليه وآله)(من رآني فقد رأى الحق)[١]. فإذا أمات الإنسان نفسه وترك الهوى، وأتصل بعالم القدس، يفيض عليه تعالى بدون توسط ويصير مستحقاً لمقام الخلافة والرسالة، كما كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) أماماً لأجل كرامته في نفسه وقربه من الله، كما في الحديث(لاتسبوا علياً فهو ممسوس بنور الله)[٢]: لاتسبوا علي فهو ممسوس في ذات الله.

٣- العبودية وتعني أن يكون العبد مظهراً لأسماء اللّه وصفاته

جاء في تفسير سورة الفاتحه في شرح ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٣] قوله إن الإنسان الكامل هو المقصود في هذا المقام وهو عبد الله حيث نال هذا المقام لإنه عرف الحق سبحانه ، وإنه المظهر الأتم لأسماء الحق تعالى وصفاته فقد قال ملاصدرا «الإنسان الكامل هو الذي يعرف الحق بجميع المشاهد والمشاعر ويعبده بجميع المواطن والمظاهر فهو (عبد الله)يعبده في جميع أسمائه وصفاته ولهذا سُمي بهذا الاسم أكمل أفراد الإنسان محمد (صلى الله عليه وآله) فإن الاسم الإلهي كما هو جامع لجميع الأسماء وهي تتحد بأحديته الجمعية كذلك طريقه جامع للأسماء كلها وإنّ كان كل واحد مختصاً باسم يربّ مظهره ويعبد ذلك المظهر من ذلك الوجه

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٢، ص٥٦٩.

٢. الهيثمي، نور الدين، مجمع الزائد ونبع الفوائد، ج٩، ص١٣٠؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب، ج٣، ص ٢٢١

٣. الفاتحة، ١

ويسلك سبيله المستقيم الخاص به وليس الطريق الجامع لطرق سائر المظاهر إلا ماسلكه المظهر الجامع النبوي الختمي- على الشارع فيه وآله أفضل صلوات الله وتسليماته- وسلكه خواص أمته الذين هم خير الأمم وهو طريق التوحيد الذي عليه جميع الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم أجمعين»[١]

ثالثاً- مقام كُن:

يقسم مقام كُن إلى قسمين، فمرة يقول الإنسان الكامل للشئ كُن فيكون، حيث سخرت له الأرض والسموات، وهذا المعنى يصل له الإنسان بالتخلق بأخلاق الله تعالى والفناء فيه سبحانه وبأذنه جل وعلا، ومرة يكون الإنسان الكامل هو تلك الكلمة ومن قالها هو الحق سبحانه فكان أول مخلوق بها، خلق منه كل شئ وأفاض على الممكنات حيث كان وجوداً منبسطاً ونّفَساً رحمانياً فهو هيولا الممكنات؛ إذن كُن مرة تطلق ويراد بها الولاية التكوينية وأُخرى الكلمة الوجودية .

١- **كن بمعنى التكوين والتسخير**: يقول ملاصدرا في مكاشفة برهانية لتفسير سورة يس الآية ﴿**سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبّ رَحِيمٍ**﴾[٢] » قد سبقت الإشارة إلى أن الإنسان إذا مات عن الدنيا ولذاتها، وصَفَت نفسه عن درن الشهوات، وتنورت بأنوار العبودية والطاعة، وتخلقت بأخلاق الله، وبلغت مقام الفناء في التوحيد، فحشر إلى ربه وتسرمد بسرمديته، ونفذ حُكمه في العالم على

---

١. الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٤١-٤٢.

٢. يس، ٥٨.

حسب التابعية والرضا، واستشرق ذاته اللطيفة الصافية بإشراق نور المحبة في أرجائها، فتكرم بكرامة التكوين والإيجاد، فتسخر له مافي الملك والملكوت، ويسمع دعائه ودعوته في عالم الجبروت ؛ لكونه وليد القدس وخليفة الله في أرضه [١] ، ومن هنا واضح إن هذا المقام وإن كان مقاماً للإنسان الكامل فهو مقام يخص الخاتم (صلى الله عليه وآله) المظهر الأتم ، فقد يكون للإنسان نصيباً منه فوصل إليه الكمل من الأناسي إذا أمات البدن عن الشهوات وأطاع الله تعالى وتخلق بأخلاقه ويقول ملاصدرا «بالجملة إذا أنخرط في سلك المقربين يصير نفس تصوره لكل مايتمناه، نفس وجود ذلك الشئ في العين» [٢]. وفي تفسير جميل لذلك عند ملاصدرا يبين إن الدنيا والآخرة لاتفترقان إذا كانت القوة الباصرة تساوي القوة المتخيلة «فكل ماتشتهي يحضر عنده في الحال فتكون شهوته بسبب تخيله، وتخيله بسبب أبصاره، أي بسبب إنطباعه في القوة الباصرة، ولايخطر في باله شئ يميل اليه إلاويوجد في الحال، أي يوجد له بحيث يراه، وإليه أشار بقوله (صلى الله عليه وآله) (إن في الجنة سوقاً تباع فيه الصور) [٣] والسوق عبارة عن اللطف الإلهي، الذي هو منبع القدرة على أختراع الصور بحسب المشيئة، وانطباع القوة الباصرة بعدها» [٤]

---

١. أنظر: المصدر السابق، ج ٥، ص٢٣٢.

٢. نفس المصدر

٣. المصدر نفسه، ص٢٣٥.

٤. المصدر نفسه، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٢- كن الكلمة الوجودية: في تفسير ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾ [١] قال ملاصدرا في رمز عرشي «إن جميع الممكنات حاصلة من فيض واحد من جانب الحق ونفخةٌ واحدةٌ وكلمةٌ جامعةٌ - هي كلمة (كُن) - عبر عن إنبساط الفيض الوجودي عنه تعالى على هياكل الممكنات :(النّفس الرحماني) المشتمل على الحروف الوجودية، والكلمات الكونية، الطالع من أفق شمس الحقيقة في صباح نور الأزل، المنشر ضوؤه في أهوية الهويات الممكنة وسطوح قوابل الماهيات الاستعدادية» [٢]، فيتضح هنا أن الملاصدرا عرف كلمة كُن هنا بالمعنى الوجودي وهي الحقيقة المحمدية والكلمة الجامعة التي منها أفاض الله على العالمين في الحديث (أول ما خلق الله نوري) وكيف إن هذا الانبساط الوجودي الذي أسماه كما أسماهُ ابن عربي بالنَّفَس الرحماني الذي يعد المادة لخروج الكلمات كما إن ملاصدرا يطلق على النَّفَس الرحماني: (النفس الإنساني)، وقد كان في معنى هذه الكلمة عند ملاصدرا إن كلمة كُن هي جاءت من حرفين(الكاف والنون)و(الكاف)تعني المشيئة وهي أعلى من مرتبة النون أما(النون) أشارة إلى الإرادة فلما دمجت كانت(كُن) بها تولدت الموجودات، وهذه المرتبة خاصة بالحضرة الختمية (صلى الله عليه وآله) وفي تعليقة للشيخ النوري جاءبقوله « ﴿**إلا بما شاء**﴾ [٣] وتلك

١. سورة يس الآية ٤٩

٢. نفس المصدر، ص١٨٦

٣. البقرة، ٢٢٥.

المرتبة خاصة بالحضرة الختمية، وهي مرتبة الكاف التي هي فوق مرتبة النون من قوله (كن) إذ الكاف كناية عن المشيئة التي تتعلق بالوجود، والنون من كن إشارة إلى الإرادة التي تتعلق بالعين والماهية. ومن أزدواج الكاف بالنون تتولد الموجودات المقيدة والذوات الخلقية[١]

رابعاً- مقام قاب قوسين أو أدنى

هذا المقام هو المقام الجامع لجميع الجوامع إذ إن الإنسان الكامل وصل إلى مقام القرب هذا حين جمع جميع المقامات فهو الغاية القصوى ووصله الخاتم (صلى الله عليه وآله) كما وصله أهل بيته عليهم السلام، فبعبوديته وسلوكه المحبوبي(قرب الفرائض) وفنائهم في الله وصلوا إلى هذا المقام مقام الفناء في الله والعبودية المحضة، يقول ملاصدرا في الآية ﴿اِيّاكَ نَعْبُدُ وَاِيّاكَ نَسْتَعين﴾[٢] «عند عدم التفاته بماسواه وعندكونه غير مشغول السر بما سوى الله، وغير متبجح بزينة ذاته من حيث هي ذاته وإن كانت بصورة المعرفة وهيئة العبودية بل مع غيبته عن ذاته وغيبته عن غيبة ذاته وفنائه عن فنائه وحينئذ يكون باقياً ببقاء الله فوق ماكان باقياً بإبقاء الله كما كان قبل الوصول وهذا هو مقام الفناء في التوحيد والمحو واليه الإشارة بقوله ﴿اِيّاكَ نَعْبُدُ﴾ »[٣] وفي تعليقة للمولى النوري على اللآية نفسها «باقياً ببقاء الله - فحينئذ يصيرمحيطاً في الوجود وتمام كمالات الوجود فقد

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٤٥٢.

٢. الفاتحة، ٥

٣. الفاتحه، ٤؛ الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٩٥

استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...فالانقطاع إليه بمحو تعينات أعيان الأشياء هو ملاك السعة التي أخبر عنه سبحانه بقوله لحبيبه ووليه الفاني فيه الباقي ببقائه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾[١] .. وأما الكامل في السير والسلوك إليه إلى صراط التوحيد والاستقامة والتام في طلب الغاية الحقة المطلوبة من الفطرة التي فطر الناس عليها، فهو الإنسان الكامل بتفاوت درجاته، إلا أن الجامع لجوامع السير والسلوك- هو المسمى بجامع الجوامع في الإنسانية - فهو البالغ الواصل إلى الغاية القصوى، والمقام المسمى بمقام أو أدنى، فهي الخاصة الختمية المحمدية والآلية»[٢] فالمحبوبية الله تعالى لهذا العبد جذبه اليه إلى مقام القرب قسراً، فقد أختص بهذا المقام محمد (ص) ونرى إن ملاصدرا يذكر آل محمد (عليهم السلام) بهذا المقام. «هذا المقام لا يمكن أن يحصل إلا بجذبة من جانب الحق لقصور الخلق عن البلوغ إليه و لهذا قال عز و جل في حقه(ص) ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ﴾[٣] والإسراء هو الإذهاب قسراً لأنه كان حبيباً محبوباً والمحبوب يجذبه المحب القادر عليه جبراً و غيره من الأنبياء ع كانوا سالكين إليه كما قال إبراهيم ع ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي﴾[٤] و قال تعالى في حق موسى ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[٥] فانظر إلى تفاوت

١. الشرح، ١

٢. المصدرنفسه، ص٤٧١.

٣. الإسراء،١

٤. الصافات،٩٩

٥. الأعراف،١٤٣

الحال و تفاضل الكمال في حق هؤلاء الأفاضل من الأنبياء (عليهم السلام). الطريقة الثانية: الاستدلال بالعقل عليه و هو أنه ثبت بالبرهان وجود العقل من عدة جهات منها جهة كيفية التلازم بين الهيولى و الصورة حين يبين هناك أن الصورة المطلقة يتقدم وجودها على وجود الهيولى، وأنها شريكة علة الهيولى و هي الأمر القدسي الحافظ إياها عن الدثور بإيراد البدل المعقب للسابقة من الصور باللاحقة منها فكلما كانت أبعد عن المادة و أشد تجرداً عنها و عن غواشيها و قيودها و حبائلها و شركها كانت أشد شعوراً وأقوى إحاطةً و أكثر جمعاً للمعلومات و أصفى نوراً و ظهوراً و إظهار لذاتها و لغيرها على ما شرح في مقامه. »[١]

المطلب الثالث: - مقامات الإنسان الكامل بعد الدنيا:

للإنسان الكامل في البرزخ والحشر والقيامة مقامات إذ إن فيضه لاينقطع، وأخترنا من بينها مقام الشفاعة لأهميته في هذه الدار التي لاينفع فيها صاحبة ولا ولداً، إلاّ شفاعة الحبيب (صلى اله عليه وآله)، فبه يفتح الله تعالى باب الشفاعات الأخرى. وكذلك أخترنا مقام ميزان الأعمال.

أولاً- مقام الشفاعة

في تفسير الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٢]. كتب ملاصدرا في بيان

---

١. الشيرازي، محمد بن إبراهيم ، مفاتيح الغيب، ص٢٤٥

٢. البقرة، ٤٨

معنى الشفاعة ببيان عرفاني جميل ، وأن كان هذا المعنى في صورة التمثيل ولكن هو مما أقيم عليه البرهان حيث شبه النور الآلهي الذي يفيض به على أنبياؤه كالنور المحسوس الذي تفيضه الشمس على القمر فمنه مايتلقاه مستقيماً كما في تلقي الأرض لنور الشمس ، ومنه ماهو إنعكاسي كضوء القمر الذي ينعكس ويفيض على الأرض وكنور الشمس المنعكس من الماء أو المرايا الداخل إلى البيوت، فكذلك فيض الله تعالى يقع على القوابل والماهيات استقامياً حيناً وانعكاسياً أُخرى حسب القوابل فمن الجائز أن لايكون الشئ مستعداً لقبول فيض الوجود عن واجب الوجود لعدم وجود المسانخه بينه وبين القابل، في حال يكون مستعداً بالواسطة «فمن الجائز أن لايكون الشئ مستعداً لقبول فيض الوجود عن واجب الوجود لبعد مناسبته في ذاته، إلا إن يكون مستعداً لقبول ذلك الفيض من شيئ كان قبله عن الواجب جل ذكره، فيكون ذلك الشئ كالمتوسط بين الواجب تعالى وبين ذلك الشئ الأول، فأرواح الأنبياء (عليهم السلام)كالوسائط بين نور الأنوار وأرواح العوام من الخلق في وصول نور الرحمة إلى الأرواح العامية»[1] ويُعدُّ مقام الشفاعة هو المقام المحمود قال ملاصدرا في تفسير سورة الفاتحة الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2] «إن من أجَلّ مراتب الحمد هي الحقيقة التمامية المحمدية القائمة بوجود الخاتم (صلى الله عليه واله) من حيث وصوله إلى المقام المحمود الموعود في قوله تعالى ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

---

١. الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٣٤٤.

٢. الفاتحه، ٢

مَقاماً مَحْمُوداً﴾ فذاته المقدسة أقصى مراتب الحمد التي حُمد الله بها ذاته. ولذلك خص بلواء الحمد وسمى بالحماد والأحمد والمحمود من مشتقات الحمد كما قيل»[١] وهذا يتحقق في مقامه الجمعي الأخروي الذي هو المقام المحمود ومقام الشفاعة الكبرى كما روي إنه قال (صلى الله عليه وآله) «فيلهمني الله محامد أحمده بها لا يحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد»[٢]. وفي رواية أنه قال (صلى الله عليه وآله) «اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون أشفع إلى ربك، فيقول لست لها، وعليكم بإبراهيم (عليه السلام) فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم (عليه السلام) فيقول لست لها، عليكم بموسى (عليه السلام) فإنه كليم الله، فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى (عليه السلام)، فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد (صلى الله عليه وآله)، فيأتونني فأقول أنا لها.فأستأذن ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لاتحضرني الآن. فأحمده بتلك المحامد وأخرُ له ساجداً فيقول يامحمد- أرفع رأسك وقل تُسمع، وسل تعطه، وأشفع تشفع...» والحديث طويل[٣] وفيه فروق يسيره، قال أيضاً : إن هذا المقام هو مقام الأخذ من الله تعالى بلاواسطة كما جاء في أسرار الآيات تفسير ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[٤].

---

١. المصدر نفسه، ج١ ص٧٥

٢. القسطلاني، شهاب الدين، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١٢، ص٣٣٦.

٣. انظر: السيوطي، عبد الرحمن، تفسير الدر المنثور، ج٥، ص٣٢٦.

٤. الشيرازي محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٩٦.

ثانياً- مقام ميزان الأعمال

يصل الإنسان إلى مرتبة ومقام يصير فيها مقياساً للأعمال الصحيحة والخاطئة، فبه توزن الأعمال، وبه يحدد مصيره الأخروي الجنة أو السعير. فعندما يكون الإنسان كاملاً تتساوى عنده القوة العملية والنظرية، يصبح عندها ميزان الأعمال، وقد وضح ملاصدرا عن معنى الميزان الذي يُقَوَم به الناس يوم القيامة إذ قال في تفسير ﴿**لَقَد أرسَلنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَأَنزَلنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالميزانَ لِيَقومَ النّاسُ بِالقِسطِ**﴾[1] «العدالة عبارة عن هيئة حاصلة تحصل به حسن وجه النفس، وهي فضيلة متضمنة لجميع الفضائل الخلقية، وتناسب جميع الهيئات البدنية...ويعبر عنها بالميزان لإشتراكها معه فيما يعرف به مقدار الشئ»[2] إذا كان المقياس أو الميزان يوم القيامة يقاس بالأخلاق فكيف إذا كان الإنسان كاملاً وإنه صاحب الخلق العظيم فبه توزن الأعمال. فلايعني الميزان يوم القيامة هو قياس الشئ الموزون بالكمية كما في الدنيا، فالميزان ميزان وإنّ أختلفت الماهيات «والموازين لايجب أن تتساوى في الذّات والماهية، بل في كونها ميزاناً، وإنها مما يعرف به حال الشئ كمية أو كيفية، فالإسطرلاب ميزان، والمسطرة ميزان..والمنطق ميزان، والنحو ميزان لإشتراك جميعها بما يعرف بالميزان»[3] أما الميزان

---

١. الحديد، ٢٥

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٦، ص ٢٨٥-٢٨٦

٣. نفس المصدر، ص٢٨٦

الذي نتكلم فيه فسيكون بصورته المناسبة في النشأة الأخروية أما في الدنيا فممكن أن تقارن نفسك بذلك الميزان هم محمد وآل محمد، فإذا كان عملك كعملهم كنت على الصراط المستقيم وكلما بَعُدَّ بعُدتّ عن الصراط المستقيم، وهذا بيان تسمية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالصراط المستقيم، كونه ميزان الأعمال. وفي رواية في شرح أصول الكافي «جاء أبن الكواء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وسأله عن قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كل بسيماهم﴾[1]، فقال: نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذي لايُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يعرفنا الله عزوجل على الصراط، فلايدخل الجنة إلا من عرفناه، ولايدخل النار إلا من أنكرناه»[2] فهم الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله.

---

١. الأعراف، ٤٦

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج٤، ص٣٨٦.

خلاصة الفصل

١- حسب المراتب الوجودية للعرفاء كان للإنسان الكامل ظهورات ومصطلحات خاصة حسب حضوره في كل مرتبة، منها مرتبة التعين الأول كان حضوره فيها بعدة مصطلحات منها النفس الرحماني والوجود المنبسط والحقيقة المحمدية والعقل الأول و الحقيقة الآدمية، أما مرتبة التعين الثاني فكان ظهوره بالنفس الكلية التي هي منفعلة من العقل الأول، وأما في مرتبة التعينات الخلقية فكان برزخاً وكلمة فاصلة جامعة وغيرها، وفي مرتبة الكون الجامع والمظهر الأتم فكان ظهوره على شكل وجود عنصري ماراً بجميع المراتب الحقية فظهر بصورة مظهر أتم عنصري وروحي كاملاً متكاملاً. فكان محمداً، وعبد الله وكتاباً جامعاً.

٢- كانت للإنسان الكامل عند ملا صدرا خصائص وجودية تكوينية تشمل ظل الله ومظهر اسم الله الجامع وجامع للنشآت وخليفة الله والنفس

٣- بالنسبة إلى المقامات كان للإنسان الكامل عند ملاصدرا مقامات قبل الدنيا كواسطة الفيض والحقيقة المحمدية وأضاف ملاصدرا مقامين آخرين مثل خليفة الله السماوي ومسجود الملائكة ومقام أول تعلق روحه بالبدن كما ذكر ذلك في تفسيره. ومقامات في الدنيا على غرار ما كانت عند ابن عربي وكذلك مقامات بعد الدنيا.

الفصل الرابع

مقارنة بين رؤية ابن عربي ورؤية ملاصدرا تجاه الإنسان الكامل

- المبحث الأول: نقاط التشابه بين رؤيتي ابن عربي وملاصدرا والمحاكمة بينهما
- المبحث الثاني: نقاط الاختلاف بين رؤيتي ابن عربي وملاصدرا والمحاكمة بينتهما

المقدمة

يتضمن هذا الفصل نقاط الاختلاف والتشابه بين ابن عربي وملاصدرا في الرؤية العرفانية للإنسان الكامل من خلال تفسيريهما.وقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: نقاط التشابه بين رؤية ابن عربي وملاصدرا تجاه الإنسان الكامل والمحاكمة بينهما.

المبحث الثاني: نقاط الاختلاف بين رؤية ابن عربي وملاصدرا تجاه الإنسان الكامل والمحاكمة بينهما.

المبحث الأول:

نقاط التشابه بين ابن عربي و ملاصدرا تجاه الإنسان الكامل

في هذا المبحث النصوص المتشابه في التحليل سوف نحللها ولكن لانذكرها بالنص وذلك لإنه في مبحث الاختلاف سيكون هناك اختلاف في النصوص وتشابه في التحليل سوف نذكرها عندها.إلا ماتطابق نصاً والنقاط التي لم تذكر في هذا المبحث ستذكر في مبحث الاختلاف.

المطلب الأول: التشابه في سيرة حياة كل من ابن عربي وملاصدرا

هناك بعض النقاط في سيرة حياة العلمين تدعونا لذكرها وهي:

أولاً- اختيار الطريق

يتشابه ملا صدرا مع ابن عربي في نقطة من حياتهم بأنهم ولدوا من أبوين ثريين مع ذلك أختاروا حياة الزهد والعلم، فقد كان ممكن لشباب في عمرهم الانخراط في مشاغل الحياة وملذاتها، ولكن دفعهم أدبهم وحسن تربيتهم و دفعهم أتجاههم ورغبتهم لمعرفة الحقيقة فصرف عنهم ملذات الحياة فلم تكن عندهم ذات قيمة أو طعم، حيث كان والد ابن عربي من

أسرة ثرية من سلالة حاتم الطائي يهتم بالعلم والفلسفة، وكذلك والد ملاصدرا كان رجلاً ثرياً يعمل في سلك الدولة. ولكن الانجذاب نحو العلوم الكشفية والإشارات الربانية كان لديهم أقوى من متاع الدنيا الزائل. توضح هذه النقطة بيان حياة الزهد التي يعيشها العرفاء ودورها في الحصول على المعارف، حيث أنصرفوا عن ملذات الدنيا ومتاعها.[1]

ثانياً- الخلوة والانقطاع

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي أن لكل منهما حالات من الانقطاع عن الناس ، فهذا ابن عربي قد كان يتخذ بيتاً صغيراً بعيداً عن أهله للخلوة مع الله تعالى والتضرع إليه، كذلك الملاصدرا الذي نفي إلى مدينة كهك في جبال قم حيث أنقطع عن الناس ونزلت عليه الفيوضات وتفرغ للمجاهدة وقبول الفيض الإلهي وانكشاف النور.حتى قال في الأسفار «لما بقيت على هذا الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال.. اشتغلت نفسي لطول المجاهدات اشتغالاً نورياً والتهب قلبي لكثرة الرياضات»[2]

---

١. راجع: الحكيم، سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ج١، ص١٣-١٥؛ الزنجاني، ابو عبد الله، مقالات في تاريخ القرآن الكريم وصدر المتالهين، ص١٤٤

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة (تحقيق حسن زادة)، ج ١، ص١٤.

ثالثاً-

إن التفسيرين لابن عربي وملاصدرا كانا قد جُمعا من كتبهما أي انهما لم يكتبا تفسيرهما في حياتهما فقد جمع تفسير ابن عربي من الفتوحات والفصوص وكذلك ملاصدرا من الأسفار الأربعة وشرح أصول الكافي وغيرها.

رابعاً-

ضخامة المنتوج العلمي: لكلا العلمين منتوج علمي ضخم، فقد بلغ المنتوج العلمي لابن عربي ثمانمائة عنوان بين كتب ورسائل فهو من أكثر العلماء تأليفاً وكتابة، أما ملاصدرا على الرغم من إن مؤلفاته لاتصل إلى منتوج ابن عربي ولكنه يعد من أصحاب الثراءالعلمي.[١]

المطلب الثاني: التشابه بين ابن عربي وملاصدرا في منهج في فهم القرآن

في منهج فهم القرآن عند العلمين تشابه كبير نوضحه في النقاط الآتية:-

أولاً- يستخدم ابن عربي في تفسيره للقرآن الكريم المنهج الإشاري وكذا هو منهج ملاصدرا إذ إن منهجه عرفاني وهو منهج إشاري أيضاً،

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، ج١، المقدمة؛ راجع: الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، ج٤، ص٤٣٦.

وفيه:-

١- يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في أخذهما بأسرار البطون وفي الوقت نفسه لايتركون الظاهر.

٢- إن ابن عربي يجوز التفسير الإشاري لأولياء الله فقط، وكذلك ملاصدرا يقول بجواز التفسير الإشاري لمن طهرت روحه [١]

٣- يوجد في تفسير العلمين إشارات ذوقية تدلل على أعتمادهم على المكاشفات، يطلق عليها ابن عربي (إشارة) وكذلك ملاصدرا يوجد في تفسيره كثير من الإشارات الذوقية يضعها تحت عناوين كثيرة منها (إشراق، تاييد عرفاني، أنوار رحمانية، تحقيق عرشي، إشراق شمسي، إشراق عرشي، نور قمري، ظل قمري، هداية عقلية، إفتتاح كشفي، إشراق نور برهاني و سرقرآني، أشارة قرآنية، تفريع شهودي، كشف إلهامي، مكاشفة قلبية، بصيرة قلبية، مكاشفة برهانية، مكاشفة فيها إشارات، إشراق أفاضي) وهذا يدل على الاهتمام بالإلهامات ودخولها في عالم التفسير لدى كل منهما[٢]

ثانياً- يتشابه العلمان بالمصادر التفسيرية (القرآن، الروايات، الكشف

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص١٦.

٢. هذه المصطلحات موجودة عند ابن عربي وملاصدرا في تفسيريهما بعد ان يتطرقون فيها الى المعنى اللغوي وآراء المفسرين إن وجدت، نشاهدهم يأتون بمكاشفة أو إشارة تحت هذه العناوين بالخصوص ملاصدرا انما كان ابن عربي يقتصر على إشارة.

والشهود)[١]

ثالثاً- يقول ابن عربي في إن ليس للتأويل حد، مضمون مايقوله أن الله تعالى أنزل القرآن وهو عالم لمن أنزله حيث أختلاف قابليات الناس في الفهم من جهة ومن جهة أُخرى أن الإنسان هو بين صعود وهبوط في المقامات، فلكل وقت ولكل مرتبة وسلوك ودرجة فهم خاص من المراد القرآني فما كلفهم سوى مافهموا عنه. نلاحظ لملاصدرا شبه كبير بمضمون مايقوله ابن عربي، حيث يشبه القرآن الكريم بالمائدة النازلة من السماء ألوانها مختلفة، وطعمها منوع، ففيه حكمة وبرهان لأصحاب العقول، وفيه موعظة وخطابة لقوم معينين، وفيه أغذية متوسطة من الكثافة واللطافة، على حسب المرام والمقام إلى أن تنتهي إلى القشور والنخالة، فكل يفهم القرآن على حسب مرتبته ومقامه، وهذا مفهوم ابن عربي نفسه اي ليس للتأويل حد.[٢]

المطلب الثالث: نقاط التشابه بين ابن عربي وملاصدرا في تعريف الإنسان الكامل

استخدم ابن عربي وملاصدرا في تعريف الإنسان الكامل حسب ظهوراته في المراتب الوجودية إصطلاحات واحدة مثل(النفس الرحماني، الوجود المنبسط، العقل الأول، النفس الكلية، الروح الأعظم، الحقيقة المحمدية، آدم، الكتاب، الكلمة، الوجيز، البرزخ، الكون الجامع، المظهر

---

١. راجع: اسدي نسب، محمد علي، المناهج التفسيرية، ص٤٣٢-٤٣٣-٤٣٥

٢. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، ج١، ص٦؛

الأتم، الكلمة الفاصلة)

أولاً- على مستوى النص

لاتوجد نصوص متطابقة

ثانياً- على مستوى التحليل

١.تعريف النفس الرحماني

على الرغم من تعدد العبارات في تعريف النفس الرحماني ولكن من حيث المفهوم والمقصود واحد، إذ إن المفهوم من النفس الرحماني هو الشمول والإطلاق لكل التعينات والسراية فيها جميعاً، وهو تمام التجليات والتعينات [١]، إلى هنا يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في تعريف معنى النفس الرحماني ولكن الاختلاف سنذكره في مبحث الاختلاف

٢. الحقيقة المحمدية

في تحليل النصوص عند العلمين في تعريف الحقيقة المحمدية وجدنا أن الحقيقة المحمدية هي أول ماخلق الله ومنه خلق كل شئ فهي المفيضة على الممكنات فهما متشابهان في هذا الأصل إذ استدلوا بالحديث الشريف(أول ماخلق الله نوري)، كما يتشابه الأثنان بأن أقرب الناس إلى هذه الحقيقة هو سره علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كذلك نلاحظ إن

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٩١؛ راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج١، ص١١٩

ملاصدرا يطلق على هذا المقام مصطلح الحقيقة المحمدية البيضاء والعلوية العلياء.[١]

٣. العقل الأول

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في أن العقل الأول هو الحقيقة المحمدية وأنه القلم والعرش ومن ناحية التسميات، وقال ابن عربي أنه مسجود الملائكة كونه الحقيقة المحمدية[٢]

٤. الروح الأعظم

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في أن الروح الأعظم هو روح الخاتم (صلى الله عليه وآله) وقد جاء في تفسير ابن عربي ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ الأب في الولادة الدينية، فلذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه في هذه الولادة المعنوية النفوس الطاهرات الصالحات لأن تكون مورداً لأسراره، وهم الرجال العلماء، والمؤمنون ليسوا رجالاً بهذا الاعتبار لأنهم أطفال في الرضاع...وانفر إلى رحمك الديني الذي هو أولى بك من نفسك، قال تعالى في الرحم الديني(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[٣]. وعند ملاصدرا ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن، ج٤، ص٣٨٩-٣٩٩؛ راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، عثمان يحيى، ج٢، ص٢٢٧

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص ٤٥٠؛ راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن ج٢ ص٤٥٥.

٣. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٧٨-٣٧٩

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[١]، المراد بالمؤمنين هم العارفون الذين صارت نفوسهم عقولاً بالفعل، والعقل بالفعل هو الموجود الحقيقي...والنبي بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية...وعلة الشئ أولى بنفس ذلك الشئ من نفسه، فلو لم يكن روح النبي (ص) علة لوجوداتهم الحقيقة لم يكن أولى بهم من انفسهم، فهو الأب الحقيقي، لذلك كانت أزواجه أمهاتهم مراعاتاً لجانب الحقيقة. وإن كانوا قد تشابهوا في الرأي حول تفسير هذه الآية إلا إن هذا التفسير لملاصدرا هنا كان بعيداً عن ظاهر القرآن أو إن التفسير غير صحيح لإنه عد النبي أباً حقيقياً للمؤمنين ودلل على ذلك بأمومة أزواجه، وهو ما لايتفق مع النص القرآني الذي ينفي أبوة النبي لهم، كما في قوله تعالى ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ واذا قيل إن الآية الأخيرة لاتتحدث عن الأبوة الحقيقية، فهل كانت الأولى تتحدث عن الأبوة والأمومة الحقيقيتين.[٢]

٥. الكلمة

يعني ابن عربي بالكلمة وهي الحقيقة المحمدية، فهي الكلمة الوجودية التي خلق الله بها ومنها كل شئ وتمت بها باقي الكلمات، والمعنى نفسه عند ملاصدرا فهو كلمة فاصلة جامعة.[٣]

---

١. الأحزاب، ٤٠

٢. راجع: محمد، يحيى، حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني، موقع فهم الدين.

٣. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ج٢، ص٤؛ راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٦٨

٦. الكتاب

يعرف ابن عربي الإنسان الكامل بالكتاب كونه الكتاب الذي يجمع كل العوالم الكلية والجزئية أي من العقول والنفوس والأعراض والجواهر فهو من حيث عقله (أم الكتاب) ومن حيث قلبه (اللوح المحفوظ) ومن حيث نفسه (كتاب المحو والإثبات)، وهذا عينه ماذكره ملاصدرا في تعريف للكتاب.[١]

٧. الكون الجامع

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في إن الكون الجامع يجمع كل المراتب الوجودية الحقية والخلقية. واستدل ملاصدرا بالحديث الشريف(اوتيت جوامع الكلم)، كما استدل ابن عربي بهذا الحديث في مواطن كثيرة.[٢]

٨ الوجيز

يعرف ابن عربي الإنسان الكامل على أنه الكتاب المختصر الذي يختصر كل الكتب أو كالآية المختصرة التي تجمع كل الآيات فهو كالعالم الصغير الذي يجمع كل العالم، وفيك أنطوى العالم الأكبر، وكذلك كان

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٩٦.

٢. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، التعريفات، ص١٧؛ الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٤، ص٣٩٨

لملاصدرا نسخة المعنى حتى أنه قال من عرفها فقد عرف الكل ومن جهلها فقد جهل الكل لأنه مختصر ووجيز.[١]

٩.آدم

آدم أوالحقيقة الآدمية يشترك العلمان في كون المراد من آدم في الآية(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) إنه ليس آدم أبو البشر ولكن هوآدم الملكوت الخليفة السماوي والأرضي، وليس المراد من آدم، خليفة الله النبي، إنما هي الحقيقة الأولى التي خلق منها النوع الإنساني، فآدم هو رب النوع الإنساني.[٢]

ثالثاً- التشابه على مستوى الأدلة

١. في النفس الرحماني

يستدل ابن عربي بالآية القرآنية ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، وكذلك ملاصدرا استدل بها وبالآية ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ وكانت قريبة لظواهر القرآن. نلاحظ إن العلمين استدلوا بالآية نفسها وأضاف ملاصدرا آيات أُخرى .

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٤٩؛ راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (اربع مجلدات)، ج٢، ص ١٥٠.

٢. أنظر: القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، ج١، ص٣٠٦؛ راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص ٤٥٠.

٢ . الحقيقة المحمدية

يستدل العلمان بالحديث(اول ماخلق الله نوري)

٣ . الروح الأعظم

يستدل ابن عربي بالآية ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ وكذلك ملاصدرا يستدل بالآية نفسها.

٤ . الكلمة

يستدل ابن عربي بالآية«قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» اما ملاصدرا فلم نجد له استدلال على هذا الموضوع.

٥ . الكون الجامع

يستدل ابن عربي بالحديث (أوتيت جوامع الكلم) وكذلك ملاصدرا.

المطلب الرابع: التشابه بين رؤية ابن عربي وملاصدرا في خصائص الإنسان الكامل

عند ابن عربي وملاصدرا خصائص للإنسان الكامل متشابه منها ماكان في نص الآيات القرآنية، ومنها ماكان في بعض النصوص المتطابقة، ومنها ما كان في تفكيك العبارة أو التحليل.

أولاً- على مستوى النصوص

روح العالم

في هذه الخاصية ذكر ملاصدرا في تفسيره هذه العبارة نصاً (إن الإنسان الكامل سبب إيجاد العالم وعلة بقائه أزلاً وأبداً، دنيا وآخرة) وكان قد ذكرها ملاصدرا على إنها لأحد العرفاء فلما بحثنا وجدنا نص العبارة، وقد نقلت عن ابن عربي في شرح فصوص الحكم للقيصري [1]، إلاعن كلمة مضافة، ونص العبارة(إن الإنسان الكامل سبب أيجاد العالم وبقائه وكمالاته أزلاً وأبداً دنيا وآخرة)

وفي تلك الخاصية نفسها في تفسير الآية ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾ حيث جاء في تفسيرها عبارة(الإنسان الكامل على حقيقة الحق المخلوق به أي المخلوق بسببه العالم وذلك لأن الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم)وهذه نص عبارة ابن عربي في الفتوحات المكية.[2] وقد ذكر

---

١. انظر: القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق حسن زادة آملي، ج ١، ص ٣٢٥

٢. انظر، ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، ج٢، ص٣٩٦

ملاصدرا إن هذه العباره لابن عربي في تفسيره.

ولاتوجد نصوص أُخرى متشابه

ثانياً- على مستوى التحليل

١. روح العالم

يتفق ملاصدرا مع ابن عربي في إن الإنسان الكامل هو روح العالم فبدونه يموت العالم، كما إن البدن لايعيش من دون روح كذلك العالم لايبقى من دون إنسان كامل.[1]

٢. الخليفة

في بحث الخلافة نجد إتفاق كبير لملاصدرا مع ابن عربي كون الخليفة هو من ينوب عن الحق، هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى لماذا كان هذا الإنسان خليفة؟ فكانت الأسباب عند ابن عربي تتلخص في:

١- كونه على الصورة الإلهية.

٢- لأنه مقابل للحضرتين أي برزخ بين الوجوب والإمكان (له جهتان)

٣- لأنه مظهر أسماء الله تعالى وصفاته فهو المظهر الأتم

---

١. انظر: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥٢٧.

إلى هذه الأسباب يتشابه ملا صدرا مع ابن عربي[١] أما الاختلافات فسنذكرها في مبحث الاختلافات

٣. الأمانة الإلهية

أ- ما معنى الأمانة عند العلمين إذ يتشابه العلمان في معنى وتحليل معنى الأمانة رغم أختلاف بعض المصطلحات، حيث قال ابن عربي إن معنى الأمانة هي النيابة عن الحق ويقصد مقام الخلافة والولاية، أما ملاصدرا فقال أنها الفيض الإلهي بلا واسطة والفناء في الله وماهذه المعاني إلا وهي عينها الخلافة والولاية.[٢]

ب- سبب كون الإنسان حاملاً لها؟ يقول ابن عربي حملها الإنسان لإنه كان على الصورة الإلهية ففيه قوة تلك الصورة فحمل الأمانة، أما ملاصدرا فيقول لأن هذا الإنسان كان منقطعاً عما سوى الحق تعالى وعدم إنشغاله ألافي طاعة الله، وما هذه الصفات إلا لمن كان على الصورة الإلهية وهو الإنسان الكامل، فيتحقق بذلك الاتفاق بين العلمين.[٣] ويوافقهما الرأي الأردبيلي واللاهيجي في تحليل جميل للأمانة «أبت كل الموجودات حمل

---

١. أنظر: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص ٣٠٠. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص٩٦

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢٥٣؛ راجع: ابن عربي، محمد بن علي، تفسيررحمة من الرحمن، ج٣، ص٤١٨

٣. راجع نفس المصدر، ص٢٥٦.؛ راجع نفس المصدر.

هذه الأمانة؛ لأنها كانت تفتقد الإمكانية والاستعداد لحملها فحملها الإنسان لإمتلاكه إمكانية حملها؛ فحقاً كان الإنسان ظلوماً جهولاً ، وهذا غاية المدح ، وإن ظهر على شكل ذم؛ أن الإنسان هو آخر التنزلات ونهاية الظهورات، وهو الذي لم يخلق بعد مرتبته اي موجود آخر؛ وبما إن له جانباً ظلمانياً وعدمياً فلذا كانت له قابلية ظهور كل الأسماء وصفات الحق فيه؛ فوصفه حاملاً للأمانة الجامعة، هو عين المدح حتى لو كان ذلك بسبب الظلم والجهل[١]

٤ . النفس الواحدة

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في أن النفس الواحدة التي خلق منها النوع الإنساني ، هي النفس الإنسانية والحقيقة المحمدية هي ربّ النوع الإنساني. ومما يؤيد رأي العلمين هو ماقاله الطباطبائي في سر القلب «فإن النفس الإنسانية الواحدة، وان كانت حسب الظهور متأخرة عن كثرات العالم الإمكاني، لكنها متقدمة حسب المرتبة؛ فبحسب المرتبة كانت كل الموجودات منذ البدء ، في نفس الإنسان الواحدة، ومن ثم ظهرت منه بدرجات مختلفة ، واصبحت آلات ظهوره. لكي يظهر، هي الإنسان آخر الأمر»[٢] اما باقي التفاصيل فستذكر في مطلب الاختلاف لوجود بعض الاختلافات في التفاصيل الجزئية والمصاديق، فهنا يمكن أن تواجهنا شبهه

---

١. اللاهيجي، شمس الدين، مفاتيح الإعجاز، ص٦٥؛ انظر: الأردبيلي، شرح جلشن راز، ص١١٧

٢. الطباطبائي، محمد حسين، سر القلب تقرير البيانات الشفاهية، ص١٤٥

فإذا كانت كل النفوس من نفس واحدة وهذه النفس هي نفس الحقيقة المحمدية إذاً لماذا نرى مايصدر من النفوس من أفعال قبيحة ولاتكون كلها طاهرة؟ يجيبنا ابن عربي في كتاب كنوز الفتوحات المكية «فلما كان أصل النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبيها ولم يظهر لها عين إلا بوجود هذا الجسد الطبيعي، فكانت الطبيعة الأب الثاني خرجت ممتزجة فلم يظهر فيها إشراق النور الخالص المجرد عن المواد ولاتلك الظلمة الغائية التي هي حكم الطبيعة»[١]

ثالثاً: التشابه على مستوى الأدلة

١. خليفة الله:

يستدل ابن عربي في الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ و ﴿هوالذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أما ملاصدرا فيستدل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ و ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يتشابه هنا العلمان في الاستدلال على الخلافة الإلهية. ويضيف ملاصدرا آية الأمانة كونه يعد الأمانة هي الخلافة الإلهية.

---

١. مجموعة علماء، كنوز الفتوحات المكية، ج١، ص٤٥

٢. على صورة الحق

يستدل العلمان بالحديث (خلق الله آدم على صورته) أما غير هذا الحديث سنذكره في مطلب الاختلاف.

٣. ظل الله

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ و ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ وملاصدرا يستدل ايضاً ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ و ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾

٤. مظهر أسم الله الأعظم

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ أما ملاصدرا ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾ و ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ و، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ .

٥. الأمانة الإلهية

يستدل ابن عربي ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وكذلك ملاصدرا يستدل بتفس الآية .

٦. علم الغيب

يستدل ابن عربي بالآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وكذلك ملاصدرا استدل بنقس الآية.

المطلب الخامس: التشابه بين ابن عربي وملاصدرا في مقامات الإنسان الكامل

أولاً- التشابه على مستوى النصوص

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في المقامات في نص عبارة ابن عربي حول الولاية العامة والخاصة وتعريف الولي. فقد جاء في معنى الولاية العامة عند ابن عربي(هي لكل من آمن بالله) وذلك نصه عند ملاصدرا ، أما في الولاية الخاصة يقول ابن عربي(هي الفناء في الله) وهذا أيضاً نص ماموجود عند ملاصدرا، أما في تعريف الفاني، فيقول ابن عربي الولي (هو الفاني في الله) وكذلك هذا التعريف نص ماجاء به ملاصدرا. وكذلك يتشابه في نص تعريف الولاية مع القيصري حيث عرفها ملاصدرا: (إن الولاية مأخوذه من الولي وهو القرب ولذلك يسمى الحبيب ولياً لكونه قريباً من محبه) وهذا نص تعريف القيصري.[١]

---

١. راجع: ابن عربي محمد بن علي، رحمة بن رحمن، ج٢، ص٣١٠-٣١١؛ راجع الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٤٨٧-٤٨٨

ثانياً- التشابه على مستوى التحليل

١. الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية: هو المقام الذي وصل إليه النبي الخاتم وآل بيته (عليهم السلام)، وهو مقام أول ماخلق الله نوري، وقد تشابه ملاصدرا مع ابن عربي فيه. إن هذا المقام عند ملاصدرا وصل إليه الخاتم والإمام علي (عليه السلام) ونرى ابن عربي أيضاً يذكر ذلك بقوله (وأقرب الناس إليه علي بن ابي طالب).[١]

٢. واسطة الفيض

هو الواسطة بين الحق والخلق، يأخذ من الحق ويفيض للخلق وقد تشابه العلمان في معناها[٢].

٣- الولاية

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في كون الولاية تعني القرب وهو قريب من المعنى اللغوي إذ يقول:

١- الراغب الأصفهاني «أن يَحْصُلَ شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، و يستعار ذلك للقرب من حيث المكان، و من حيث النّسبة،

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٢٣٤.
٢. راجع: نفس المصدر، ج٢، ص٣٠٢.

و من حيث الدّين، و من حيث الصّداقة و النّصرة و الاعتقاد، والْوَلاَيَةُ النُّصْرةُ، والْوِلايَةُ: تَوَلّي الأمرِ، و قيل: الْوِلايَةُ و الْوَلايَةُ نحو: الدِّلالة والدَّلالة، و حقيقته: تَوَلّي الأمرِ»[١]

٢- المصطفوي «أصل صحيح يدل على القرب، ومن مفاهيمه: القرب، الحب، النصر، المتابعة»[٢]

٣- الكاشاني في لطائف الأعلام «الولاية: مشتقة فى الأصل من الولاء و التوالى و هو أن يحصل شيئان، فصاعداً، حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، و حيث كان هذا هو معنى القرب، استعملت هذه اللفظة فى القرب على أختلاف مفهوماته النسبى منه و الحقيقى و التوابى، و فى تولى الأمور و نحو ذلك و فى لسان التحقيق هو بمعنى القرب أيضا، و ذلك لما علمته فى باب النبوة من كون الولاية عبارة عن التحقق بحقيقة النقطة الاعتدالية المنسوبة إلى كليات الأسماء والحقائق الإلهية على الوجه الذى بينته هناك.[٣] ويؤيد كلامهما الإمام روح الله الخميني رحمه الله «فإن الولاية هي القرب، أوالمحبوبية، اوالتصرف، أوالربوبية، أوالنيابة.»[٤]، فيمكن فهم قول سيد الموحدين «كنت مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً»[٥] فنستنتج من

---

١. الأصفهاني، الحسين بن محمد، الغريب في مفردات اللغة، ص٨٨٥.

٢. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ج١٣، ص٢٢٣-٢٢٥.

٣. راجع: القاشاني، عبد الرزاق، لطائف الأعلام، ج٢، ص٧١٨.

٤. الخميني، روح الله، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص٣٦.

٥. نفس المصدر، ص٨٤

ذلك القرب من ظواهر القرآن في التفسيريين لمعنى الولاية.

٤ . العبودية

يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي كون العبودية مرتبة يصلها الإنسان الكامل عندما يفنى في الحق، وينصرف عن الدنيا، ويكون عبداً محضاً للحق تعالى عندما يكون فقيراً إليه سبحانه محتاجاً له على الدوام.حيث يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في معاني العبودية إذ تعني الفقروالحاجة لله. وتعني الرضا والتسليم لقضاء الله، والصبر ومظهر أسماء الله تعالى.وأن العبودية للخاتم (ص)أعلى وأشرف من الولي.ويضيف ملاصدرا معنى آخر وهو الفناء.

٥ . مقام كن

لهذا المقام معنيان تكويني تسخيري والآخر وجودي، في المعنى التسخيري نجد إن هذا المقام للخليفة الذي هو على الصورة الإلهية المتخلق بأخلاق الله فلا فرق بين التفسيرين، وكذلك في المعنى الوجودي وهي كلمات الله تعالى أطلقها من النفس الرحماني فكان الكون كله كلمات من الحقيقة المحمدية فلافرق بين التفسيرين فجاء المعنى مطابق تماماً وأن أختلفت الآيات المفسرة.ومن المؤيد لهذا المعنى الوجودي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة(يقول لمن أراد كونه كن فيكون،

لابصوت يقرع ولابنداء يسمع، وانما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه)[١].

٦. مقام قاب قوسين

يعتقد ابن عربي بأن هذا المقام هو من أهم المقامات وأن الإنسان الكامل وصل إلى هذا المقام بعدة أمور منها:

١- وهو مقام القرب ولايصل أحد إلى هذا المقام إلا فرداً

٢- لايحصل إلابمفارقة الحوادث والتجرد عنها والفناء في الله

٣- هذا المقام يختص بالخاتم (صلى الله عليه واله) لاأحد قبله ولابعده. أومع وارثه

٤- وهو المقام الذي يصل اليه الإنسان الكامل بقرب الفرائض أي بجذبة من الحق تعالى

أما ملاصدرا فيقول: إن هذا المقام من أهم المقامات وهو جامع لجوامع كل المقامات، ويصل اليه الإنسان الكامل بعدة أمورمنها:

١- لايحصل إلا بالانقطاع عن صوارف الدنيا وعدم الانشغال بما سوى الحق، والفناء فيه سبحانه

٢- بمقام قرب الفرائض الذي يحصل بجذبة من الحق وهو السلوك الحبي ويختص بالخاتم (صلى الله عليه واله) وآل بيته عليهم السلام.

---

١. راجع نهج البلاغة، خطبة، ١٨٦.

نستنتج بوجود أتفاق كبير بين ملاصدرا وابن عربي في شرح هذا المقام ، وهناك نقاط اختلاف نذكرها في محلها. وفي هذا المقام، نرى التشابه في شمول ووصول هذا المقام فعند ابن عربي إن هذا المقام وصل إليه محمد(ص) وأهل بيته ووارثه والدليل قوله في تفسيره محمد رسول الله (صلى الله عليه واله) ووارثه لما دنا من الرفيق الأعلى، فتدلى إلى المقام الأجلا)، وكذلك نرى ملاصدرا يوسع دائرة ذلك المقام، ويقول: (والمقام المسمى بمقام أوأدنى، فهي الخاصة الختمية المحمدية والآلية) إذ يقول أن أهل البيت عليهم السلام قد وصلوا ذلك المقام.[1]

٧ . مقام الشفاعة:

يرى ابن عربي إن مقام الشفاعه هو المقام المحمود الذي وعِد به الخاتم (صلى الله عليه واله) من الحق عزوجل.

كذلك ملاصدرا فيعتقد إن هذا المقام هو المقام المحمود وهو من أجَلّ مراتب الحمد وهي حقيقة الخاتم (صلى الله عليه وآله). يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في إنه المقام المحمود الذي وعد الله به حبيبه(ص) [2] أما الاختلاف ببعض التفاصيل ستُذكرلاحقاً.

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القران الكريم، ج١، ص٤٧١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٢١٤.

٢. راجع، نفس المصدر، ص٦٧.؛ انظر نفس المصدر؛ ابن عربي، الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج٢، ص ٨٧ / جمع المحامد كلها لمحمد ص يوم القيامة

٨ . مقام ميزان الأعمال

يعد ملاصدرا ميزان الأعمال يوم القيامة هو إتباع السبيل والإتباع يتحقق باتباع الإنسان الكامل أما ملاصدرا فقد أوضح أن ميزان الأعمال يوم القيامة باتباع الصراط المستقيم الذين هم محمد وال محمد (ص) فلافرق في المعنى .

ثالثاً- التشابه على مستوى الاستدلال

١ . الحقيقة المحمدية

يستدل ابن عربي بالآية ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وكذلك يستدل بها ملاصدرا ويضيف الآية ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

٢ . واسطة الفيض:

يستدل ابن عربي بلآية ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة﴾ وكذلك يستدل بها ملاصدرا ويضيف الآية ﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾

٣ . مقام كن

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ و ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ﴾ ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿وَلَوْ

أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والحديث القدسي (ملكتك سر النون) أما ملاصدرا فيستدل بالآيات ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ و (ان في الجنة سوقاً تباع فيه الصور)

٤ . مقام قاب قوسين

يستدل ابن عربي بالآية ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وكذلك ملا صدرا يستدل بها أضافةً إلى آيات أُخرى وأحاديث سنذكرها في مبحث الاختلاف.

٥ . مقام الشفاعة

يستدل ابن عربي بالآية ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ والحديث «فيلهمني الله محامد أحمده بها لايحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد» كذلك ملاصدرا يستدل بالآية نفسها ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ والحديث «فيلهمني الله محامد أحمده بها لايحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد» و ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ ويضيف ﴿لَقَد اَرسَلنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَاَنزَلنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالميزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وغيرها ذكرت في الاختلاف.

المبحث الثاني:

نقاط الاختلاف بين ابن عربي وملاصدرا

المطلب الأول: نقاط الاختلاف بين ابن عربي وملاصدرا في منهج فهم القرآن

إن منهج ابن عربي هو منهج عرفاني أشاري يعتمد على الإشارات والكشف والشهود حيث يستخدم فيه القواعد العرفانية مثل أهم قاعدة أشتهر بها وهي قاعدة وحدة الوجود وكذلك استخدم البرهان، بينما نرى ملاصدرا منهجه عرفاني أيضا ولكن يستخدم فيه القواعد الفلسفية كونه متبحراً في الكتب الفلسفية، وكذلك العقل والبرهان كونه جمع بين طريقة المشاء العقلية حيث أفكارالشيخ الرئيس العميقة، كما جمع بين آراء الأفلاطونين، وبين مدرسة السهروردي الإشراقية التي تعتمد على الكشف والشهود.إذ لايوجد أختلاف في المنهج إلاأن ملاصدرا يضيف القواعد الفلسفية للمنهج وأستخدم المصطلحات الخاصة بهذا العلم.وهناك رأي للشيخ مصباح يزدي حول الرؤية الفلسفية هي الرؤية التي تعطي رؤية كونية سليمة وهي أعلى من الرؤية العرفانية إذ يقول «إن الطريق الوحيد لكل باحث في علاج المسائل الأساسية للرؤية الكونية وحلها، هو طريق

العقل والمنهج العقلي، ومن هنا فالرؤية الكونية الواقعية هي الرؤية الكونية الفلسفية»[(١)] ومن هنا فإن ملاصدرا عندما وضع هذه الرؤيه ضمن الحكمة المتعالية ممكن أن تكون بذلك أقرب للواقعية.حسب رأي الشيخ اليزدي حفظه الله.

المطلب الثاني: نقاط الاختلاف بين ابن عربي وملاصدرا في تعريفات الإنسان الكامل

وسيكون أيضاً على مستوى التحليل والأدلة فقط ولانذكر النصوص لكثرتها.

أولاً- على مستوى التحليل

١. النّفس الرحماني

وهو أول الصوادر عند ابن عربي، وهو المادة التي خلقت منها الجسمانيات والروحانيات. فهو الصادر الأول عند ابن عربي بينما يعد ملاصدرا حسب قاعدة الفلاسفة العقل الأول هو أول الصوادر، على الرغم من إننا نرى ملاصدرا يعرفه بأنه أول فيض وجودي منبعث من الذات الإلهية ولكنه ليس أول صادر من الحق.. نلاحظ إن ابن عربي لم يكن يعمل بقاعدة الواحد الفلسفية مع ما عمل بها تلميذه القونوي، وبمناسبة ذكر قاعدة الواحد عند الفلاسفة أرتأينا أن لابد من ذكر فرق آخر، هو أننا نجد ابن عربي أحيانا يخالف قاعدة الواحد بسبب بعض التطبيقات الخاطئة عند

---

١. اليزدي، مصباح، دروس في ألعقيدة الأسلامية، ص٥١.

الفلاسفة لهذه القاعدة [١]، ولكن تلميذه القونوي يطبق هذه القاعدة لكنه يختلف في إن المصداق هو النفس الرحماني [٢]

٢. الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية عند ابن عربي وهي حقيقة الخاتم (صلى الله عليه واله) وبعده الوجودي فوجوداً كان هو أول ماخلق الله واستدل بالحديث الشريف (أول ماخلق الله نوري) وهي الحقيقة الأولى التي تقابل العقل الأول عند الفلاسفة.

أما ملاصدرا فالحقيقة المحمدية عنده هي العقل الأول والدليل أنه عرف الحقيقة المحمدية (هي التي ظهرت مرتين مرة في الإدبار ومرة في الإقبال) واستدل بالحديث الشريف (أول ماخلق الله العقل). وهي أول الصوادر كونها هي ذاتها العقل الأول.

٣. العقل الأول

العقل الأول في تعريف ابن عربي هو أول الموجودات وأول ظهور وأول صادر في مرتبة التعين الأول وذلك لإعتقاده إن أول الصوادر هو النَّفس الرحماني، لذلك قال إنه أول موجود ظهر فقير ومقيد، وأننا سبق أن عرفنا النَّفس الرحماني بأنه لايقيده شئ، فيسمى عنده القلم والعرش والروح

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات، ج١، ص٧١٥؛ ج٢، ص٤٥٨

٢. راجع : يزدان بناه ، العرفان النظري ، ص٥٥٩.

الكلي والحقيقة المحمدية.

أما بالنسبة للعقل الأول عند ملاصدرا فهو أول الصوادر وهو الحقيقة المحمدية، وقال إنه أول الصوادر وثاني المصادر، فهو الواحد الذي صدر من الواحد، وهو الإنسان الكامل تبعاً لمنطق السنخية، لأنه لماكان المبدأ الأول عقل محض فلابد من أن يكون الصادرعنه عقلاً أيضاً، ومنه تتوالى العقول المجردة. [١]

٤ . النفس الكلية

نلاحظ في النفس الكلية أن ابن عربي يعرفها بأنها أول موجود أنبعاثي من العقل الأول، وهي للعقل بمنزلة حواء لآدم من هنا كان يقصد ابن عربي إن العقل الأول والنفس الكلي قد أرتبطوا برابط الزواج المعنوي فتوالدت منهم الأرواح لذلك نحن نقول إن محمداً (صلى الله عليه واله) ربّ النوع الإنساني وأب روحاني، كذلك أطلق عليها أسماء مثل اللوح المحفوظ لأنها أول كتاب ينقش عليه القلم فيسطر كل قدر مافي هذا العالم.

نلاحظ إن ملاصدرا في المحتوى يقول بصدورها من العقل الأول وأيضاً حصل بينهما الزواج المعنوي فتوالدت منهما الأرواح، ولكن المصاديق أختلفت عند ملاصدرا إذ إن مصداق النفس الكلية عنده هو

---

١. راجع: الشیرازي، محمد بن ابراهیم، مفاتیح الغیب، ص ٤٥٠؛ راجع: ابن عربي محمد بن علي، رحمة بن رحمن، ج٢، ص٤٥٥.

أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأسماها(العلوية العلياء) وكان يقصد أن العقل الأول هي حقيقة الخاتم والنفس الكلية حقيقة أمير المؤمنين فصار بينهما علاقة الزواج المعنوي فتوالدت منهم الأرواح وكان يستدل بالحديث الشريف (أنا وأنت ياعلي أبوا هذه الأمة) و(أنا وأنت ياعلي من نور واحد)، وأيضاً استدل بالآية القرآنية ﴿وَالسَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ﴾ حيث فسر السماء بحقيقة الخاتم والميزان علي بن ابي طالب (عليهما الصلاة والسلام)، وأيضاً أطلق عليها اسم اللوح المحفوظ وسدرة المنتهى والروح الأمين.

٥ . الكون الجامع

أطلق ابن عربي على الإنسان الكامل اسم الكون الجامع كونه جامعاً:

أ- بين جميع المراتب الأحدية (الأجمالية) والواحدية (التفصيلية) .

ب- جمع بين المراتب الحقية والخلقية فهو واسطة الفيض لكونه برزخ بين الوجوب والإمكان.

ج- جمع بين الربوبية والعبودية فربٌ لما دونه لأنه واسطة الفيض وعبد بحسب مرتبته الخلقية.

د- الجامع لجميع الأسماء الإلهية فهو صورة اسم الله الأعظم فهو على صورة الحق لكونه جامعاً لتلك الأسماء.

هـ- وهو الجامع بين الأسماء الإلهية والصفات الخلقية فكان كوناً جامعاً لجميع العوالم الآلهية والخلقية، الناسوتية واللاهوتية.

و- محيط بجميع مراتب الوجود.

ز- الجامع بين مظهرية الذات ومظهرية الأسماء والصفات.

أما ملاصدرا فكان يرى بأن الإنسان صار كوناً جامعاً لأنه:

أ- جامع لجميع مافي الكتب الإلهية من حيث هو كلمة فهو نور جمعي وجامعٌ إلهي.

ب- جامع لجميع المراتب المحمدية والعلوية والفاطمية ولآلية إلى المهدوية.

ج- جامع لجميع مافي العالم الكبير من جواهر وأعراض والسماء والأرض والنجوم، والملك والجن والحيوان والجنة والنار والكتاب والصراط والميزان وغيرها وجميع ما وجد في العالم من بسائط ومركبات وجواهر وأعراض وأرواح، كان هو العالم في جميع مراتبه، فالإنسان إذاً هو العالم الصغير المطابق للعالم الكبير في مراتبه وحقائقه، ففي العالم الكبير نجد العناصر المعدنية والطبيعية والحيوانية، والإنسان فيه أشياء كل العناصر من برودة وحرارة.

د- لأنه مبعوث لكل العوالم ولكل لسان من الألسنة.

نستنج أن الكون الجامع هو الحقيقة الواحدة نفسها التي هي الإنسان الكامل وهو خليفة الله في الأرض، الجامع لجميع الجوامع و وسع الدائرة هنا ملاصدرا وقال إنه جمع المراتب الآلية كلها.

٦- المظهر الأتم

عند ابن عربي المظهر الأتم هو من تخلق بأخلاق الله تعالى وكان مرآة تعكس صفاته وأسماه ونرى ملاصدرا كونه كثير الاهتمام بالنفس ومراتبها إذ قال إن المظهر الأتم هو مثال الله ذاتاً وصفةً وفعلاً فالإنسان الكامل مثاله ذاتاً وصفةً وفعلاً كون من يريد أن يعرف الله لابد من أن يعرف الإنسان الكامل لذلك قيل (من عرف نفسه عرف ربه) فهو بذلك صار مرآة تعكس صفات الله وأسمائه فيتفق العلمان في معنى المظهر الأتم. فلاطريق لمعرفة الله إلا بمعرفة الإنسان الكامل.

٧ . عبد الله

هذا التعريف عرفه ملاصدرا ولم أجده عند ابن عربي لكن وأن لم يذكره ابن عربي تعريفاً إلا أنه ذكر في إن الإنسان الكامل هو عبد الله مستعينا بالآية القرآنية ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾

ثانياً- على مستوى الأدلة

١ . العقل الأول

يستدل ابن عربي بالآية ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ بينما ملاصدرا يستدل بقوله تعالى ﴿وَ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلى فِي السَّماواتِ﴾ و ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ وهو العلي الحكيم﴾ ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ يستدل في

العقل الأول ابن عربي بآية السجود أما ملاصدرا فأنه يستدل بأنه الكتاب والإمام المبين والإثنان أقرب لظاهر القرآن.

٢ . آدم

يستدل ابن عربي بالحديث(كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) أما ملاصدرا فيستدل بالآية: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً﴾ .

٣ . النفس الكلية

يستدل ابن عربي في إن النفس الكلية هي اللوح المحفوظ كما في الآية ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شئ﴾ أما ملاصدرا فيستدل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ ﴿الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾ ، و قال ﴿والسَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ﴾ و ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾ ، عندما كانت النفس الكلية هي اللوح المحفوظ كان دليل ابن عربي أقرب للظاهر، أما من ناحية الكم فيتفوق ملاصدرا بكثرة الاستدلال بالآيات القرآنية حول النفس الكلية.

٤ . البرزخ

يستدل ابن عربي بلآية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أما ملاصدرا فيستدل بلآية ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلاغَرْبِيَّةٍ﴾

٥ . الكتاب

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿لا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ اما ملاصدرا فيستدل بالآية ﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الإِنْسانِ مِنْ طينٍ﴾ نلاحظ قرب الآيات التي استدل بها ابن عربي من المعنى الظاهر عن ملاصدرا وكذلك كثرة استدلال ملا صدرا بالآيات.

المطلب الثالث: الاختلافات بين ابن عربي وملاصدرا في خصائص الإنسان الكامل

أولاً- على مستوى التحليل

١ . روح العالم

عند ابن عربي قال في تفسير الآيتين ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ قال: «لما أراد الله تعالى كمال هذه النشأة الإنسانية، جمع لها بين يديه وأعطاها جميع حقائق العالم، وتجلى لها في كل الأسماء، فحازت الصورة الإلهية، ...وجعلها روحاً للعالم، وجعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له، فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم، كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان، فالدار الدنيا جارحه من جسد العالم الذي الإنسان روحه[1] وقال في تفسير ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ

---

١. راجع: بن عربي، محمد بن علي، نقش النصوص في نقد النصوص، ص٣

﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: فلولا ماصح لهذا الإنسان أحسن تقويم، وفطر على صورة القديم، لماصح عنه وجود الخلق، ولادان له الملاء الأعلى، ولاظهر بالموقف الأجلى، ولاعنت له وجوه الأملاك، ولادارت بنفسه أجرام الأفلاك[١]

أما ملاصدرا فيقول في تفسير ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾ الإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به، أي المخلوق بسببه العالم، وذلك لأن الغاية المطلوبة بالإيجاد المتقدم عليها ولولاه ماظهر ماتقدم عليه» ويقول «أعلم إن العالم مشتمل على الخلق والأمر، والخلق كله هو قالب العالم والأمر كله هو روح العالم ثم قوام الخلق بالأمر، كما أن قوام القالب بالقلب، فالتعانق بين الأمر والخلق هو حياة الإنسان الكبير والعالم، كما إن التعانق بين الروح والجسد هو حياة الإنسان الصغير وكذا التفارق بينهما موت العالم الكبير والقيامة الكبرى.. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فإذا وقعت الواقعة وقامت القيامة، ورجع الأمر إلى الأمر، إليه يرجع الأمر كله، إليه ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾، ويعود الخَلق إلى الخَلق ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾. فكان سبب وجود العالم هو الإنسان الكامل «إن وجوده سبب لوجودها، وبقاؤه سبب لبقائها ولايقوم المسبب بدون سببه كما هو قاعدة العلة والمعلول»[٢]

نستنتج: عدم وجود أختلاف على مستوى التحليل والمضمون فالمعنى واحد غير إن ملاصدرا أظهر قبلياته الفلسفية في استعمال كلمة

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٤، ص٥١٦.

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص ١٧٠.

العلة الغائية، والعلة والمعلول، كما نلاحظ اختلافاً في الآيات القرآنية ووحدة التفسير.

٢. الإنسان الكامل عين الوجود الإمكاني

ذكر ابن عربي هذه الخاصية في تفسيره في حين لم أجد هذه الخاصية للإنسان الكامل في تفسير ملاصدرا.

٣. النفس الواحدة التي خلق منها النوع الإنساني

ابن عربي قال في تفسير ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ... «فهو (صلى الله عليه واله) أباً لنا في الروحانية كما آدم اباً لنا في الجسمانية، قال (صلى الله عليه واله) في حديث جابررضي الله عنه «اول ماخلق الله نور نبيك ياجابر» فكان (صلى الله عليه واله) النفس الواحدة التي خلق منها زوجها، وبه وجد الوجود، فآدم زوجها من وجه، لإنه أكمل مخلوق مقابل لها في الوجود، فهو بهذه النسبة أم، ثم هو أب بالنسبة إلى ذريته وحواء أم، فهي زوجه، فإن رسول الله (صلى الله عليه واله) آدم أبوة النبوة، كما أن آدم (عليه السلام) آدم أبوة الطين، فكان الخاتم (صلى الله عليه واله) النفس الواحدة والروح الواحدة التي خلقت منها الأنواع الإنسانية. وفي ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وقوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ دليل على إن الأجسام من جسم واحد والأرواح من روح واحدة، تنبيه على إن العالم وجد من واحد، لا إله إلا هو

العليم القدير ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال رسول الله (صلى الله عليه واله) (الرحم شجنة من الرحمن)وقال: (أنا من الله والمؤمنون مني)»[١].

أما ملاصدرا فقال في تفسير ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ جاء في معنى قطع الميثاق ونقض العهد «إن تلك الحقيقة الإنسانية الموجودة قبل هذه الأكوان الترابية في عالم الحضرة الربوبية كانت ذات جهات وحيثيات عقلية تضاعفت عليها من تضاعيف الإشراقات النورية الواجبية، وتضاعيف النقائض الإمكانية، وكثرة الازدواجات الحاصلة بين جهات النور والظلمة والوجوب والإمكان، والكمال والنقصان، فهذه الجهات العقلية هي أسباب كثرة الأكوان لأفراد الإنسان، وهي المعبر عنها بالذرات المستخرجة حسب الفطرة، وفي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: أعلم إن الرحمة الرحيمية التي هي مرتبة العلوية العلياء وأم الكتاب، قد يعبرعنها وتفسير الماهية العينية الكلية الإلهية التي تقابلها الماهية الجهلية السبخية ومنزلتها من الرحمة الرحمانية التي هي الحقيقة المحمدية البيضاء- منزلة حواء من آدم عليهما السلام »[٢] ومن هنا قال (صلى الله عليه واله) (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة) أي الأمة المرحومة.

نستنتج: أ- لايوجد فرق ولكن الفرق بالتحليل في المصاديق إذ يعد

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج١، ص٤٩٠-٤٩١

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٠٠.

ابن عربي النفس الواحدة هي نفسها الروح الواحدة التي خلق منها النوع الإنساني بعد أن حصل الزواج المعنوي الإلهي بين آدم الملكوتي وآدم الملك فكان هو أب روحي، وآدم أبوالبشر أباً للجسم العنصري، بينما كما وضحنا سابقاً يفسر ملاصدرا إن الاندماج صار بين العقل والنفس أي بين الحقيقة المحمدية والحقيقة العلوية فتوالدت الأرواح فكانا أبوا هذه الأمة.

ب- تحديد النفس الواحدة أتفقوا على إنها نفس محمد الخاتم (صلى الله عليه وآله) وقع الاختلاف في زوجها، عند ابن عربي زوجها هو آدم الملكوت، أما ملاصدرا عنده هي العلوية العلياء وكان استدلال ملاصدرا بالحديث (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة) أقرب للحقيقة، بينما نجد في تفسيرآية أُخرى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ ، يرى ابن عربي إن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كونه الأب الحقيقي وأزواجه هم العلماء العاملون، أما ملاصدرا فقد قال أن الأب الحقيقي هو روح النبي (صلى الله عليه واله) وأزواجه أمهاتهم. نعلق على هذا القول إن العارف الفيلسوف ملاصدرا رحمه الله يرى أن النبي أباً حقيقياً للمؤمنين ودلل على ذلك بأمومة أزواجه، وهو ما لايتفق مع النص القرآني الذي ينفي ابوة النبي لهم كما في قوله ﴿ماكان محمدا ابا احد من رجالكم﴾ أما في معنى النفس الواحدة فعند العلامة الطباطبائي «وظاهر السياق إن المراد بالنفس الواحدة آدم (عليه السلام) وزوجها زوجته وهما أبوا هذا النسل الموجود»[١]، من

---

١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج٤، ص٣٨٢

ناحية أُخرى هناك رأي آخر أن المقصود بالنفس الواحدة هي (الحقيقة) أي إن الذكر والأنثى هم من حقيقة واحدة لأن النفس إذا جئنا إلى معناها في الآية ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فهي من قبيل ﴿وَخَلَقْناكُمْ أزْواجاً﴾ لا تشير إلى خلق الإنسان بالخصوص، ولكن بقرينة ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ فهي بصدد بيان خلق الإنسان فهذا المصطفوي رحمة الله عليه يقول «إن الأصل في المادة: هو تشخص من جهة ذات الشئ، أي ترفع في شئ من حيث هو، والتشخص هو الترفع. وقلنا في الروح مظهر التجلي والإفاضة والنفخ. والنفس هو الفرد المتشخص المطلق. وإطلاق النفس على الروح: إنما هو إصطلاح حادث فلسفي، ومن مصاديقه شخص الإنسان من حيث معنويته وروحه أومن حيث بدنه وظاهره، أومن جهة مابه قوام الإنسان وتشخصه، كالدم الجاري في بدنه وبه دوام حياته.»[1] من هنا نستنتج المراد حسب رأي الباحث هي الحقيقة الإنسانية أي إنكم إيها الذكر والأنثى خلقتم من نفس واحدة اي من حقيقة واحدة .

٤ . الخليفة

ابن عربي جاء في تفسيره ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ﴾ و ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «الإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية لم يعطه الله هذا الكمال إلا ليكون بدلاً من الحق

١. المصطفوي، حسن، التحقق في كلمات القرآن، ج١٢، ص٢١٩.

ولهذا سماه خليفة، ولايكون نائباً عنه تعالى حتى يكون من استخلفه واستنابه سمعه وبصره وجميع قواه ومتى لم يكن بهذه الصفة (ولم يحرز مرتبة الإنسان الكامل) فما هولا نائب ولاخليفة..فالخليفة نائب الحق في خلقه فلذلك تظهر صفاته» لذا قال «فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل»[١]

أما ملاصدرا جاء في تفسيره للآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقال «الخليفة هو من يخلف غيره وينوب عنه لأجل مناسبة تامة يستحق بها للخلافة لاتوجد في غيره، وإلا لكان وضع الشئ في غير موضعه. وقال أيضاً: إن هذه الخلافة ومنزلتها عندي منزلة الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢]

نستنتج: إنه لايوجد إختلاف ولكن يختلف ملاصدرا وابن عربي في تعريف الخليفة إذ عرفها ابن عربي(الولاية والنبوة والرسالة والإمامة)[٣] بينما يعرفها ملاصدرا (الخليفة هو من يخلف غيره وينوب عنه لأجل مناسبة تامة يستحق بها للخلافة لاتوجد في غيره، وإلا لكان وضع الشئ في غير موضعه)[٤] لقد فسر الإثنان الآية بالخليفة الذي هو الإنسان الكامل، فكانت أسباب الخلافة متشابه إلى حد ما ولكن كان يؤكد ابن عربي إن الخليفة هو

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، ص٥٥.

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، ج٢، ص٤٠٣.

٣. راجع: الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، ص٤١٥-٤١٨.

٤. نفس المصدر، ج٢، ص٣٠٠

مظهر صفات الله وأسمائه ولأنه كذلك صار خليفة ويؤكد ذلك الرأي العلامة الآلوسي حيث يقول في تفسير ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «إن المراد من الآية بيان الحكمة في الخلافة على أدق وجه وأكمله، فكأنه قال جل شأنه: أريد الظهور بإسمائي وصفاتي، ولم يكمل ذلك بخلقكم، فإني أعلم ما لا تعلمون؛ لقصور استعدادكم ونقصان قابليتكم، فلا تصلحون لظهور جميع الأسماء والصفات فيكم، فلاتَتِم بكم معرفتي ولايظهرعليكم كنزي، فلابد من أظهارمن تم استعداده وكملت قابليته ليكون مجلى لي ومرآة لأسمائي ومظهراً للمتقابلات فيَ، ومُظهرلماخفي عندي، وبي يسمع وبي يُبصِر وبي وبي، وبعد ذلك يرق الزجاج والخمر، والى الله عزشأنه يرجع الأمر»[1] اخترت قول الآلوسي كونه طابق لما قاله ابن عربي وصدرا، وذلك لاهتمام صدرا بتربية النفس حتى يكون في مقام قرب الفرائض، وهذا ما أيده الآلوسي، أما رأي العلامة الطباطبائي «الخلافة هي قيام شئ مقام أخر، لاتتم إلابكون الخليفة حاكياً للمستخلف بجميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف»[2]. فنلاحظ تأكيد العلمين على وجود مناسبة بين الخليفة والمستخلف وهذا ماوافق رأي العلماء فهنا التفسير قريب لظواهر القرآن الكريم.

أما بماذا صار خليفة فهناك بعض الاختلافات بين العلمين إذ يقول

---

١. الآلوسي،، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢٢٥.

٢. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١، ص٨٨

ابن عربي إنه صار خليفه كونه:

أ- على الصورة الآلهية

ب- برزخ بين الحضرتين

ج- مظهر أسماء الله تعالى وصفاته

د- حافظاً للخزائن

بينما نجد الأسباب عند ملاصدرا إضافة إلى مظهر اسم الله تعالى وصفاته وكونه برزخ بين الحضرتين يضيف:

أ- حامل للأمانة الإلهية

ب- تحمله التكليف

ج- طاعته مع وجود الصوارف البدنية.

د- معرفة النفس سر الخلافة لإنه من عرف نفسه عرف ربه. النتيجة هو الخليفة من ظهرت عليه الأسماء الإلهية وكان مظهراً لها وهذه الخلافة الأسمائية التي كان يراها الطرفين، يقول العلامة المصطفوي «الخليفة في الله عزوجل هو مظهرصفاته ومجلى أسمائه ومصداق من علمه الأسماء كلها»[1]

٥ . الإنسان الكامل مسجود الملائكة

عند ابن عربي أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لمعلمهم سجود أمر- كسجود الناس إلى الكعبة- سجود تشريف لاسجود عبادة، فهذا السجود

---

١. حسن، المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، ج٣، ص١٢٣.

كالتواضع والخضوع، والإقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له، كتواضع التلميذ لمعلمه، وذلك تشريف من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادته) [١]

عند ملاصدرا يقول «أما أن يكون المسجود هو الإنسان، لكن لا من حيث هويته الإمكانية ليلزم الإشراك، بل من حيث بلوغه إلى مقام القرب الإلهي، ورجوعه وحشره إلى الحضرة الإلهية، وفنائه في ذاته، وبقاؤه ببقاء الله لابقاء غيره ففي هذا المقام يصير الروح الإنساني كمرآة مصقولة لا لون فيه، أنعكس عليه وجه الله على نحو التجلي- لاعلى وجه الحلول والاتحاد تعالى عن ذلك علواً كبيراً- فسجودهم لآدم من هذه الجهه سجود لله - لاله» [٢] وأما أن يكون آدم سبب السجود لما رأوا فيه أبداع الخالق في خلقه حيث كان فيه عظيم قدرة الله تعالى، وإما أن كان آدم سبباً لوجود السجدة، فكأنه تعالى لما خلقه بحيث إنه كان إنموذجاً للمبدعات كلها - بل للموجودات بأسرها- وجعله نسخة مختصرة لما في العالم الروحاني والعالم الجسماني [٣]

نستنتج: أن ابن عربي يعتقد بسجود الملائكة لآدم كونه معلمهم وإن هذا السجود سجود تشريف ويستدل بالآية ﴿فأذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾. أما ملاصدرا فلديه عدة أسباب للسجود حيث

---

١. راجع: - ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج٣، ص٥٢٣-٥٢٤.
٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القران الكريم، ج٣، ص٦-٧
٣. راجع: المصدر نفسه.

يقول إنها سجدت مرتين مره للبعد الروحاني ومرة للبعد الجسماني. أما للمقام الروحاني فلأنه بلغ مقام في البعد اللاهوتي وهو القرب الإلهي وبلوغه الفناء في ذات الله، وأضاف أيضاً كونه العقل الأول والأب الروحاني، أما للبعد الجسماني لماشاهدوا من عظيم خلق الخالق في مخلوقاته حيث كان إنموذجاً للمبدعات. كما نلاحظ أختلاف الآيات، وعلى الرغم من الأسباب العديدة التي ذكرها ملا صدرا وكلها منطقية وعقلية إلا إن الباحث يميل إلى رأي ابن عربي وليس بدليل خارجي وإنما الدليل من نفس القرآن الكريم إذ نلاحظ ان الله تعالى العزيز الحكيم بعد آية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وأستفهام الملائكة أن يارب كيف تجعل هذا الإنسان خليفة حيث قالوا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ تأتي بعدها مباشرة الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وكأن هو جواب من الحق تعالى إن هذا الخليفة مُعلِم حيث قال ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ وقالوا ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ثم قال تعالى ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وكأن أراد الحق تعالى أن تتوقف الملائكة عن الاستفهام وعن التعجب. فما فُضِل الإنسان ولاكان محل سجود الملائكة إلاكونه مُعَلماً. وهناك رأي آخر، يقول العلامة الطباطبائي في تفسير نفس الآية «إنما أمروا بالسجود لنوع الإنسان لا لشخص آدم، ولم تكن هذه السجدة تشريفاً أجتماعياً من غير غاية حقيقية بل كانت خضوعاً بحسب الخلقة»[١]. وفي تفسير التبيان للطوسي يقول: إن

---

١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٨٧.

هذا السجود تحية وإكرام. ويقول هذا ماذهب إليه أكثر المفسرين[١]. وإما رأي الآلوسي «أمر الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام) على وجه التحية والتعظيم أو لله تعالى وهو (عليه السلام) بمنزلة القبلة حيث ظهرت فيه تعاجيب أثار قدرته[٢]» وهذا موافق لرأي ملاصدرا.

٦. الإنسان الكامل حامل للأمانة الإلهية

عند ابن عربي جاء في تفسير ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وأي أمانة أعظم من النيابة عن الحق في عباده، فلايصرفهم إلابالحق، فلابد من الحضور الدائم ومن مراقبة التصريف[٣] عند ملاصدرا: جاء في تفسير ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ إنما سميت أمانة لأن الفيض بلاواسطة هو من صفات الحق تعالى وقد حمله الإنسان لاغير، لما ذكرنا من أن ماسواه غير مستعد لقبوله،

لتقييد كل منها بوجوده الخاص[٤] أما سبب حمل الإنسان لها؟ فإن ابن عربي يقول: حملها لما له من قوة الصورة التي خلق عليها فبقوة تلك

١. انظر الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص١٥٠.
٢. الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، موقع التفاسير العظيمة.
٣. راجع: – ابن عربي، محمد بن علي، تفسيررحمة من الرحمن، ج٣، ص٤١٨
٤. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، أسرار الآيات، ص٢٥٣

الصورة حمل الأمانة.[١] اما ملا صدرا فيقول: لفقره وعجزه ولإنه كان مقطوعاً عن كل ماسوى الحق[٢]

أما لماذا كان ظلوماً جهولاً؟ في رأي ابن عربي: لإنه على الصورة الإلهية أغتر بنفسه فحملها فكان ظلوماً لنفسه جهولاً بها[٣]. اما ملا صدرا فعدّه: ظلوماً لأنه فنى نفسه، وجهولاً جهل نفسه واستدل بالحديث(من عرف نفسه عرف ربه). [٤]

نستنتج :

أ- إن معنى الأمانة هي الولاية لأن الفيض الذي يشير إليه ملاصدرا كان يريد منه الولاية كما النيابة عند ابن عربي لافرق على مستوى التحليل

ب- إذا لاحظنا من تعريف ابن عربي للأمانة الإلهية فلابد من الحضور الدائم ومن مراقبة التصريف وهذا كان مضمون ماجاء به ملاصدرا حيث قال هي الفناء، أو أن يكون مقطوعاً عما سوى الله فحسب التحليل كان الفرق مجرداً في الألفاظ ولكن المعاني متشابهه ولايوجد فرق كبير. وكان تفسير العلمين قريب من ظاهر القرآن وأيضاً هذا هو رأي العلامة الطباطبائي إذ قال «الأمانة المذكورة في الآية هي الولاية الإلهية وكمال

---

١. راجع: ابن عربي، نفس المصدر السابق.

٢. راجع: الشيرازي، المصدر السابق، ص٢٥٣.

٣. راجع: ابن عربي، نفس المصدر، ص٤١٩.

٤. راجع: الشيرازي، المصدر السابق، ص٢٥٦.

صفة العبودية»[١]

٧ . الإنسان الكامل على صورة الحق

عند ابن عربي إن المقصود بالصورة الإلهية أن يرى الحق صورته في الإنسان الكامل، حيث يكون مظهراً تاماً لأسماء الله وصفاته، ذكر ذلك ابن عربي في تفسير سورة البقرة الآية (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) حيث قال «ومعناها: أطلاق جميع الأسماء الإلهية عليه. كما جاء في الخبر (فبهم تنصرون) والله الناصر (وبهم ترزقون) والله الرازق (وبهم ترحمون) والله الراحم، فإنه سبحانه ما سمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان التخلق بذلك الاسم حظاً منه لايظهر إلا بصفة من استخلفه[٢]

ويرى ملاصدرا في الإنسان الكامل مثالاً له تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً، ومعرفة هذه الفطرة البديعة والنظم اللطيف، والعلم بهذه الحكمة الأنيقة والأسرار المكنونة فيها، سر عظيم من معرفة الله؛ بل لايمكن معرفة الله إلا بمعرفة الإنسان الكامل كما في الحديث (من عرف نفسه عرف ربه) وأن هذا الإنسان المهتدي بنوره تعالى هو أشرف الخلائق في عالم الإمكان، كانت بدايته من الله ورجوعه إليه، ونفخ فيه من روحه جامعاً للمراتب الإلهية والكونية، قد أخذ من كل مرتبة صورة تناسبه بعد أن نال منها نعمة

---

١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،، ج١٦، ص٥٢٨-٥٢٧

٢. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن، ج١، ص٩٧.

من النعم[١]

نستنتج: إن ابن عربي يعتقد إن سبب كون الإنسان الكامل على الصورة الإلهية، لأنها أطلقت عليه جميع الأسماء الإلهية فتخلق بها كما هو حال الخليفة في أنه على صفات المستخلف، أما ملاصدرا فيعتقد أنه صار على الصورة الإلهية لأنه مثال الله ذاتاً وصفةً وفعلاً. وهذا بالتيجة هو التخلق بأخلاق الله فلافرق بين المعنيين.

٨ . الإنسان الكامل ظل الله

عند ابن عربي أن الإنسان الكامل لماكان مثال الصورة الإلهية، كالظل للشخص الذي لايفارقه على كل حال، غير أنه يظهر للحس تارة ويختفي أُخرى، فإذا خفي فهو معقول فيه، وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه، فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه، كالظل إذا خفي في الشمس فلايظهر، فلم يزل الإنسان أزلا وأبداً، ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه موصوفاً بأن له بصراً، فلما مد الظل منه ظهر بصورته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي ثابتاً فيمن هو ظله فلايمده، فلايظهرله عين في الوجود الحسي إلا لله وحده، فلم يزل مع الله ولايزال مع الله، فهو باقٍ ببقاء الله[٢]

عند ملاصدرا: بالجملة فوجود الممكن كظل ممدود من نور الحق

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم.ج٥، ص٣٨١

٢. راجع: ابن عربي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٨.

عليه حافظاً إياه من أمتداد يد الفناء عليه واستيلاء جور الظلمة عليه وهذا الاستدلال هو المسؤول في بعض دعوات النبي (ص) الصالحة إذ قال: اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك وذلك اليوم هو صبح وجود العقل الأول الذي لا ظل سواه وهو الحقيقة المحمدية التي يعاد و يبعث إلى مقامها المحمود بعد خروجها عن مقامه البشري و وثاقة الحسي فالعقل الأول ظله كما سماه بهذا الاسم صريحاً في قوله تعالى ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ لأن له ما سكن في الليل والنهارو هي العقول والنفوس ليلاً و نهاراً أصالاً وأسحاراً في حظيرة الجبروت وهو سلطان الله في أرض عالم الملكوت [١]

نستنتج: أن لا فرق في معنى الظل لأن المقصود هو الحقيقة المحمدية حيث بين ذلك ملاصدرا في شرح مفصل فقال أنه ممدوداً كونه موجوداً في جميع المراتب من الحق إلى الخلق إلى الحشر في مقام الشفاعة وقد أبدع ملاصدرا في هذا التفصيل.

٩. الإنسان الكامل مظهر اسم الله الأعظم

عند ابن عربي: هو الاسم الأعظم، ومن ظهور هذا الاسم ظهرت جميع الأسماء، ومن هنا فإن لهذا الاسم تقدم ذاتي على جميع الأسماء، وحقيقة الإنسان الكامل التي هي مظهر تام لجميع الأسماء والصفات الإلهية، لاجرم هو المظهر لهذا الاسم الأعظم، وبما أن الإنسان الكامل

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٢٨٢.

هوالمظهر للأسم الأعظم، يتجلى في جميع الأسماء ومن تجليه تعينت المظاهر والأعيان». اذا حقيقة الإنسان الكامل هي عين الاسم الأعظم، لاتحاد الظاهر والمظهر في الوجود وتغايرهما في العقل.(١)

عند ملاصدرا: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ ، و تعلم و تعرف إن الحقيقة الآدمية هى جامع جميع الأسماء كلها، و تلك الحقيقة بعينها التى هى مجمع جوامع الأعيان جلها وقلها، كما يكون حقيقة الحقائق فى الأشياء يكون إمام أئمة الأسماء الحسنى هو الحقيقة المحمدية التى هى حقيقة الآدمية الأولى السابقة على الحقائق كلها، وهو اسم الله الأعظم، أعظم أعاظم الأسماء الإلهية كلها، والاسم خليفة المسمى، ومن هاهنا صارت حقيقة الآدمية المحمدية خليفة الله تعالى على سائر الأشياء، حقائقها ولطائفها، رقائقها و كثائفها، ظواهرها و بواطنها، أوائلها وأواخرها، والكل منه و إليه وفيه ولديه(٢)

نستنتج: عند ابن عربي يشبه الاسم الأعظم بالحقيقة المحمدية، كون اسم الله الأعظم له تقدم ذاتي على الأسماء الإلهية، والحقيقة المحمدية متقدمة وجوداً فصار مظهراً لأسم الله الأعظم فتجلى في كل الأسماء كما نقول(الله القادر، الله الحكيم) فهو في كل اسم، ومنه ظهرت الأسماء جميعها كما من الحقيقة المحمدية ظهرت كل الأشياء، فكان ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ . أما ملاصدرا فبنفس المضمون بين أن الحقيقة

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٧٥١-٧٥٢

٢. راجع: - الاشتياني، محمد بن محمد، شرح مقدمة القيصري، ص٦٣٦؛ ص٦٤٦-٦٤٧.

الآدمية جامعة للأسماء كلها، وهي إمام أئمة الأسماء، والاسم خليفة المسمى .

١٠ . الإنسان الكامل قطب الفلك وهو العمد

لم نجد لها بيان عند ملاصدرا[١]

ثانياً- الاختلاف على مستوى الأدلة

١ . روح العالم

يستدل ابن عربي بالآية ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ و ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ و ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ اما ملاصدرا فيستدل بالآيات ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾ و ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ و ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٣، ص٣٦٢؛ الإنسان الكامل قطب الفلك وهو العمد حيث لم نجد للآية تفسيراً عند ملاصدرا. وأضاف ملاصدرا خاصيتين الأولى كانت موجودة مصطلحاتها عند ابن عربي ولكن لم نذكرها وهي قلب العالم الكبير (العرش)، وذلك لأننا ذكرناها كثيراً ضمناً وقريب من معنى روح العالم ولكن الذي دعانا الى ذكرها عند ملاصدرا هو كثرة أستدلاله عليها واهتمامه بها. أما الخاصية الآخرى عند ملاصدرا هي جامع للنشآت الثلاث لم أجد لها بحثاً مفصلاً عند ابن عربي، أما ملاصدرا كان كثيراً ما يهتم ببحوث النفس والنشآت وهذا واضح في كتبه الأسفار وغيرها.

و ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ و: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ و ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾. و ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ نلاحظ أختلاف الاستدلال بالآيات القرآنية وبما أن روح العالم هو الخليفة لذا كان أهتمام ابن عربي هنا بآيات الخلافة.

٢. النفس الواحدة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ و ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ و ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ و ﴿وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ اما ملاصدرا ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿الرحمن الرحيم﴾: نلاحظ أن أهم آية ممكن تفسر هذه الخاصية قد فسرها ابن عربي ولم أجد لها تفسيرا خاصاً عند ملا صدرا.

٣. الخليفة

يستدل ابن عربي بالآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (فبهم تنصرون) (وبهم ترزقون) و (وبهم ترحمون)

و ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ﴾ و ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ اما ملاصدرا فاستدل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنّ اللهَ رَمى﴾ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ﴾ والحديث و(من عرف نفسه عرف ربه)

٤. مسجود الملائكة:

يستدل ابن عربي بلآية ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ اما ملا صدرا فاستدل بالآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

٥. علم الغيب

يستدل ابن عربي ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ و ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أما ملاصدرا فأستدل ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ و ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾ و: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا): (ما رأيت شيئا إلاورأيت الله فيه أو قبله): (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه): (زويت لي الأرض كلها فأريت مشارقها و مغاربها) كما قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ و قوله قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِ﴾ ردا على من قال ﴿إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ وعلى من قال إنما أنت مفترو من قال ﴿أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا﴾ وقال تعالى ردا عليهم و ﴿ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى

وَ هُوَ بِالأُفُقِ الأعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾ وأبلغ من هذا في الرد عليهم من القول بالتعليم البشري حيث أسند التعليم إلى ذاته بلا واسطة روح القدس قوله تعالى ﴿فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾ وقوله ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾.

نلاحظ كثرة استدلال ملاصدرا بالآيات القرآنية والأحاديث.

المطلب الرابع: نقاط الاختلاف بين ابن عربي وملاصدرا في المقامات:

لقد قمنا في هذا المبحث على تقسيم المقامات إلى فرعين (الاختلاف في المقامات على مستوى التحليل والاختلاف في المقامات على مستوى الأدلة)

أولاً- الاختلاف على مستوى التحليل

١. مقام الحقيقة المحمدية

عند ابن عربي، قال في تفسير الآية (﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ - فشبه نوره بالمصباح.- فلم يكن أقرب إليه (- تعالى!-) قبولاً، في ذلك الهباء، إلاحقيقة محمد- ص!- المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الآلهي، و من الهباء، ومن الحقيقة الكلية. و في الهباء وجد عينه، و عين العالم من تجليه، و أقرب الناس إليه على بن أبى طالب، وأسرار الأنبياء [١]

عند ملاصدرا، جاء في تفسير ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فماهو بمنزلة زجاجة هذا النور، هو محمد (ص) اذ لايمكن مشاهدة النور الأحدي لغاية شدته وقوته... الاخلف الزجاج المحمدي، كماجاء في تفسير الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إن الإنسان الكامل صار مظهراً لأسم الله

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، -الفتوحات المكية، عثمان يحيى، ج٢، ص٢٢٧

الجامع، وإن هذا التقدم للحقيقة المحمدية قبل الخلق وذلك لشرفية المعلول، فيكون هذا التقدم بالعلية [١]

نستنتج: أنه لايوجد فرق في مقام الحقيقة المحمدية عند العلمين ولكن كون ملاصدرا يذكر القواعد الفلسفية فنراه يضفي بذلك الطعم في أكثر المباحث فيقول: «أن هذا التقدم الحاصل للحقيقة المحمدية انما هو بالعلية» [٢]. أن يكون المتقدم علة لوجود المتأخر.

٢. واسطة الفيض

عند ابن عربي جاء في تفسير ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لما أوجد الحق هذا الخليفة على حسب ماأوجده قال له: أنت المرآة وبك أنظر إلى الموجودات، وفيك ظهرت الأسماء والصفات، أنت الدليل عليٍ، وجهتك خليفة في عالمك، تظهر فيهم بما أعطيتك، تمدهم بأنواري وتغذيهم بأسراري وقال: (فإنه به نظر الحق إلى خلقه فرحمهم) [٣]

عند ملاصدرا جاء في تفسير ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وله وجه إلى القدم يستمد به من الحق سبحانه، ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق [٤]

---

١. راجع: الشيرازي محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٣٨٢

٢. المصدر نفسه.

٣. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، -الفتوحات المكية، عثمان يحيى، ج٢، ص٢٢٧

٤. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٠٢.

نستنتج: إن ابن عربي قد تبحر في ذلك المقام فغاص إلى الأعماق وأستخرج لنا الأصداف واللؤلؤ والجواهر، فجذب نظرنا ذلك الجمال، وعلق قلوبنا به، حيث مقام واسطة الفيض استراحت قلوبنا هناك قليلاً وتمتعنا ببضاعته فيه، فعين العالم من تجليه، فهو الذي يأخذ بيد ويعطي بأخرى، وهو مفتاح الوجود فبه تفتح المغاليق وهوممد الهمم من خزائن الجود والكرم حيث هو ختم تلك الخزائن وحافظها، وهو عدسة الحق تعالى التي ينظر بها إلى موجوداته.

وإن الباحث لم يجد في قاموس ملاصدرا هذا العنوان كعنوان مستقل ولكنه موجود ضمناً فجمعنا المعلومات من العلامة ملا صدرا ووضعناها تحت هذا العنوان حيث لم يوجد عنده عنوان خاص بذلك.

٣. مقام الولاية

عند ابن عربي جاء في تفسير الآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إن الولاية هي الفلك المحيط الجامع، وقال واعلم أن النبوة أختصاص من الله يختص به من يشاء من عباده، وقد أُغلق ذلك الباب وختم برسول الله (صلى الله عليه وآله)، والولاية مكتسبة إلى يوم القيامة، فمن تعمل في تحصيلهم بمشيئة الحق تعالى حصلت له، والتعمل في تحصيلها من أختصاص الله تعالى، يختص برحمته من يشاء [1]

عند ملاصدرا جاء في تفسيرالآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة الرحمن، ج٢، ص ٣١٠-٣١١.

« أعلم أن في تقديم العبودية على الرسالة في التشهد وجهاً آخر هو أن لكل من الولاية والنبوة حدوثاً وبقاءً فالولاية أقدم حدوثاً وأدوم بقاءً من الرسالة فناسب التقدم الوضعي للتقدم الزماني »[١]

نستنتج: لافرق لأعتقاد العلمان أن النبوة منقطعة والولاية مكتسبة ودائمة.

ومن الاختلافات: يعرف ابن عربي الولاية: اسم باق لله تعالى فهو لعبيده تخلقاً وتحققاً وتعلقاً بينما ملاصدرا يعرفها (بالقرب) في المعنى فهما متشابهان ولكن لو أتينا إلى تحليل تعريف ابن عربي نجده شاملاً لكل تعاريف العلماء منهم السيد حيدر آملي و ملاصدرا والعلامة الطباطبائي وكأنها متفرعة منه. حيث نرى كل ماعرفه العرفاء ماهو إلافرع من شجرة ابن عربي، فمن التعاريف ما عرفها السيد حيدرآملي، وقال «الولى (هو) من تولى الحق أمره، وحفظه من العصيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان، حتى يبلغ في الكمال مبلغ الرجال... والوليّ هو المحبوب تارة، و المحبّ تارة. فإذا كان في المقام المحبوبىّ، فلا تكون ولايته كسبية و لا موقوفة على شيء، بل تكون أزلية، ذاتية، وهبية، الهية، كما كانت لخاتم الأولياء وأتباعه الحقيقيين- الذي قال: «كنت وليا و آدم بين الماء و الطين.» و امّا إذا كان (الولىّ) في المقام المحبّىّ، فلا بدّ له من الاتصاف بصفات اللّه و التخلق بأخلاقه ليصدق عليه إنّه ولىّ، و إلا فلا. ومن هذا قالوا: «الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه و ذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه مقام

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٩٧.

القرب و التمكين»[١] كذلك الإمام الخميني قدسة روحه «هي القرب أو المحبوبية أو التصرف أو الربوبية».[٢] فيرى الباحث هنا إن تعريف الولاية عند ابن عربي هو التعريف الأصل الذي أشتقت منه باقي التعاريف لأن الإنسان إذا تخلق بأخلاق الله كان هو القرب عينه لإنه صار مظهراً تاماً للحق تعالى وتحقق بذلك وتعلق فهو معنى عميق يجمع جميع المعاني.

٤. مقام العبودية

عند ابن عربي جاء في تفسير معنى الفقر والحاجة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها أي نملكها ملكا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ فإن الأرض قد جعلها اللّه ذلولاً والعبد هو الذليل والذلة لا تقتضي العلو فمن جاوز قدره هلك يقال ما هلك إمرؤٌ عرف قدره وبمعنى مظهر اسم الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ «عبد الله يعني محمداً (صلى الله عليه وآله)..فشهد الله له بأنه كامل العبودية، و لم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول اللّه (ص) فكان عبداً محضاً زاهداً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية و شهد اللّه له بأنه عبد مضاف إليه من حيث هويته واسمه الجامع فقال في حق اسمه ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ و قال في حق هويته ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ﴾ فأسرى به عبداً و لما أمر بتعريف مقامه يوم القيامة قيد ذلك بقول (أنا سيد ولد آدم

---

١. السيد حيدرآملي، المقدمات من كتاب نص النصوص، ج١، ص١٧٠.

٢. الموسوي، عباس نور الدين، لطائف عرفانيه، ص٦١.

ولافخر) [١]

عند ملاصدرا جاء في معنى الفقر والحاجة: تفسير ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ على قول كليمه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهدينِ﴾ . وبالجملة أشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية، والسبب العقل فيه إن الموجودات جميعها قابلة للرحمة الإلهية والكمال الوجودي بحسب فطرتها الإمكانية، وبمعنى مظهر اسم الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الإنسان الكامل هو الذي يعرف الحق بجميع المشاهد والمشاعر ويعبده بجميع المواطن والمظاهر فهو (عبد الله) يعبده في جميع أسمائه وصفاته ولهذا سمي بهذا الاسم أكمل أفراد الإنسان محمد (صلى الله عليه واله) [٢]

نستنتج: وإن أختلف ابن عربي عن ملاصدرا في الآيات لكن أصل الفكرة واحدة ولايوجد فرق على مستوى التحليل.

٥ . مقام قاب قوسين

عند ابن عربي في معنى قاب قوسين جاء في تفسير الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى﴾ قاب قوسين هو التقاء قطري الدائرة، أوهو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة وقال أي مما تمناه العبد أو يتمناه..فهو قرب القدر لاقرب المقدار، وإياك أن تفهم أن ذلك يشعر بتحديد في القرب أو

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج١، ص ١٧٣ / منزل المدح.

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٩٣.

تخصيص في جهة، إنما هو دنو تجل وكشف.وفي كيفية وصوله لهذا المقام قال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ إن العبد لايصل إلى الله تعالى إلا فرداً تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ولا تتحقق الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها فهناك يصل إلى حضرة عنديته، اما في شمول هذا المقام وأختصاصه قال في تفسير ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَى﴾ محمد رسول الله (صلى الله عليه ووراثه) لما دنا من الرفيق الأعلى، فتدلى على المقام الأجلا[١]

أما عند ملاصدرا فقد جاء في معنى قاب قوسين: لم نجد لهذه الآية تفسير عند ملاصدرا كونه لم يفسر كل سور القرآن رحمه الله تعالى، أما في كيفية وصوله لهذا المقام فجاء في تفسير ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ﴾ "عند عدم التفاته بما سواه وعند كونه غير مشغول السر بما سوى الله، وغير متبجح بزينة ذاته من حيث هي ذاته وأن كانت بالصورة المعروفة وهيئة العبودية بل مع غيبته عن ذاته وغيبته عن غيبة ذاته وفنائه عن فنائه وحينئذ يكون باقياً ببقاء الله فوق ماكان باقياً بابقاء الله كما كان قبل الوصول وهذا هو مقام الفناء في التوحيد والمحو وإليه الإشارة بقوله ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ﴾ أما في خصوص وشمول المقام جاء في تفسير: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ... وأما الكامل في السير والسلوك إليه إلى صراط التوحيد والاستقامة والتام في طلب الغاية الحقة المطلوبة من الفطرة التي فطر الناس عليها، فهو الإنسان الكامل بتفاوت درجاته. إلا إن الجامع لجوامع السير والسلوك- هو المسمى بجامع

---

١. أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير رحمة من الرحمن، ج٢، ص٥٢٢.

الجوامع في الإنسانية - فهو البالغ الواصل إلى الغاية القصوى، والمقام المسمى بمقام أوأدنى، فهي الخاصة الختمية المحمدية والآلية [١]

نستنتج: فلا اختلاف سوى بالنص وإنما بالتحليل فلا يوجد اختلاف، وفي فقرة يذكر ملاصدرا إن في هذا المقام أسرى الله تعالى إلى الخاتم قسراً وباقي الأنبياء يدعون الله للوصول إليه ويستدل على ذلك «هذا المقام لا يمكن أن يحصل إلا بجذبة من جانب الحق لقصور الخلق عن البلوغ إليه و لهذا قال عزوجل في حقه (ص) ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ والإسراء هو الإذهاب قسرا لأنه كان حبيباً محبوباً و المحبوب يجذبه المحب القادر عليه جبراً و غيره من الأنبياء (ع) كانوا سالكين إليه كما قال إبراهيم (ع) ﴿إِنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ﴾ و قال تعالى في حق موسى ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فانظر إلى تفاوت الحال و تفاضل الكمال في حق هؤلاء الأفاضل من الأنبياء عليهم السلام» [٢] نلاحظ أهتمام ملاصدرا بالمعنى اللغوي لمصطلحات القرآن الكريم كثير.

٦. الشفاعة

عند ابن عربي جاء في تفسير ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ و هذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوسل إلى اللّٰه فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة وهو شفاعته في الجميع «ألا تراه (صلى

---

١. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص ٤٧١

٢. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، ص٢٤٥.

اللَّه عليه وسلم) يقول في الوسيلة إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد و أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة"فجعل الشفاعة ثواب السائل ولهذا سمي المقام المحمود الوسيلة وكان ثوابهم في هذا السؤال أن يشفعوا وهذا هو منصب إلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ و قال وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فكان المرجع إليه فكذلك ترجع المقامات كلها والأسماء إلى هذا المقام المحمود)[1]

عند ملاصدرا جاء في تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّه﴾ «إن من أجلّ مراتب الحمد هي الحقيقة التمامية المحمدية القائمة بوجود الخاتم (صلى الله عليه واله) من حيث وصوله إلى المقام المحمود الموعود في قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ فذاته المقدسة أقصى مراتب الحمد التي حُمد الله بها ذاته، ولذلك خص بلواء الحمد وسمى بالحماد والأحمد والمحمود» وهذا يتحقق في مقامه الجمعي الأخروي الذي هو المقام المحمود ومقام الشفاعة الكبرى كما روي أنه قال (صلى الله عليه وآله) «فيلهمني الله محامد أحمده بها لايحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد»[2]

نستنتج: أن ابن عربي يرى إن مقام الشفاعة هو مقام الوسيلة مستدلاً بالحديث النبوي «ألا تراه (صلى اللَّه عليه و سلم) يقول في الوسيلة إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد و أرجو أن أكون أنا

---

١. راجع: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج٢، ص٨٧

٢. راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٧٦.

فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»[1] أما ملاصدرا فلم يذكر الوسيلة في بحث الشفاعة. وبذلك يتفق الإثنان كون المقام المحمود هو مقام الشفاعة.

أما كيف وصل الخاتم (صلى الله عليه واله) لمقام الشفاعة

فيقول ابن عربي:

أ- لأن لديه دعوة مستجابة مُدَخرة إلى ذلك اليوم (اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي)[2]

ب- جامعيته لكل المقامات

ج- لأنه أوتي جوامع الكلم.

د- لأنه ملماً بكل شعب الإيمان من أماطة الأذى إلى التوحيد.

هـ- ببعثته العامة إلى الناس كافة.

و- افتقار الخلق إليه في فتح باب الشفاعة.

ز- أفضليته على سائر الأنبياء

أما ملاصدرا فقد ذكر نقطة واحدة وهي لجامعيته لكل المقامات. واني أرجح قول ابن عربي في الأسباب التي جعلت الخاتم (صلى الله عليه وآله) يختص بهذا المقام المحمود فضلاً عن جامعيته لكل المقامات، وإن

---

١. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية (أربع مجلدات)، ج٢، ص٨٧

٢. راجع نفس المصدر

كان رأي ملاصدرا يشابه رأي ابن عربي في المعنى كون مَن جمع كل المقامات كان عينه هو من حمل هذه الصفات ولكن كون ابن عربي قد فصل فيها، وأستدِل بالنسبة إلى افتقار الخلق إليه لحديث في كتاب القمي: قال أبو جعفر (عليه السلام): مامن أحد من الأولين والآخرين ألا وهو محتاج إلى شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله) [١] كما يدل هذا الحديث على بعثته العامة التي شملت الأولين والأخرين، وأيضاً استَدِلُ برأي السيد كمال الحيدري في كتاب الشفاعة: بما أن ملاك الشفاعة هي الشهادة، وإن الأنبياء شهداء على أُممهم ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [٢] وإن النبي الأكرم (ص) هو الشهيد على الشهداء ﴿لِتَكونوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ وَيَكونَ الرّسولُ عَلَيكُم شَهيدًا﴾ [٣]. فهو شفيع الشفعاء وهذا يدل على الأفضلية على سائر الأنبياء ولابد للشهيد أن يكون ذا عصمة إلهيه ويكون عالماً بحقائق الأعمال بحقيقتها لابصورتها فقط [٤]

٧ . مقام ميزان الأعمال

في هذا المقام لايوجد أختلاف على مستوى تحليل المعنى إنما الاختلاف كان في أختلاف الآيات المفسرة لذلك المقام بين العلمين .

---

١. القمي، علي بن إبراهيم، تفسيرالقمي، ج٢، ص٢٠٢.

٢. النحل ٨٩

٣. البقرة، ١٤٣

٤. انظر: الحيدري، كمال، الشفاعة ، ص٣٢٨-٣٢٩-٣٠٣.

ثانياً: على مستوى الأدلة

١. الحقيقة المحمدية

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وكذلك ملاصدرا واضاف ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

٢. واسطة الفيض

يستدل ابن عربي بالآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وكذلك ملاصدرا واضاف الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾

٣. مقام الولاية

يستدل ابن عربي بالآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ و ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ و ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ والحديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) (لايزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) أما ملاصدرا فيستدل: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ و ﴿الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب﴾ و ﴿أياك نعبد وأياك نستعين﴾ والحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) و (وقد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية) «اني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أولهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي».

٤ . مقام العبودية

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ و ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ و ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ و﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اما ملاصدرا فيستدل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ و ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ و ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ على قول كليمه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ . و ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ و ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ والحديث قال الصادق(عليه السلام) فى قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ: ونحن الوجه.

٥ . مقام كن

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ و ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والحديث القدسي اما ملاصدرا فيستدل

﴿سلامٌ قولٌ مِن ربٍ رَحيم﴾ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ والحديث «ان في الجنة سوقاً تباع فيه الصور»

٦. مقام قاب قوسين

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ والحديث «ما تجلى الله لشئ ثم احتجب عنه» وبيت شعري (يا مؤنسي بلليل اذا هجع الورى ومحدثي من بينهم بنهار) اما ملاصدرا فيستدل ﴿أياك نعبد وأياك نستعين﴾: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ و ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ و ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِميقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾

٧. مقام الشفاعة

يستدل ابن عربي بالآيات ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿ألا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ وقال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ و ﴿وَقَالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ والحديث «آدم فمن دونه تحت لوائي» والحديث «فيلهمني الله محامد أحمده بها لايحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد» أما ملاصدرا فيستدل بقوله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا

هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ﴿الحمد لله﴾ و ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ والحديث «فيلهمني الله محامد أحمده بها لايحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد»

٨. مقام ميزان الأعمال

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اما الملاصدرا فيستدل ﴿لَقَد أرسَلنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وَأَنزَلنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالميزانَ لِيَقومَ النّاسُ بِالقِسطِ﴾ ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾

نستنتج من هذا المبحث أنه على رغم من الاختلافات البسيطة التي وجدها الباحث وحتى من خلال التحليل وإن كانت النصوص مختلفة إلا أن أصل النظرية واحد ومباني النظرية هي مباني عرفانية وفلسفية وتخضع للبرهان. أما إن ملاصدرا فقد ألبسها لباساً شيعياً من خلال ما لاحظناه في خصائص ومقامات الإنسان الكامل حيث كانت دائرة ملاصدرا في دخول مصاديق أوسع إلى تلك النظرية ، وكثير مانراه يستعمل الحقيقة المحمدية البيضاء والعلوية العلياء وكذلك الآلية والفاطمية والمهدوية، وعدَّ حسب تفسيره إن الإنسان الكامل ليس هم الأنبياء فقط أو يختص بشخص الخاتم (صلى الله عليه واله) ولكن أيضاً يشمل الأئمة المعصومين، وهناك مقامات ممكن لأي شخص الوصول إليها إذا أنقطع إلى الله وزكى نفسه عن الصوارف وفنى فيه سبحانه. ونستنتج إن ابن عربي كان يفصل ويتبحر كثيراً

في مسألة الإنسان الكامل، وإن ابن عربي كان المؤصل لهذه النظرية وإن ملاصدرا كان مقتبس لها.

وهناك رأي للباحث حول الاستنتاج كما عرفنا من خلال سيرنا من بداية البحث إلى نهايته إن ابن عربي كان يخفي مذهبه او بما مضمون كان كثير الاستعمال للإشارات حتى في مذهبه. حيث لاحظنا قرب ابن عربي من المذهب من خلال هذه النظرية بالذات، وانما قلنا ان ملاصدرا قد البسها لباساً شيعياً وذلك لكثرة الرويات من الكافي وإلا فما جاء به ابن عربي في هذه النظرية خصوصاً بحث الولاية و خصائص الإنسان الكامل كونه العلة وسبب بقاء العالم وخليفة الله وانه العمد الذي إذا زال خربت الدنيا كل هذه الخصائص كانت تفصح عن مذهبه، ولكن كون ملاصدرا شخصية شيعية وأطر النظرية بأطار روائي كثيف لاقت الاستحسان أكثر من قبل الشيعة الإمامية.

نتائج الفصل الرابع

١- يتشابه ملاصدرا مع ابن عربي في سيرة الحياة من حيث كونهم على الرغم من الحالة الاجتماعية الجيدة التي كانا يتمتعان بها أُسرياً إلا إنهم إختاروا حياة الزهد والتقوى.

٢- اعتمدا في تفسيرهما على الإلهامات وعلى الكشف والشهود من خلال تزكية النفس والخلوة والانقطاع ومع ذلك كانوا لايتركون الأخذ والاهتمام بظواهر القرآن الكريم.

٣- للعلمان منتوج علمي ضخم ويتفوق ابن عربي على ملاصدرا بغزارة المنتوج العلمي.

٤- من ناحية النص كانا متطابقين في بعض النصوص القليلة مقارنة بالنصوص المختلفة فقد كانت أغلب النصوص مختلفة في النص ومتوافقة من حيث المفهوم والتحليل، وعليه لايوجد أختلاف .

٥- من ناحية التحليل وجدنا إن تعاريف وخصائص ومقامات الإنسان الكامل متشابهه جميعها في تحليل النصوص أي إن الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ابن عربي وملا صدرا متطابقة تماماً في تحليل النصوص .

٦- من ناحية الاستدلال القرآني يتفوق ابن عربي بكثرة الاستدلالات القرآنية القريبة من ظواهر القرآن ويعتقد رجوع السبب إلى إن ملاصدرا لم يفسر القرآن كله، مما أدى به إلى الاستدلال بآيات أُخرى من أجل شرح

تلك الرؤية، وقد أكثر من الاستدلال بالآيات القرآنية، على الرغم من ذلك فإن ملاصدرا أتى بكثير من الآيات القرآنية لإثبات تلك النظرية.

٧- يعدّ ابن عربي النَّفس الرحماني هو أول صادر بينما يعدّ ملاصدرا العقل الأول الذي هو الحقيقة المحمدية أول الصوادر

٨- يتفق ملاصدرا مع ابن عربي في النفس الكلية أنها النفس الإنسانية ويختلفون في المصاديق.

٩- توجد خصائص للإنسان الكامل عند ابن عربي لم أجدها عند ملاصدرا وبالعكس مثل خاصية عين الوجود الإمكاني وأنه العمد عند ابن عربي، وخاصية جامع للنشآت عند ملاصدرا.

١٠- يتفوق ملاصدرا على ابن عربي في كثرة الاستدلال بالأحاديث الشريفة لأهل البيت عليهم السلام.

١١- على الرغم من إن ملاصدرا لم يفسر القرآن الكريم كله لكننا نجده يكثر من الاستدلال بالآيات القرآنية حول نظرية الإنسان الكامل.

الخاتمة

قد تتمثل أهمية هذه الرسالة في المقام الأول في بيان وتوضيح الرؤية العرفانية للإنسان الكامل بشكل إجمالي عند ابن عربي وملاصدرا من خلال تعاريف الإنسان الكامل وخصائصه ومقاماته في تراثهما المجموعي. وفي المقام الثاني عقد مقارنة تفسيرية لهذه النظرية بشكل تفصيلي من خلال تفسيريهما إذ إنهما يتبعان منهجاً عرفانياً واحداً، وربما الأولى من نوعها حيث لم يسبقها بحث بهذا العنوان.فمن خلال البحث لاحظنا المراتب الوجودية التي مر بها الإنسان الكامل، وشؤونه من خلال الوقوف على أهم نقاط المطلب في بيان تعاريف الإنسان الكامل في تراثهما المجموعي ، وكذلك الوقوف على أبرز خصائص ومقامات الإنسان الكامل عند العلمين في تفسيرهما، والوقوف على نقاط التشابه والاختلاف والمحاكمة بينهما في اللغة و آراء العلماء.وتوصلنا إلى النتائج الآتية:-

النتائج: -

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الرؤية العرفانية للإنسان الكامل هناك شبه كبير بين ابن عربي وملاصدرا من حيث إطلاق التسميات والمصطلحات الخاصة بالإنسان الكامل، وكذلك ذكر خصائص الإنسان الكامل إذ كان لها حصة كبيرة من تفسيرهما، ويمكن استخلاص النتائج على النحو الآتي:-

١. يتفق كلاهما في إن الحقيقة المحمدية هي الصادر الأول ومنه كان كل شئ (اول ما خلق الله نوري).

٢. لم يقتصر الإثنان على الإشارات والإلهامات الإلهية كما رأينا بل استعملوا المفردات اللغوية، وكذلك الروايات وظواهر القرآن. وكان ملا صدرا متميزاً عن ابن عربي في استعمال مفردات اللغة.

٣. لا يوجد تفاوت بين العلمين في الاعتقاد بأصل نظرية الإنسان الكامل لأنهما أعتمدا المباني العرفانية؛ إنما كان الاختلاف في بعض المصطلحات والمصاديق .

٤. لايوجد أي فرق على مستوى التحليل بين تعاريف وخصائص ومقامات الإنسان الكامل، إلا إن ملاصدرا قد ألبس هذه النظرية ثوباً شيعياً من خلال توسعة دائرة مصاديق هذا الإنسان الكامل حتى شمل آل البيت (عليهم السلام)، حتى إنه كان دائم الاستخدام في المقامات مصطلح (الحقيقة المحمدية البيضاء والعلوية العلياء)، وكذلك ذكر المراتب الآلية

والفاطمية والمهدية.

٥. قام ملاصدرا بتأطير النظرية بإطار روائي فاصبحت نظرية شيعية من خلال استخدام الروايات الشيعية من أصول الكافي.

٦. يعتقد العلمان إن العقل الأول هو الحقيقة المحمدية.

٧. يتشابه الملا صدرا مع ابن عربي في خصائص الإنسان الكامل في كونه(روح العالم، خليفة الله، ظل الله، النفس الواحدة، على الصورة الإلهية، حامل للأمانه الإلهية، مظهر اسم الله الجامع)

٨. يتفق ملاصدرا مع ابن عربي في المقامات الخاصة بالإنسان الكامل(مقام الحقيقة المحمدية، واسطة الفيض، الولاية، العبودية، مقام كن، مقام قاب قوسين، مقام الشفاعة)

٩. إن ملاصدرا كان يعتمد أعتماداً كبيراً على تفسير ابن عربي في الرؤية العرفانية للإنسان الكامل .

١٠. كان استدلال ابن عربي في الآيات القرآنية أكثر كون ملاصدرا لم يفسر كل القرآن. ورغم ذلك قد استخدم آيات كثيرة في تفسير هذه النظرية.

١١. استدل ابن عربي على بعض معاني الإنسان الكامل إلى الروايات، وهكذا فعل ملاصدرا في شرح الآيات الخاصة بتلك المعاني.

١٢. نرى إن ابن عربي وملاصدرا لم يكن أعتماد تفسيرهم الكامل في نظرية الإنسان الكامل على الإشارات والإلهامات والمكاشفات الإلهية

فقط إنما كانت قريبة من المعاني اللغوية وتفاسير العلماء.

١٣. لقد شابه تفسير ملاصدرا تفسير ابن عربي كثيراً حتى في العبارات والألفاظ حيث استخدم عبارات ابن عربي ومضمونها بشكل كثير إلا أنّه استخدام بعض المصطلحات الفلسفية.

١٤. أمتاز تفسير ملاصدرا فيما يتعلّق بمسألة الإنسان الكامل عن تفسير ابن عربي بقربه من ظواهر القرآن وأستخدام الظهورات اللغوية والقواعد العقلية .

١٥. أمتاز ابن عربي عن ملاصدرا بذهابه إلى إن الإنسان يصل إلى الكمال بالحركة الحبية بينما ذهب ملاصدرا إلى أنه يصل له بالحركة الجوهرية.

١٦. هناك علاقة وثيقة بين وجهة نظر ابن عربي و ملا صدرا حول الرؤية العرفانية للإنسان الكامل، وإنها طُرحت أولاً من قبل ابن عربي إذ كان المؤصل لها، وصاغها ملاصدرا بشكل يتناسب مع أسسه الميتافيزيقية فكان مقتبساً لها من ابن عربي .

١٧. أعطت القواعد الفلسفية لنظرية الإنسان الكامل ودخولها الحكمة المتعالية رصانة كون استنادها إلى قواعد فلسفية فضلاً عن كون الرؤية الفلسفية تعالج المسائل الأساسية للرؤية الكونية.

١٨. إن ابن عربي لايعمل بقاعدة الواحد التي يعتقد بها الفلاسفة ومنهم ملاصدرا وعدّها من التطبيقات الخاطئة عند الفلاسفة لإنه يقول بإن الصادر الأول هو النفس الرحماني بينما ترى تلميذه القونوي يعمل بها لكن

على أساس أن الصدر الأول هو النَّفَس الرحماني اما عند الفلاسفة وملاصدرا فهو العقل الأول.

ثانياً: التوصيات

١- أوصي الباحثين بالتعرف والقراءة والاطلاع على المناهج التفسيرية لأن كل منهج له قواعده الخاصة والبحث في المناهج العرفانية بشكل خاص لما لها من تأثير كبير في النفس وتزكيتها.وأن لا يقلل الباحث من شأن المناهج الإشارية لأنها تخضع لقواعد عرفانية وعقلية.

٢- الاهتمام والاطلاع على تلك النظرية الكبيرة لما لها من أهمية بالغة على مستوى المذهب

٣- هناك مباحث في الرسالة حاولنا أختصارها لتكون في خدمة بحثنا، يمكن أن يستفاد منها الباحث بجعلها عنواناً لرسائل منفردة، مثل بحث النفس الواحدة وما المراد منها ، بحث واسطة الفيض ومايترتب عليها من مباحث عقائدية، كذلك هناك بحث مهم هو تكريم الله تعالى للإنسان وجعله محل مسجودية الملائكة هل كان سجوده تشريفاً لعظمة خلق الله أم كونه معلماً لهم، وعدة أسباب ممكن أن يصل اليها الباحث.

٤- يوصي الباحث بقراءة كتب ابن عربي لما فيها من معاني ومفاهيم عالية وكبيرة.

٥- إن للعلم رحيقاً لايصله العقل إلا بالاعتكاف وتزكية النفس فإن العلم لايؤخذ على عجل، وإن قراءة الكتب من دون الوصول إلى رحيقها إنما هو مظيعة للوقت، فإذا قرأتم الكتب فأعرفوا حالكم، وانظروا ماخاطبكم فيها، فإن الأحوال محل خطاب والذوات تحمله.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. الآلوسي، محمود الأفندي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢. الآملي الخوارزمي، حسين، شرح فصوص الحكم، تحقيق: حسن زادة آملي، بستان الكتب- قم،١٤٣٢ هـ.

٣. الآملي، حسن زادة، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، تحقيق: عبد الرضا افتخاري، مؤسسة المعارف الإسلامية- إيران،١٣٧٤ش.

٤. الآملي، حسن زادة، الإنسان في عرف العرفان، ت محمد الربيعي البغدادي، روح وريحان- قم، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ -٢٠١٣م.

٥. الآملي، حيدر، المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز الحكيم، محسن الموسوي التبريزي، المعهد الثقافي في نور على نور- قم الطبعة الخامسة، ١٤٢٨ هـ.ق.

٦. الآملي، حيدر، المقدمات من كتاب نص النصوص في شرح

فصوص الحكم، انجمن ايران وفرانسة، طهران،١٣٩٧ هـ -١٩٨١م.

٧. الآملي، حيدر، المقدمات من كتاب نص النصوص، انستيتو ايران وفرنسا البحوث والدراسات العلمية، ايران، طهران، ١٣٩٣ هـ

٨ الآملي، حيدر، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، ت: محسن الموسوي التبريزي، مركز وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٢٢ هـ.

٩. الآملي، عبد الله، المرأة في مرآة الجلال والجمال، عبد المنعم الخاقاني، دار الإسراء- قم، الطبعة الرابعة١٣٩٧ هـ.ش-١٤٣٨ هـق.

١٠. الآملي، عبد الله، تفسير تسنيم، تحقيق: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار الإسراء، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية،١٤٣٢ هـ -٢٠١١م.

١١. الآملي، عبد الله، صورت وسيرت انسان درقرآن، دار الإسراء- قم، ١٣٧٩ هـ.

١٢. الأبطحي، محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة، ت: مؤسسة الإمام المهدي ع - قم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦ هـ.ق-١٣٨٤ هـ.ش.

١٣. الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

١٤. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق،١٩٩٢م.

١٥. الإلهي الأردبيلي،، شرح جلشن راز، محمد رضا بزرجر خالقي

وعفت كرباسي، دانشكاهي - طهران، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٦. الأمين، محسن، اعيان الشيعة، ت: حسن الأمين، بيروت، طبعة ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

١٧. ابن الأثير، المبارك ضياء الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الطبعة الأولى،١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م.

١٨. ابن تركة، صائن الدين علي، تمهيد القواعد، تحقيق جلال الدين الاشتياني، منشورات وزارة الثقافة والتعليم العالي، طهران،١٤٠١هـ.

١٩. ابن تركة، صائن الدين، التمهيد في شرح قواعد التوحيد، تصحيح: حسن الرمضاني الخرساني، ام القرى، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٠. ابن سينا، علي بن الحسين، الإشارات والتنبيهات، مكتب نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق.

٢١. ابن شهر، آشوب، رياض الأبرار من مناقب أبي طالب، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية،١٩٨٧م.

٢٢. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(اربع مجلدات)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

٢٣. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية(عثمان يحيى)، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٩٤م،

٢٤. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي(تأويلات عبد

الرزاق)، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢٥. ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٦. ابن عربي، محمد بن علي، جواهر كنوز الفتوحات المكية، مجموعة من المؤلفين، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٩٣ هـ - ٢٠١٨م.

٢٧. ابن عربي، محمد بن علي، درر رسائل ابن عربي، مجموعة مؤلفين، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ -٢٠١٩م.

٢٨. ابن عربي، محمد بن علي، رحمة من الرحمن في تفسير وأشارات القرآن، محمود محمود الغراب، مطبعة نضر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧م.

٢٩. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي(ثلاث مجلدات)، رسالة مواقع النجوم ، دارالمحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ.

٣٠. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي(في جزئين)، دائرة المعارف العثمانية- الهند، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م.

٣١. ابن عربي، محمد بن علي، رسائل ابن عربي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ

٣٢. ابن عربي، محمد بن علي، رسالة العجالة، دار المحجة البيضاء- بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ.

٣٣. ابن عربي، محمد بن علي، شجون المسجون وفنون المفتون، علي ابراهيم الكردي، دارسعد الدين- دمشق، ٢٠٠٥.

٣٤. ابن عربي، محمد بن علي، عقلة المستوفز، بريل- ليدن، الطبعة الأولى، ١٣٣٦ هـ.

٣٥. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، تحقيق: حسن زادة آملي، بيروت - لبنان، ١٣٨١هـ ش- ١٤٣٣ هـ ق.

٣٦. ابن عربي، محمد بن علي، فصوص الحكم، دارأحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٩٤٦م.

٣٧. ابن عربي، محمد بن علي، كنوز الفتوحات المكية، مجموعة من المؤلفين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

٣٨. ابن عربي، محمد بن علي، لوازم الحب الإلهي، تحقيق، موفق فوزي الجبر، دار معد- سورية، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.

٣٩. ابن عربي، محمد بن علي، مجموعة رسائل ابن عربي (جزأين) رسالة القسم الإلهي، دار أحياء التراث العربي، بيروت،١٣٦٧هـ.

٤٠. ابن عربي، محمد بن علي، مجموعة رسائل ابن عربي(ثلاثة أجزاء) رسالة العجالة ومواقع النجوم، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ.

٤١. ابن عربي، محمد بن علي، مجموعة رسائل ابن عربي(مجلدان)، التراجم، كتاب الألف، رسائل القسم الإلهي، الإسرا إلى مقام الاسرى ، دار

احياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٦٧ هـ.

٤٢. ابن عربي، محمد بن علي، نقش الفصوص(نقد النصوص)، مركز وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٢ هـ.

٤٣. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٣٧١ هـ.

٤٤. ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ق.

٤٥. ابو زيد، نصر حامد، هكذا تكلم ابن عربي، المركز الثقافي العربي- المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٤٦. البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٤٧. البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

٤٨. التبرسزي، محمد علي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية والنسب، انتشارات خيام، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٩ هـ.ش.

٤٩. الترجمان، سهيلة باعث، نظرية وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٢ هـ.

٥٠. الجامي ، عبد الرحمن، نقد النصوص في شرح نقش النصوص، تحقيق جلال الدين الاشتياني، مركز وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

للطباعة، طهران،١٤١٢هـ.

٥١. الجامي، عبد الرحمن أحمد، نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، تعليق: جيتيك ، مقدمة جلال الدين الأشتياني، فرهنكي ، طهران- ايران، ١٣٧٠ هـ.

٥٢. الجرجاني، شريف علي بن محمد، التعريفات، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ.

٥٣. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة- القاهرة، ٨١٦ هـ -١٤١٣م

٥٤. الجندي، مؤيد الدين، شرح فصوص الحكم، ت: جلال الدين الاشتياني، بستان كتاب- قم، ١٤٢٣ هـ.

٥٥. الجوادي الآملي، عبد الله، الحياة العرفانية للامام علي، دار الإسراء، لبنان بيروت، ١٤٣٢ هـ -٢٠١١م

٥٦. الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، مكتبة محمد علي صبيح - القاهرة، ١٩٤٩م.

٥٧. حاجي خليفة، كشف الظنون، المكتبة الإسلامية- طهران، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م

٥٨. حسن حنفي، من الفناء إلى البقاء، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م

٥٩. الحسن، نزيه عبد الله، فلسفة صدر الدين الشيرازي، دار الهادي،

بيروت- لبنان، الطبعة الأولى،١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩م.

٦٠. الحسني، محمد بن السيد علوي، محمد الإنسان الكامل، دارالكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٨م.

٦١. الحكيم الترمذي، محمد بن علي، ختم الأولياء، تحقيق: عثمان يحيى، معهد الآداب الشرقية- بيروت،١٤٢٢ هـ.

٦٢. الحكيم، سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، دندرة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ -١٩٩١م..

٦٣. الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، لاتا.

٦٤. الحيدري، السيد كمال، تمهيد القواعد، محمد الربيعي، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، الكاظية - باب الدروازة، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤م.

٦٥. الحيدري، كمال، أخلاقنا، طلال الحسن، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، الكاظمية- بغداد، ١٤٣٧ هـ -٢٠١٦م.

٦٦. الحيدري، كمال، الرؤية الكونية في العرفان النظري، محمد الربيعي، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، الكاظمية - بغداد.١٤٣٦ هـ -٢٠١٥م.

٦٧. الحيدري، كمال، الشفاعة، مؤسسة الهدى، بيروت- لبنان، ١٤٣٤ هـ -٢٠١٣م.

٦٨. الحيدري، كمال، العرفان الشيعي، خليل رزق، دار فرقد، إيران- قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م.

٦٩. الحيدري، كمال، علم الإمام، علي حمود العابدي، ١٤٢٩ هـ

٧٠. الحيدري، كمال، مراتب السير والسلوك إلى الله تعالى، طلال الحسن، ١٤٢٦ هـ.

٧١. الحيدري، كمال، معرفة الإمام، دار جواد الأئمة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ -٢٠١٠م.

٧٢. الخراساني، محمد واعظ و- مجموعة مؤلفين، المعجم في فقه القرآن وسر بلاغته، مجمع البحوث الإسلامية- مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ ق-١٣٨٥ش

٧٣. الخميني، روح الله، الله في العرفان، عباس نور الدين، بيت الكتاب- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

٧٤. الخميني، روح الله، تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الانس، ت: حسن رحيميان، باسدار اسلام، قم، ١٤١٠ هـ.

٧٥. الخميني، روح الله، لطائف عرفانية، تحرير: عباس نور الدين، بيت الكتاب- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

٧٦. الخميني، روح الله، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ت: جلال الدين الاشتياني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٣٧٢.

٧٧. دلال عباس، بهاء الدين العاملي، دارالحوراء - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٧٨. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦ هـ.

٧٩. الرازي، فحر الدين محمد، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م.

٨٠ الرسيتماوي، علي حسون، المناهج والاتجاهات التفسيرية في القرآن الكريم دراسة تحليلية نقدية، محمد جبر الحريشاوي، مكتبة الأبرار، الطبعة الأولى، ١٤٤١ هـ -٢٠٢٠م.

٨١ الرسيتماوي، علي حسون، تمهيد القواعد دراسة تحليلية واشارات تقدية، محمد جبر الحريشاوي، مركز أمير المؤمنين(عليه السلام)-مؤسسة عاشور، الطبعة الأولى،١٤٤١ هـ -٢٠٢١م.

٨٢ رشيدرضا، محمد، تفسير المنار، دار المعرفة- بيروت، ١٤١٤ هـ - ١١٩٩٣م

٨٣ الرضوي الموسوي، محمد، نهج البلاغة، ضبط: صبحي الصالح، الطبعة الثانية، طهران، ١٤٢١ هـ.

٨٤ الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث - قم، الطبعة الأولى،١٤٢٢ هـ ق.

٨٥ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القران، أحمد بن علي، دار

الحديث- القاهرة، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م.

٨٦ الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.بيروت، الطبعة السادسة عشر ٢٠٠٥م؛ الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

٨٧ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصرالطبعة الثانية،١٣٤١ هـ -١٩٢٢م.

٨٨ الزنجاني، ابو عبدالله، الفيلسوف الإيراني الكبيرصدر الدين الشيرازي، مؤتمر احيلء ذكرى الفيلسوق صدر الدين الشيرازي- طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م.

٨٩ الزنجاني، ابوعبد الله، مقالات في تاريخ القرآن الكريم وصدر المتألهين الشيرازي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.ق-٢٠٠٢م.

٩٠. السبزواري، ملاهادي، شرح المنظومة، تعليق حسن زادة آملي، تحقيق مسعود طالبي، باقري- قم، الطبعة - الأولى، ١٤٢٢ هـ،

٩١. السيوطي، عبد الرحمن، تفسير الدر المنثور، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٩٢. الشعراني، عبد الوهاب، اليواقيت والجواهر في بيان عقد الأكابر، دار أحياء التراث- لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٨ هـ.

٩٣. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، تحقيق حسن زادة آملي، فرهنك ارشاد اسلامي- إيران ، الطبعة الرابعة ،١٣٧٤ش.

٩٤. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، المظاهر الإلهية، تحقيق: جلال الدين الأشتياني، بوستان كتاب، قم، الطبعة الثالثة،١٤٢٩ق-١٣٨٧ش.

٩٥. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، رسالة الأصول الثلاثة، ت: أحمد ماجد، معهد المعارف الحكمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـق-٢٠٠٦م.

٩٦. الشيرازي، محمد بن إبراهيم، نهاية الآمال في شرح رسالة خلق الأعمال، محمد المرهون، دار الصفوة- بيروت، الطبعة الأولى،١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٩٧. الشيرازي، محمد بن ابراهيم، أسرار الآيات، دار الصفوة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ -٢٠١١م.

٩٨. الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، تحقيق: جلال الدين الأشتياني، المركز الجامعي للنشر- مشهد، الطبعة الثانية،١٩٨١م.

٩٩. الشيرازي، محمد بن ابراهيم، المشاعر، ت: هنري كزربان، ترجمة ابتسام حموي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـق-٢٠٠٠م.

١٠٠.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، ايقاظ النائمين، محسن مؤيدي، فرهنكي- طهران، ١٣٦١ هـ ق-١٩٨٢م.

١٠١.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم، ت: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـق-١٩٩٨م.

١٠٢.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم، دار بيدار- قم، ١٤٠٣ هـق.

١٠٣.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، رسالة صه اصل، ت: حسين نصر، بنياد حكمت اسلامي- طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ ش، ٢٠٠٢م.

١٠٤.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، رسالة في الحدوث، تحقيق: حسن موسويان، بنياد حكمت اسلامي صدرا- طهران، الطبعة الأولى،١٣٧٨ هـ ش.

١٠٥.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، شرح أصول الكافي، محمد خواجوى، مؤسسة فرنكي- طهران، جاب اول، ١٣٦٦

١٠٦.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، شرح اصول الكافي، محمد خواجوي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران ١٣٧٠ هـ.ش

١٠٧.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، كسر اصنام الجاهلية، محسن جهانكيري، بنياد اسلامي صدرا، طهران، ١٣٨١ هـش.

١٠٨.الشيرازي، محمد بن ابراهيم، مفاتيح الغيب، خواجوي، مؤسسة الأبحاث والدراسات الثقافية، طهران، ١٤٠٤ هـ.

١٠٩.الشيرازي، محمدبن ابراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، تحقيق رضا المظفر، دار احياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

١١٠.الشيرواني، علي، الدين العرفاني والعرفان الديني، تعريب أحمد وهبي، دار الولاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠م.

١١١.الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، صفوة التفاسير دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

١١٢.الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، الأعلمي، بيروت- لبنان، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠م.

١١٣.صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، نشر ذوي القربى، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ هـ

١١٤.الطباطائي، محمد حسين ومجموعة من الؤلفين، فلسفة صدر المتالهين المباني والمرتكزات، دار المعارف الحكمية، ٢٠٠٨م.

١١٥.الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م.

١١٦.الطباطبائي، محمد حسين، سر القلب تقرير البيانات الشفاهية، احياء الكتاب- طهران، ٢٠٠٧م.

١١٧.الطوسي، محمدبن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار احياء التراث- لبنان - بيروت، الطبعة الأولى،٣٨٥-٤٦٠ هـ.

١١٨.العاملي، محمد بن حسين، امل الآمل في علماء جبل عامل، أحمد الحسيني، دارالكتاب الإسلامي- قم، ١٣٦٢ هـ.ق

١١٩.العك، خالد عبد الرحمن، اصول التفسير وقواعده، دار النفائس بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.ق-١٩٩٤م.

١٢٠.علي امين جابر، فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي، مركز دار الحضارة- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤

١٢١.الغراب، محمود محمود، شرح فصوص الحكم من كلام الشيخ الأكبر، دمشق- سوريا، الطبعة الثانية،١٤١٦ هـ.

١٢٢.فادي ناصر، فلسفة العرفان النظري، دراسة تحليلية في اصول العلم ومنهجه، دار الولاء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ -٢٠١٨م.

١٢٣.الفراهيدي،، ابو عبد الرحمن، العين، مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار اشؤون الثقافية، العراق - بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٢٤.الفناري، محمد حمزة، مصباح الأنس بين المعقول والمشهود، تحقيق، عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠١٠م.

١٢٥.فهم الدين - موقع يحيى محمد حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني، https: /www.fahmaldin.net/index.php?id=١٢٣

١٢٦.الفيومي، أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، منشورات دار الرضي، قم- ايران ، الطبعة الأولى.

١٢٧.القمي، سعيد بن محمد، شرح توحيد الصدوق، ت: نجفقلي

حبيبي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبة الأولى، ١٤١٥ هـ ق.

١٢٨. القمي، عباس، الكنى والألقاب، منشورات مكتبة الصدر- طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧ هـ ق.

١٢٩. القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، دار الأسوة للطباعة والنشر- قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ هـ ق.

١٣٠. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، دار الكتاب، قم- إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٣ش.ا

١٣١. القونوي، محمد إسحاق، شرح الأربعين حديثاً، تحقيق حسن كامل بيلمار، انشارات بيدار- قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ش.

١٣٢. القونوي، محمد إسحاق، مفتاح الغيب (مصباح الأنس)، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

١٣٣. القونوي، محمد اسحاق، إعجاز البيان في تفسير القرآن، جلال الدين الاشتياني، بوستان كتاب- قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ق.

١٣٤. القونوي، محمد بن اسحاق، الفكوك، النسخة الخطية، نسخة ٧٢٧، مكتبة يوسف آغا قونية.

١٣٥. القونوي، محمد بن اسحاق، الفكوك، نشر المولى، طهران، ١٣٧١ هـ

١٣٦. القيصري، داود بن محمود، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، انوار الهدى، طهران، ١٤١٦ق.

١٣٧. القيصري، داود، رسائل القيصري، تحقيق: جلال الدين الاشتياني، رسالة التوحيد والنبوة والولاية، جلال الدين الاشتياني، بزوهشي حكمة وفسفة إيران- طهران، الطبعة الثانية، ١٣٨١ ش.

١٣٨. القيصري، داود، شرح القيصري على تائية ابن الفارض، تصحيح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٥ هـ

١٣٩. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق جلال الدين الاشتياني، الشركة العلمية والثقافية للنشر، طهران،١٣٧٥هـ.

١٤٠. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق: حسن زادةالآملي، منشورات بيروت- لبنان، بلاتا.

١٤١. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، جلال الدين الاشتياني، فرهنكي، ايران- طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٦ش.

١٤٢. الكاشاني، عبد الرزاق، اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٦ هـق- ٢٠٠٥م

١٤٣. الكاشاني، عبد الرزاق، شرح فصوص الحكم(الكاشاني)، بيدار- قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ

١٤٤. الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، طبعة سنة١٩٧٣م.

١٤٥. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، علي أكبر غفاري،

طهران، دار الكتب الإسلامية الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ ق.

١٤٦. اللاهيجي، شمس الدين، مفاتيح الإعجاز في شرح جلشن راز، محمد رضا خالقي؛ عفت كراسي، الطبعة الأولى، دار النشر، ١٩٩٢م.

١٤٧. المالكي، السيد محمدبن علوي، محمد الإنسان الكامل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

١٤٨. مجلة المصباح، العتبة االحسينية، المقدسة، العدد الواحد والأربعون، ١٤٤١ هـ -٢٠٢٠م.

١٤٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث، لبنان- بيروت، ١٤١٢ هـ

١٥٠. محسن جهانكيري، محي الدين ابن عربي الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، دار الهادي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م.

١٥١. محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ق.

١٥٢. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم بنكاه للترجمة والنشر،، ١٣٦٠ هـ ش.

١٥٣. مطهري، مرتضى، دروس فلسفية في شرح المنظومة، مالك وهبي، شركة شمس المشرق، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ

١٥٤. المطهري، مرتضى، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، ت: عبد الكريم الزهيري، دار الكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٥٥.معصومة روح الله، الفكر الفلسفي والعرفاني للشيخ محمود الشبستري، دار روافد، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ -٢٠١٥م.

١٥٦.ملكاف، علاء الدين، نظرية إنسان كامل ازدايدكاه عرفان وفلسفة، مركز بين المللي، جامعة المصطفى ص العالمية- قم، ١٣٩٦ش- ١٤٣٨ق.

١٥٧.الموسوي، أبو الحسن مخزن، الإنسان الكامل في النصوص العرفانية الإسلامية، فرهنكي- طهران، ١٣٨٩.

١٥٨.موقع متخصص في القرآن الكريم وعلومه وكتب التفاسير- روح المعاني / الآلوسي،

https: //www.greattafsirs.com/Tafsir_Library.aspx?LanguageID = ١&SoraNo=٤&Aya

١٥٩.النبهاني، يوسف بن اسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل ستة- الهند، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٦٠.نسب، محمد علي الأسدي، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

١٦١.النسفي، عزيز الدين، كشف الحقائق، تحقيق: أحمد مهدوي دامغاني، المنشورات العلمية والثقافية - طهران، ١٤٢٨ هـ

١٦٢.نعمة، عبد الله، فلاسفة الشيعة، دار الكتب الإسلامي - قم، الطبعة الأولى،١٩٨٧م.

١٦٣.الهندي، المتقي، كنز العمال، تحقيق: بدري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،١٤٠٩ هـ -١٩٨٩م.

١٦٤.الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٨م.

١٦٥.يثربي يحيى، مقدمة القيصري على شرح تائية ابن الفارض المطبوعة ضمن كتاب العرفان النظري(فارسي)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٦٦.يثربي، يحيى، العرفان النظري(بالفارسية)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٦٧.يد الله، يزدان بناه، العرفان النظري مبادئه واصوله، عطاء انزلي، ترجمة: علي عباس الموسوي، مؤسسة اموزشي بزوهشي امام خميني، بيروت، الطبعة الأولى، ٢١٠٤م.

١٦٨.اليزدي، محمد تقي، دروس في العقيدة الإسلامية، مكتبة سلمان المحمدي، العراق- بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

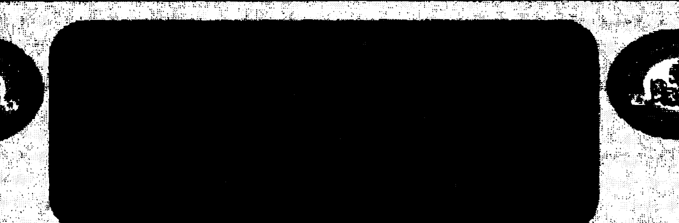
المحتويات

الفصل الأول
بحوث تمهيدية
(ص ٣٣)

الفصل الثاني
الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ابن عربي
(ص ٩٥)

الفصل الثالث
الرؤية العرفانية للإنسان الكامل عند ملا صدرا
(ص ١٨٩)

الفصل الرابع
مقارنة بين رؤية ابن عربي ورؤية ملاصدرا تجاه الإنسان الكامل
(ص ٢٦٥)



بسم الله الرحمن الرحيم

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

الحمد لله رب العالمين الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي المرسل محمد الهادي الأمين وعلى آله الهداة الطاهرين وعلى أصحابه الغر المنتجبين. قال تعالى في محكم كتابه الكريم (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) وقال (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

من منطلق توجه البشرية إلى تطبيق العدل والمساواة على أرجاء الأرض كاملة ونشر العلم والمعرفة وإحساس الإنسان بأن الله جل شأنه خلقه لإعمار الأرض ولا يكون هذا الاعمار الا بالتوحيد والأخلاق والقيم والمبادئ السامية والعلم والوعي والثقافة والمعرفة وهذا يحتاج إلى بناء مجتمع واع وعالم ومثقف وإنساني لإنقاذ البشرية التي تعيش اليوم الظلم والضياع والتشتت والابتعاد عن الدين السماوي والرسالة الإلهية والشريعة المحمدية وأخلاق أهل البيت (عليهم السلام) وبما أن ساحة العمل اليوم واسعة لا تتمثل بعرق أو دين أو مذهب أو طائفة أو شريحة أو فئة معينة بل تعم جميع أفراد المجتمع، صار من الأهمية بناء ذات وشخصية الفرد باعتباره جزء المجتمع وهذا يعد مقدمة مقتضية دعي الواقع الفعلي لفكرة إنشاء المركز في عام (٢٠١٢ م - ١٤٣٣ هـ) والذي توسم بشعار (التوحيد والأخلاق والعلم) وتسميته باسم (مركز أمير المؤمنين (عليه السلام) للدراسات الإسلامية والبحوث الإنسانية) والذي يسعى لبث كل ما هو نافع ومفيد لهذه الأمة ولنشر الفضيلة والأخلاق والعدل بين أفراد المجتمع من خلال رفع المستوى الثقافي والعلمي وبناء قاعدة جماهيرية واعية عالمة ومثقفة تحمل من المبادئ والقيم ما يمكن بها إنهاض الأمة من مختلف النواحي العقائدية والأخلاقية والفقهية والفلسفية والعرفانية والفكرية والمعرفية وتهيئة علماء وباحثين وخطباء واعين ومحاولة إظهار وجه الإسلام الحقيقي المبني على الإنسانية

والتسامح وتشجيع الحوار المبني على احترام الطرف الآخر وكذلك مواجهة الشبهات التي تهجم على الأمة كقطع الليل المظلم ومحاولة إيجاد حلول مناسبة تحاكي فكر المجتمع وطبيعته وحاجاته الملحة.

إن مركز أمير المؤمنين مركز علمي بحثي دراسي تنموي مستقل غير حكومي غير ربحي ومن مراكز [illegible] تأسس عام ٢٠١٢ ويعمل المركز على تطوير قدرات أعضائه وأساتذته وطلبته من خلال برامج علمية ودرسية بحثية تنموية متنوعة تبني القدرات العلمية البحثية والثقافية وتكسب المهارات الإدارية والتنظيمية والفنية والعلمية تلبي الاحتياجات الحالية والمستقبلية للأساتذة والباحثين والطلبة والمجتمع وفق المعايير العلمية العالمية الحديثة ويتمتع المركز باستقلالية كاملة في إدارة نشاطه فهو لا يتبع لأي حزب أو حركة أو تيار أو منظمة أو تجمع أو ائتلاف أو جهة داخلية أو خارجية ويسعى كأحد المنظمات [illegible] المركز في تنفيذ خطته البحثية السنوية على جهود الباحثين المرتبطين [illegible] التعاقد ويتم قبول البحوث التي تتواءم مع توجهات المركز وتخضع [illegible] استناداً إلى التقويم العلمي من قبل خبراء مختصين يعتمدهم المركز في مجالات النشاط البحثي العلمي التي تغطي وتحقق أهداف المركز.

ويعد المركز بحثي ويمارس نشاطه في مجالات الدراسات وإجراء البحوث والاستشارات والتدريب والتطوير وخدمة المجتمع وبالخصوص شريحة الأساتذة والطلبة تجاه القضايا العلمية والبحثية والثقافية والفكرية والمعرفية والاستراتيجية والمستقبلية في ميدان الأبحاث والدراسات والتأليف ويخصص المركز حيزاً كبيراً من نشاطه العلمي لدراسة مختلف الجوانب الدينية والإنسانية والثقافية والفكرية والمعرفية وتفاعلها مع محيطها المجتمعي والبشري ويتمتع المركز باستقلالية كاملة في إدارة نشاطه العلمي وفكره من خلال برامجه البحثية على تمويل أبحاثه وفعاليته ونشاطاته. وكذلك تطوير المعرفة العلمية والرأي الفكري والمستوى الثقافي للفرد والمجتمع وتطوير العلاقات بين الأفراد والمجتمعات من خلال ممارسة الأنشطة الثقافية والفكرية والعلمية والمعرفية المختلفة والمتنوعة.

أهداف المركز

- بناء قدرات الأساتذة والطلبة للقيام بدورهم في عمليات التنمية المجتمعية في التعليم والتدريس والتوعية والرقابة والإرشاد والإصلاح.

- تحسين جهود مؤسسات التعليم وطريقة أدائها واستثمار المبدعين والمواهب والكفاءات والخبرات بما يحقق المخرجات والنتائج الايجابية.

- مساعدة طلبة الدراسات العليا والأولية في الجامعات والكليات والمعاهد وتمكينهم من إعداد وكتابة بحوثهم ورسائلهم وأطاريحهم ومؤلفاتهم.

- تشجيع وتعزيز أواصر التعاون العلمي بين الباحثين والاختصاصيين والمتخصصين من خلال تبادل الخبرات والزيارات المتعلقة بالشؤون العلمية والبحثية بأصنافها المختلفة.

- نشر الوعي بالشؤون الدينية والإنسانية والتحديات الفكرية المختلفة والمعاصرة وتحديدها المهم من أجل تطوير المدارك للفرد والرأي العام وصناع القرار بتلك القضايا التي تمس الحياة العامة.

- المساهمة الفاعلة في تلاقي وتلاقح الثقافة الدينية والعلمية والأفكار الحرة والعريقة وبث روح الحوار والتقارب والتعايش الخلاق بين الأديان والمجتمعات والشعوب والأمم بدلاً من الصراع والعدوان والتحارب والهيمنة والإقصاء والإلغاء.

- تعزيز التعاون بين المؤسسات والهيئات والمعاهد والمراكز البحثية ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية والعالمية وتبادل الخبرات والمعلومات وبناء الأواصر المتبادلة فيما بينها.

- رفع مستوى وعي الجمهور في القضايا الدينية والثقافية والإنسانية والفكرية والتاريخية والتنموية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والسياسية وغيرها.

- تدريب الأساتذة والطلبة والباحثين ورفع قدراتهم العلمية والفنية والتقنية والإدارية.

- تشجيع الاتصال المباشر بين الباحثين والاختصاصيين عن طريق إقامة الندوات والمؤتمرات والحواريات العلمية المتخصصة في مجالات مختلفة.

- جمع وتوثيق الأبحاث العلمية العراقية ونشر الأبحاث التي لم تنشر وطبع الكتب التي لم تطبع.

وسائل تحقيق الأهداف

- تصدر عن المركز مجلة فصلية دورية محكمة.

- إنجاز البحوث والدراسات.

- عقد مؤتمرا علميا سنويا يتناول القضايا الدينية والإنسانية الهامة في بناء المجتمع.

- عقد ندوات فصلية تتناول الموضوعات ذات التأثير في الشؤون الدينية والإنسانية.

- إقامة الدورات والبرامج التدريبية العلمية والحرفية والمهنية للأساتذة والطلبة والموظفين والكسبة في مختلف المجالات والشؤون العلمية والثقافية والفكرية والحرفية.
- إنشاء موقع على شبكة الانترنت.
- تنظيم المحاضرات والحلقات الدراسية والندوات العلمية والحوارية.
- توفير مكتبة علمية وثقافية وفكرية ومراكز للانترنيت.
- إقامة ورش العمل والمهرجانات والاحتفالات والمعارض.
- المشاركة في البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- المطبوعات الدورية وغير الدورية.
- الإصدارات والنشرات.
- متابعة وإدارة وتنفيذ حملات الحج والعمرة.
- تقديم الاستشارات والبحوث والتقارير الميدانية.
- إقامة الدروس المنهجية والمقررات الدراسية.

يتضمن المركز دوراً ومؤسسات يساهم الغرض منها تنمية حاجات المجتمع في مختلف المجالات وهي:

- دار أمير المؤمنين (ع) للقرآن الكريم
- المؤسسة الإنسانية
- معهد الخطابة

إدارة مركز
أمير المؤمنين (عليه السلام)